التسهيل لتأويل التنزيل

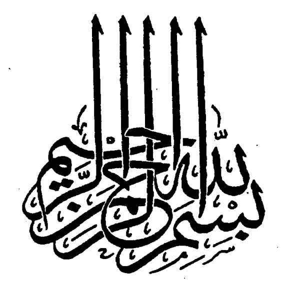
تفسير

جزء الذاريات

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة


بسم الله الرحمن الرحيم

جُزْءُ الذَّارِيَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)

رقم الإيداع

(١٩٨٤١ / ٢٠٠٦

مكتبة مكة بطنطا

١٠ شارع طه الحكيم أمام استديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - جوال : ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فهذا تفسير الجزء السابع والعشرون من كتاب الله عز وجل - ألا وهو جزء الذاريات - في صورة سؤال وجواب، ضمن سلسلة التفسير الموسومة بـ **(التسهيل لتأويل التنزيل)** والتي قد صدر منها - ولله الحمد - إلى الآن سبعة عشر مجلدًا من سور متفرقة.

فأقدم - مستعينًا بالله عز وجل، مستهديًا إياه - هذا الجزء على غرار ما قد سبق، وقد تناولت فيه بعض المباحث بشيء من الاتساع.

من ذلك المباحث المتعلقة بالجنة والنار (في سورة الرحمن).

وكذا بعض المباحث الفقهية الأخرى، كمسألة مس المصحف لغير المتوضيء، ومس الجنب له، وذلك في سورة الواقعة.

وكذا ما يتعلق بالأعمال التي تنفع الميت ويصل ثوابها إليه، كما في سورة النجم.

إلى غير ذلك من الباحث الفقهية والعقائدية التي يجدها القارئ في ثنايا هذا الجزء.

أما عن سائر خطة العمل: فكما أسلفت فإنها المتبعة في تفسير السور التي صدرت من هذه السلسلة.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفعني به والإسلام

والمسلمين، كما أسأله سبحانه أن يوفقني لتفسير كتابه على الوجه الذي يرضى به عني، وأن يتجاوز عن خطئي وهفواتي وعمدي، وسري وجهري، وكل ذلك عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه.

هذا، وما كان من صواب في هذا العمل فمن الله عز وجل وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وسبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا، إنه هو العليم الحكيم.

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

هذا، ومن له نصح من إخواني أهل العلم وطلبته فجزاه الله خيرًا على تفضله بتوجيه النصح.

وصلِّ اللهمَّ على نبينا محمد وسلم
والحمد لله رب العالمين

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي

تفسير سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا
(٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي
قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ
سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾

اذكر معنى ما يلي:

﴿وَالذَّارِيَاتِ - ذَرْوًا - فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا - فَالْجَارِيَاتِ - يُسْرًا - فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا - إِنَّمَا تُوعَدُونَ - لَصَادِقٌ - الدِّينَ - لَوَاقِعٌ - الْحُبُكِ - مُخْتَلِفٍ - يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ - قُتِلَ - الْخَرَّاصُونَ - غَمْرَةٍ - سَاهُونَ - أَيَّانَ - يَوْمُ الدِّينِ - يُفْتَنُونَ - ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾

الكلمة	معناها
﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾	الرياح[1] التي تذرو التراب - أي تُهيجه وتُطيّره. أما الواو فهي واو القسم.
﴿ذَرْوًا﴾	تهييجًا - تطييرًا - تذريةً.
﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾	السحب التي تتحمل وقرها من المطر أو السحب الممتلئة بالمياه. وقيل: الرياح الحاملة للسحب.

(١) وقد صح عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال هي الرياح، فعند الطبري (٣٢٠١٣) بسند صحيح عن أبي الطفيل قال: سمعت عليًا يقول: لا تسألوني عن كتاب نافق ولا عن سنةٍ ماضية إلا حدثتكم، فسأله ابن الكواء عن الذاريات فقال: هي الرياح. ويشهد لقول علي رضي الله عنه ما ورد في الحديث: «اللهم رب الرياح وما ذرين..».

	والوقر: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن. والوقر أيضًا الحمل، وقد قيل في الحاملات وقرًا قول آخر بعيد ههنا وهو الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل.
﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾	السفن[١]
﴿يُسْرًا﴾	سهلًا ـ يسيرًا[٢] ـ جريًا ذا يُسر. فالمراد بالجاريات يسرًا: السفن التي تجري في البحر جريًا سهلًا يسيرًا.
﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾	الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه[٣].
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾	إن الذي يعدكم الله به.
﴿لَصَادِقٌ﴾	لصدق ـ لكائن حق يقين ـ لمتحقق.
﴿الدِّينَ﴾	الجزاء والحساب.
﴿لَوَاقِعٌ﴾	لكائن
﴿الْحُبُكِ﴾	الخلق الحسن ـ الطرائق ـ ذات الاستواء والحسن[٤]. البنيان المتقن ـ التماسك الشديد[٥] ـ الزينة.
﴿مُّخْتَلِفٍ﴾	متخالف متناقض.

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية﴾.

(٢) وفي جريها يُسرًا وجهان: أحدهما إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد والبقاع، والثاني: هو سهولة تسييرها، قاله القرطبي.

(٣) صح ذلك عن علي رضي الله عنه (٣٢٠٢١).

(٤) ورد ذلك عن ابن عباس عند الطبري (٣٢٠٤٠)، (٣٢٠٤١)، وأخرج الطبري بسندٍ صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم الكذاب المُضل، و إن رأسه من ورائه حُبُكٌ حُبكٌ» يعني بالحبك الجعودة.

(٥) ومنه هذا الشيء محبوك أي: مشدود بعضه إلى بعض.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾	يُصرف عن هذا القرآن من صُرف. يُضَل عنه من ضل[١]. لا يؤمن به من قُدِّرت عيه الشقاوة. ويُضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غُمْر لا فهم له.
﴿قُتِلَ﴾	لُعن ـ هلك.
﴿الْخَرَّاصُونَ﴾[٢]	المتكهنون ـ المرتابون ـ الكذابون ـ الذين يتكلمون كذبًا بناءً على الظنون الباطلة (الذين يقولون: لا نبعث)، الآخذون بالتخمين مع ترك الدلائل.
﴿غَمْرَةٍ﴾	ما يغمرهم من الضلال ـ (أي أنهم مغمورون في الضلالة والعمى التي غمرتهم)، والغمرة تطلق على ما ستر الشيء وغطَّاه، ومنه نهرٌ غمرٌ أي يغمر من دخله.
﴿سَاهُونَ﴾	لاهون ـ غافلون.
﴿أَيَّانَ﴾	متى.
﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾	يوم المجازاة والحساب، والثواب والعقاب. (وهو يوم القيامة اليوم الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم).
﴿يُفْتَنُونَ﴾	يعذبون بالإحراق بالنار[٣].
﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾	ذوقوا عذابكم وحريقكم[٤] ـ ذوقوا جزاء تكذيبكم.

❀❀❀

(١) وهناك قول آخر وهو: يُصرف عن هذا الاختلاف من صُرف.
(٢) روي عن قتادة (٣٢٠٦٩) بإسنادٍ حسن أنه قال: ﴿قتل الخراصون﴾ قال: أهل الظنون.
(قلت): ومن التخرص: قولهم إن محمدًا شاعرًا أو كاهن أو مجنون أو كذاب، ومن التخرص قولهم لا بعث ولا ثواب ولا عقاب.
(٣) ورد نحو ذلك عن عكرمة عند الطبري (٣٢٠٨٢).
(٤) روي ذلك عن قتادة عند الطبري (٣٢٠٩١، ٣٢٠٩٢) بإسنادٍ حسن.

س: وضح - بصورةٍ مجملةٍ - ما تضمنته هذه السورة المباركة «سورة الذاريات»؟

ج: افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بقسم من الله عز وجل، فقد أقسم الله عزَّ وجل فيها ببعض مخلوقاته العظيمة كالرياح والسحب المحملة بالماء والسفن الجارية بتيسير الله عز وجل لها، وكذا بالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه وتجري في الخلق ما قدره الله وقضاه، أقسم بكل ذلك على أن ما يعدنا الله به صدقٌ ومتحققٌ وأقسم بذلك أيضًا على أن البعث والحساب آتٍ وكائن لا محالة.

ثم أقسم الله عز وجل قسمًا آخر بالسماء ذات الحسن والاستواء وذات الطرائق، وذات التماسك الشديد على أن المشركين في قولٍ مختلف وآراء متعددة في شأن القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، يهتدي للحق في ذلك من هداه الله، ويُصرف عنه من صرفه الله.

ثم دعاءٌ باللعن على الكذابين الذين يتقولون بغير علم ويقذفون بالظنون ويصفون القرآن بغير أوصافه وكذا يصفون النبي ﷺ بغير أوصافه، ووعيدٌ شديدٌ لهم على هذا التخرص والكذب.

ثم في المقابل بيان حال المتقين وأعمالهم لعل متأسيًا أن يتأسى بهم وعاملاً أن يعمل بعملهم، وإرشاد وحثٌ على النظر في آيات الله وتدبرها، ثم يقسم الله عزَّ وجل على صدق نبيه محمد ﷺ وأن ما أخبر به صدق وحق.

ثم تذكير بقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع الملائكة وما حوته تلك القصة من الآداب والبشارات، ثم ذِكر طائفة من الأنبياء وأممهم المعاندين لهم وكيف كانت مصائرهم، ثم تذكير بعظيم المخلوقات كالسماء والأرض، ومنن الله على العباد في ذلك وحث على الرجوع إلى الله والفرار إليه والتحذير من الشرك وبيان أحوال المكذبين، وحث على التذكير وبيان الغاية التي من أجلها خُلِقَ بنو آدم، ألا وهي توحيد الله عزَّ

وجل وطاعته، وبيان غنى الله عزَّ وجل عن عباده ثم تحذير وتهديد ووعيد لأهل الكفر المصرين على التمرد والعناد المنكرين للبعث والنشور، وأنه سيحل بهم من النكال والعقاب مثل ما حل بأمثالهم. والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآيات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾؟

ج: هذا قَسَمٌ من الله تبارك وتعالى، فيُقسم ربنا تبارك وتعالى بالذاريات وهي الرياح وبالسحب، وبالسفن التي تمخر البحار، وبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن ربها، يُقسم ربنا سبحانه وتعالى بهذه المخلوقات العظيمة على أن البعث آتٍ وعلى أن القرآنْ حق.

قال السعدي رحمه الله:

هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع.

فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه فلم يكذب به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ هي: الرياح التي تذرو، في هبوبها ﴿ذَرْوًا﴾ بلينها، ولطفها، وقوتها، وإزعاجها.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ هي: السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به العباد والبلاد.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها

السموات، ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا والآخرة، لا يتعدى ما حُدَّ له وقُدِّر، وَرُسِم، ولا يُنقص منه.

❀❀❀

س: لماذا أقسم الله بهذه المخلوقات؟

ج: أقسم الله بهذه المخلوقات لشرفها، ولما فيها من الدلالات على عظيم قدرته وعجيب صنعته، فالذي صرَّف الرياح وخلق الملائكة، وكلفها بالذي كلفها به قادرٌ على البعث.

❀❀❀

س: أقسم الله تبارك وتعالى بالسماء ذات الحبك فأين جواب ذلك القسم؟

ج: جوابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾.

❀❀❀

س: ما الحكمة في تكرير القسم في الآيات السابقة؟

ج: قال الرازي رحمه الله (تفسير الفخر الرازي):

قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشريفة والمطالب العظيمة في سورة والصافات، ونعيدها ههنا وفيها وجوه:

الأول: أن الكفار كانوا في بعض الأوقات يعترفون بكون النبي ﷺ غالبًا في إقامة الدليل وكانوا ينسبونه إلى المجادلة وإلى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله، وأنه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال، كما أن بعض الناس إذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة، يقول: إنه غلبني لعلمه بطريق الجدل وعجزي عن ذلك، وهو في نفسه

يعلم أن الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين، فيقول: والله إن الأمر كما أقول، ولا أجادلك بالباطل، وذلك لأنه لو سلك طريقًا آخر من ذكر دليل آخر، فإذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مثل ما قال في الأول: إن ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى إلا السكوت أو التمسك بالأيمان وترك إقامة البرهان.

الثاني: هو أن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع الديار بلاقع، ثم إن النبي ﷺ أكثر من الأيمان بكل شريف ولم يزده ذلك إلا رفعة وثباتًا، وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذبًا، وإلا لأصابه شؤم الأيمان ولناله المكروه في بعض الأزمان.

الثالث: وهو أن الأيمان التي حلف الله تعالى بها كلها دلائل أخرجها في صورة الأيمان، مثاله قول القائل لمنعمه: وحق نعمك الكثيرة إني لا أزال أشكرك، فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر، ويسلك مسلك القسم، كذلك هذه الأشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الإعادة، فإن قيل: فلم أخرجها مخرج الأيمان؟ نقول: لأن المتكلم إذا شرع في أول كلامه بحلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم فيصغي إليه أكثر من أن يصغي إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر، فبدأ بالحلف وأدرج الدليل في صورة اليمين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين، والتبيان المتين في صورة اليمين، وقد استوفينا الكلام في سورة والصافات.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس مؤمنكم وكافركم مختلفون في هذا القرآن، فمنكم - وهم أهل الإيمان - من يصدِّق به، ومنكم - وهم أهل الكفر - من يُكذِّب به.

الثاني: إنكم يا أهل الكفر مختلفون في هذا القرآن فمنكم من يقول: هو قولُ

شاعرٍ، ومنكم من يقول: إنه قولُ كاهنٍ، ومنكم من يقول إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، ومنكم من يقول: أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلًا... إلى غير ذلك من الأقوال.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هذا جواب القسم الذي هو ﴿وَالسَّمَآءِ﴾ أي إنكم يا أهل مكة ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في محمد والقرآن فمن مصدّق ومكذّب.

وقيل: نزلت في المقتسمين.

وقيل: اختلافهم قولهم: ساحر، بل شاعر، بل افتراه بل هو مجنون، بل هو كاهن بل هو أساطير الأوّلين.

وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه.

وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ وفي تفسيره أقوال مختلفة كلها محكمة:

الأول: إنكم لفي قول مختلف، في حق محمد ﷺ، تارة تقولون: إنه أمين، وأخرى: إنه كاذب، وتارة تنسبونه إلى الجنون، وتارة تقولون: إنه كاهن وشاعر وساحر، وهذا محتمل لكنه ضعيف، إذ لا حاجة إلى اليمين على هذا، لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير إنكار حتى يؤكد بيمين.

الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أي غير ثابتين على أمر، ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنًا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى: والسماء إنكم غير جازمين في اعتقادكم وإنما تظهرون الجزم لشدة عنادكم، وعلى هذا القول فيه فائدة وهي أنهم لما قالوا للنبي ﷺ: إنك تعلم أنك غير صادق في قولك، وإنما تجادل ونحن نعجز عن الجدل قال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ أي: إنك صادق ولست معاندًا، ثم قال تعالى: بل أنتم والله جازمون بأني صادق فعكس الأمر عليهم.

الثالث: إنكم لفي قول مختلف، أي متناقض، أما في الحشر فلأنكم تقولون: لا حشر ولا حياة بعد الموت، ثم تقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت: فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموهم؟ وإنما يصح هذا ممن يقولون بأن بعد الموت عذابًا فلو علمنا شيئًا يكرهه الميت يبدي فلا معنى لقولكم: إنا لا ننسب آباءنا بعد موتهم إلى الضلال، وكيف وأنتم تربطون الركائب على قبور الأكابر، وأما في التوحيد فتقولون: خالق السموات والأرض هو الله تعالى لا غيره، ثم تقولون: هو إله الآلهة وترجعون إلى الشرك، و أما في قول النبي ﷺ فتقولون: إنه مجنون، ثم تقولون له: إنك تغلبنا بقوة جدلك، والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز، إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة.

❁❁❁

س: هل من وجه للربط بين القسم بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: أشار بعض أهل العلم إلى مناسبة بينهما فقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ قسم بالسماء ذات التماسك الشديد والتناسق البديع، والطرائق والممرات والمسارات التي ليس بينها اختلاف، يقسم ربنا بذلك على أن هؤلاء القوم مختلفون فيما بينهم؛ فخلق السماء متناسق رغم اتساعها وكبر حجمها وعظمتها، وأنتم يا أهل الكفر في اختلاف وشقاق.

❁❁❁

س: المهتدي للإيمان والقرآن من هداه الله، والمنصرف من صرفه الله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

- وقوله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ [التوبة:١٢٧].

❀❀❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

يقول تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴾ هذا دعاء عليهم، وحكى الواحدي عن المفسرين جميعًا: أن المعنى لعن الكذابون، والمراد بالكذابين أصحاب القول المختلف، وأصل هذا التركيب الوعد بالقتل: أجري مجرى اللعن، واستعمل بمعناه تشبيهًا للملعون. الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة، وكل نعمة، وقال ابن الأنباري: والقتل إذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك. قال الفراء معنى قُتِل: لُعِن، وفي القاموس ما يقتضي أن قتل يأتي بمعنى لعن، ونصه: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧] أي: لعن ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون:٤] أي لعنهم، والخراصون الكذابون، الذين يتخرصون فيما لا يعلمون، فيقولون: إن محمدًا مجنون كذاب شاعر ساحر.

قال الزجاج: الخراصون هم الكذابون، والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرًا والخراص الذي يخرصها، وليس هو المراد هنا، قال ابن عباس في الآية: لعن المرتابون، وعنه قال: هم الكهنة وقيل: هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة

ليصرفوا الناس عن الإسلام.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، الذين هم مغمورون في الضلالة غارقون فيها، ساهون ومتغافلون عن الحق الذي جاء به محمد ﷺ، قد لَهوا عنه.

هذا، وقد أخرج الطبري[1] بسندٍ صحيح عن ابن زيدٍ في قوله: ﴿فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ قال: ساهون عما أتاهم، وعما نزل عليهم، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى، وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾... الآية [المؤمنون:٦٣]، وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ أي: في لجة من الكفر، والجهل، والضلال ﴿سَاهُونَ﴾.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، هذا العذاب الذي تعذبون وهذه النار التي تصلون هو الذي كنتم تنكرونه في دنياكم وتسألون ساخرين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟

وكما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج:٤٧].

هذا، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي يُقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٠٧٥).

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ
مُحۡسِنِينَ (١٦) كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ (١٧) وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ (١٨) وَفِيٓ
أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ (١٩) وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ
أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٢١) وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ
مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلۡمُتَّقِينَ - جَنَّٰتٖ - وَعُيُونٍ - ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ - يَهۡجَعُونَ - وَبِٱلۡأَسۡحَارِ - يَسۡتَغۡفِرُونَ - لِّلسَّآئِلِ - وَٱلۡمَحۡرُومِ - ءَايَٰتٞ - لِّلۡمُوقِنِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم بطاعته واجتناب معاصيه.
﴿جَنَّٰتٖ﴾	بساتين.
﴿وَعُيُونٍ﴾	عيون ماء.
﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾	قابلين ما رزقهم الله في الجنة، وما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات وراضين به.

﴿يَهْجَعُونَ﴾	ينامون[١]، والهجوع النوم ليلاً.
﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾	أواخر الليل.
﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾	يطلبون من الله المغفرة.
﴿لِلسَّائِلِ﴾	الذي يسأل الناس.
﴿وَالْمَحْرُومِ﴾	هو الذي حُرم المال ثم للعلماء في تعيينه أقوال منها: الذي ليس له في الإسلام سهم. الذي ليس له سهم في الغنيمة. المتعفف الذي لا يسأل ربه[٢]. الذي ذهب ثمره وزرعه[٣] وماله.
﴿آيَاتٌ﴾	عِبرٌ وعظات ـ دلالات.
﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾	أهل اليقين ـ الذين يوقنون بما أخبرهم به ربهم كأنهم يرونه رأي العين.

❀❀❀

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن هؤلاء المتقين كانوا في دنياهم عاملين بطاعة الله آخذين ما أمروا به بجدٍّ واجتهاد مقيمين للفرائض ليسوا بمضيعين لها.

وذلك كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] أي اقبله واعمل بما فيه

---

(١) والذي اختاره ابن جرير في (ما) أنها مصدرية وقوله: ﴿ما يهجعون﴾ أي هجوعهم أي نومهم كان قليلاً بالليل، وثمَّ قول آخر: أن ما نافية، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون، قلَّما يرقدون ليلة حتى الصباح.

(٢) انظر الطبري رحمه الله (٤٥٩).

(٣) مستنده قول أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿بل نحن محرومون﴾.

بجدٍّ واجتهادٍ، ومبادرة وامتثال.

أما قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي كانوا أيضًا قبل أن تفرض عليهم الفرائض مطيعين لله محسنين في أفعالهم فاعلين النفل قبل الفرض.

هذا، وهناك قولٌ آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وهو أقوى من القول الأول، وأولى منه، ألا وهو أن قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ منصوب على الحال فالمعنى في جناتٍ وعيونٍ في حال أخذ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم ربهم من الكرامات في الجنات، فقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي قابلين ما تفضل به عليهم ربهم راضين به شاكرين له حامدين.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرَّت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلًا، ولا يبغون عنه حولًا، وكلٌّ قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد.

والمعنى الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿مُحْسِنِينَ﴾ وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، أن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم. وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع، والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك من وجوه البر، وطرق الخيرات، حتى

إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين والإحسان إلى المماليك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة، ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؟

ج: صح[1] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ما بين المغرب والعشاء.

وصح عن مطرفٍ أنه قال: قلَّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها، وفي رواية أخرى عنه: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله، إما من أوَّلها، وإما من وسطها.

وصح عن الحسن أنه قال: كانوا لا ينامون منه إلا قليلًا. ونحوه صح عن الأحنف بن قيس.

وثَمَّ أقوال أُخر تدور في هذه المعاني:

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قول من قال: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحًا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقرّبهم منه ويرضيه عنهم، أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

---

(١) الطبري (٣٢١٠١).

ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهُجوع: النَّوم بالليل دون النهار. وفي (ما) قولان:

أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: **أحدهما**: كانوا يسهرون قليلًا من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: وهو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلًا من الليل. واختار قومٌ الوقفَ على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ على معنى: كانوا من الناس قليلًا، ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى نفي النوم عنهم البتَّة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل.

والقول الثاني: أن (ما) بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلًا من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهري. وعلى هذا يحتمل أن تكون (ما) زائدة.

❀❀❀

س: اذكر بعض الوارد في فضل قيام الليل؟

ج: قد تقدم من ذلك شيءٌ كثير في تفسير سورة المزمل عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:٢]، وإضافة إلى ما هنالك فقد قال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] على قولٍ لبعض المفسرين.

وقال ﷺ: «**لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الله القرآن وقام به آناء الليل...**» الحديث[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

وقال ﷺ: «يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر»(١).

وقال ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»(٢).

وقال ﷺ: «**وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»(٣).

وثَمَّ أدلة أخرى تأتي في موطنها إن شاء الله.

❀❀❀

س: اذكر بعض الوارد في فضل الاستغفار عند السحر؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»(٤).

❀❀❀

س: هل من رابط بين قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وقوله: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؟

ج: ذكر البعض مناسبةً لذلك حاصلُها أنهم يقومون من الليل يصلون، ويستغفرون لتقصيرهم في هذا القيام، قالوا: وهذا شأن أهل الإيمان يعملون صالحًا ويسألون ربهم المغفرة والقبول.

---

(١) أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح (حديث ١٤١٦).

(٢) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) مسلم (١١٦٣).

(٤) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٣٦).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ ومع ذلك يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآيات [البقرة:١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٥].

قال الرازي رحمه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به.

وفيه وجه آخر ألطف منه، وهو أنه تعالى لما بين أنهم يهجعون قليلًا، والهجوع مقتضى الطبع، قال: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي من ذلك القدر من النوم القليل، وفيه لطيفة أخرى تنبيهًا في جواب سؤال، وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوع، ولم يمدحهم بكثرة السهر، وما قال: كانوا كثيرًا من الليل ما يسهرون، فما الحكمة فيه، مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع؟ نقول إشارة إلى أن نومهم عبادة، حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلًا، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، وهو الاستغفار في وجوه الأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار.

❀❀❀

س: ما المراد بهذا الحق؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه الزكاة المفروضة.

الثاني: أنه حق آخر جعلوه على أنفسهم غير الزكاة.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ مدح ثالث. قال محمد بن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة، وقيل: إنه حقّ سوى الزكاة يصل به رَحمًا، أو يَقري به ضيفًا، أو يحمل به كَلاًّ، أو يغني محرومًا، وقاله ابن عباس؛ لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة، ابن العربي: والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة؛ لقوله تعالى في سورة «المعارج»: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحق المعلوم هو الزكاة التي بيَّن الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدَّر ولا مجنَّس ولا موقَّت.

❀❀❀

س: ما مدى صحة هذا الحديث «للسائل حق وإن جاء على فرس»؟ ومن أخرجه؟

ج: هذا الحديث لا يثبت بوجه من الوجوه عن رسول الله ﷺ في كل الطرق التي وقفت عليها فكلها طرق ضعيفة الأسانيد وتالفة، وقد أخرج بعضها أبو داود(١) في سننه، وأحمد(٢) في مسنده وابن عدي في الكامل وغيرهم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وفي الأرض عبرٌ وعظاتٌ لأهل اليقين وأهل الإيقاظ وأهل الاعتبار، وذلك إذا ساروا في الأرض ونظروا نظر المعتبرين المتعظين.

---

(١) انظر سنن أبي داود (١٦٦٥، ١٦٦٦)،

(٢) وأحمد في المسند (١/ ٢٠١).

وكذا فيها دلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، وعظمتنا يستدل بها أهل اليقين الذين يوقنون بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا هم ساروا فيها ومشوا في مناكبها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عَظَمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقُوَى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحَلِّ الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عَرَف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ لما ذكر أمر الفريقين بيّن أن في الأرض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور؛ فمنها عود النبات بعد أن صار هشيمًا، ومنها أنه قدَّر الأقوات فيها قوامًا للحيوانات، ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذِّبة، والموقنون هم العارفون المحقّقون وحدانية ربهم، وصدق نبوّة نبيهم؛ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وفي أنفسكم أيها الناس عبرٌ وعِظاتٌ ودلالاتٌ على قدرتنا ووحدانيتنا وعظمتنا ومن هذه العِبر والعظات ما يراه الشخص في نفسه عند إرادته أن يبول.

وإذا نظر كذلك إلى خروج المني، وكذلك إذا انظر إلى عضلات التحكم في نفسه، وكيف يبزق وكيف يمتخط وكيف العطاس، وكذا إذا نظر إلى تراكيب جسمه، وإلى لونه وكيف يختلف فيه عن سائر الناس، وإلى بصماته، وإلى المحبة المقذوفة في قلبه لأشخاص، وإلى بعض أشخاصٍ آخرين وإلى عقله وكيف يفكر، وكذا إلى نومه واستيقاظه، وقيامه وقعوده، وعموم أحواله، إذا نظر إلى ذلك كله يوجد في ذلك عبرٌ وعظاتٌ، ودلالات على وحدانية الله عزَّ وجلَّ.

هذا، وقد صح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] قال: وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر، وهذا الكلام الذي يتلجلج به، وهذا القلب أي شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو؟

قال الطبري[(١)] رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضًا أيها الناس آيات وعبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل، فإنه خلقهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، إلى أن ينفخ فيهم الروح، ثم تختلف بعد ذلك صورهم، وألوانهم، وطبائعهم، وألسنتهم، ثم نفس خلقهم على هذه الصورة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس

---

(١) الطبري (٣٢١٧٩).

ومجاري ومنافس، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها، دع الأسماع والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح، وتأتِّيها لما خلقت له، وما سوى ذلك في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، فإنه إذا جسا منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وقيل: يريد اختلاف الألسن والصور والألوان والطبائع، وقيل يريد سبيلي الغائط والبول، يأكل ويشرب، من مدخل واحد، ويخرج من سبيلين، وقيل: المراد بالأنفس الأرواح، أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات، ولا وجه لتخصيص شيء دون شيء، بل اللفظ أوسع من ذلك.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: تنظرون بعين البصيرة والعبرة الأرض وما فيها، والأنفس وما فيها، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية، وأنه لا شريك له ولا ضد، ولا ند، وأن وعده الحق، وقوله الحق، وأن ما جاءت إليكم به رسله هو الحق الذي لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين، وقال قتادة: المعنى: من سار في الأرض رأى آياتٍ وعبرًا، ومن تفكر في نفسه علم أنه خُلق ليعبد الله.

ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول، وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبنًا محضًا لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس، وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

السدي: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي في حياتكم وموتكم، وفيها يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: وفي الهَرَم بعد الشباب، والضعف بعد القوّة، والشيب بعد السواد.

وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصُّوَر، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصَّت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتِّيها لما خُلِقت له، وما سَوَّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، وأنه إذا جسا شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته.

وقيل: إنه نُجْح العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار، وقد قدَّمنا في آية التوحيد من سورة «البقرة» أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالَم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.

❀❀❀

س: ما المراد بالرزق في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾؟

ج: قال عدد مَن العلماء: المراد بالرزق هنا المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض ثمرتها وتخرج للناس رزقهم وقُوتَهم من الطعام.

وقال آخرون: المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم.

ونُقل[١] هذا التأويل عن واصل الأحدب.

---

(١) وهو عند الطبري (٣٢١٨٦) بسندٍ فيه ابن حميد وفي ابن حميد ضعفٌ.

وثمَّ وجه آخر: ألا وهو أن الرزق مكتوب عند الله عزَّ وجل وقد استفاض في ذلك القرطبي فقال: قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق.

قال سعيد بن جبير: كل عين قائمة فإنها من الثلج، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحرَمونه بخطايكم.

وقال أهل المعاني: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ معناه وفي المطر رزقكم؛ سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر:

إذا سقَط السماءُ بأرضِ قَومٍ رعيناه وإن كانوا غِضَابَا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى ربِّ السماء رزقكم؛ نظيره: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال سفيان الثوري: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي عند الله في السماء رزقكم.

وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن سفيان قال: قرأ واصل الأحدب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خَرِبة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا فإذا هو في الثالثة بدوخلةٍ رُطبٍ، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرَّق الله بالموت بينهما، وقرأ ابن محيصن ومجاهد ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رَازِقُكُم﴾ بالألف وكذلك في آخرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر. وقال غيره: من خير خاصة.

وقيل: الشر خاصة، وقيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة. الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار. وقال ابن سيرين: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة، وقاله الربيع.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ وفي السماء الذي توعدون به.

قال بعض العلماء: ما توعدون به من خيرٍ، وهو الجنة، فالجنة في السماء.

وقال غيرهم: وما توعدون به من خيرٍ أو شرٍّ.

وقال آخرون: وما توعدون من الجنة والنار.

والذي يظهر أن النار ليست في السماء إنما هي في سبع أرضين.

إلا أن الطبري ذهب إلى ما رُوي عن مجاهد من أن قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال: وما توعدون من خيرٍ أو شرٍّ فقال الطبري: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الذي قاله مجاهد لأن الله عمَّ الخبر بقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ عن كل ما وعدنا من خير أو شرٍّ، ولم يخصص بذلك بعضًا دون بعض فهو على عمومه كما عمه الله جل ثناؤه.

قال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد[1]. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمر مجازه: عند مَنْ في السماء رزقُكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضْمر، قال نابغة ذبيان:

كأنَّكَ مِنْ جِمالِ بَني أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

أراد: كأنك جملٌ من جمال بني أُقَيش.

❀❀❀

---

(١) ليث هو ابن أبي سليم ضعيف لاختلاطه، وكذا الأسانيد التي قبله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد فيها كلام.

س: أين الجنة؟ وما الدليل؟

ج: الجنة فوق السماء السابعة؛ قال الله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:١٤-١٥] وسدرة المنتهى رآها النبي ﷺ بعد أن تجاوز السماء السابعة[١].

ويستدل على أن الجنة في السماء بقوله أيضًا: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

❀❀❀

س: أقسم ربنا سبحانه وتعالى بنفسه في عدة مواطن من كتابه، اذكر بعضها[٢]؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس:٥] أي والذي بناها، وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣].

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ عائدٌ على ما أخبر الله به من أن رزقنا في السماء، وكذلك في السماء ما نُوعد.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، تأكدوا أن ما أخبركم به حق كما أنكم متأكدون إذا

(١) وسيأتي إن شاء الله تخريج الحديث بذلك في سورة النجم.

(٢) ورد في هذا الصدد خبرٌ مرسل (ضعيف السند لإرساله) عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا» أخرجه الطبري وغيره ومراسيل الحسن من أضعف المراسيل وإن كان المتن في نفسه يصح، والله أعلم.

تكلمتم أنكم تتكلمون فإنكم إذا تكلمتم بألسنتكم خرج الكلام عن حد الهواجس والوساوس التي في النفس إلى شيءٍ واضح ظاهر جلي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أنَّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ ـ رضي الله عنه ـ إذا حَدَّث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا الحق كما أنك ههنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أكَّد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحقٌّ ثم أكده بقوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ وخصَّ النطق من بين سائر الحواسّ؛ لأن ما سواه من الحواسّ يدخله التشبيه، كالذي يُرى في المرآة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدويّ والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يُعتَرض بالصَّدَى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مَشُوب بما يشكل به، وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.

❁❁❁

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ
امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ
هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا
مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً
لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

س: اذكر معنى ما يلي.

﴿هَلْ أَتَاكَ - حَدِيثُ - ضَيْفِ - الْمُكْرَمِينَ - سَلَامٌ - قَوْمٌ مُنْكَرُونَ - فَرَاغَ - بِعِجْلٍ - فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - عَلِيمٍ - فِي صَرَّةٍ - فَصَكَّتْ - عَقِيمٌ - فَمَا خَطْبُكُمْ - لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ - مُسَوَّمَةً - لِلْمُسْرِفِينَ - آيَةً﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَلْ أَتَاكَ﴾	ألم يأتك ـ قد أتاك.
﴿حَدِيثُ﴾	قصة ـ خبر.
﴿ضَيْفِ﴾	ضيوفٌ ـ أضيافٌ.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾	الذين أُكرموا (أكرمهم إبراهيم عليه السلام وأكرمتهم زوجته) ـ والمكرمين عند الله ـ بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦].
﴿سَلَٰمٌ﴾	سلام عليكم.
﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾	قوم غير معروفين لدينا ـ قوم غرباء لا نعرفهم.
﴿فَرَاغَ﴾	عدل إلى أهله ـ رجع إلى أهله (في خفاء وسرعة) (١). قال بعض العلماء: ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك.
﴿بِعِجْلٍ﴾	عجلٌ من البقر (٢).
﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	أحس في نفسه خوفًا منهم (٣) ـ أضمر خوفًا في نفسه.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم (إذا كبر) ذي علم كثير (٤).
﴿فِي صَرَّةٍ﴾	في صيحةٍ ـ رنةٍ (٥).
﴿فَصَكَّتْ﴾	ضربت جبهتها بيدها تعجبًا ـ لطمت.
﴿عَقِيمٌ﴾	لا تلد ـ ليس لها ولد.
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾	لننزل عليهم ـ لنرجمهم.

(١) قال القرطبي رحمه الله: ويُقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

(٢) أورد الطبري (٣٢١٩٣) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر.

(٣) قال بعض العلماء: ومن أخلاق الناس أنهم إذا أكلوا عند قوم أمنوه، ولم يخشوه.

(٤) روى ذلك الطبري (٣٢١٩٨) بإسنادٍ حسن عن قتادة. وقد قيل إن هذه الصرخة هي قولها: ﴿يا ويلتا﴾، والله أعلم.

(٥) ومنه صرير الباب أي صوته.

﴿مُسَوَّمَةً﴾	مُعلَّمة ـ مختومة، (قيل: حجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو حجر أسود فيه نقطة بيضاء)، وقيل: إن كل حجر عليه اسم صاحبه.
﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾	الذين تعدوا حدود الله ـ الكافرين ـ وقيل: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور بإتيانهم الذكور.
﴿ءَايَةً﴾	عبرة

❁❁❁

س: ما الفائدة من إخبار الله عزَّ وجل نبيه محمدًا ﷺ بقصة ضيف إبراهيم وما بعدها من القصص؟

ج: الفائدة من ذلك ـ والله أعلم ـ تصبير النبي ﷺ على الأذى الذي يلاقيه من قومه فالله ناصره كما أنه سبحانه وتعالى نصر من كان قبله من الأنبياء والمرسلين.

وكذا من الفوائد تذكير قومه المكذبين له بما حلَّ بمن كذب المرسلين حتى يراجعوا أمرهم ويرجعوا عن غيِّهم وضلالهم.

فضلاً عن ذلك كله فثمَّ فوائد متناثرة بين ثنايا هذه القصص المباركة المذكورة، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محل بمن تمادى في غيه، وأصرّ على كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلّ بمن قبله من الأمم الخالية، ومذكرًا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم: هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.



س: هل يجوز أن تتمثل الملائكة في صورة بشرٍ ويراها البشر؟

ج: نعم هذا جائز ووارد، فقد تمثلت الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وكذا تمثَّلت للوطٍ عليه السلام، وكذا تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشرًا سويًّا وكذا في حديث الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل أتاهم ملك في صورة رجل.

وكذا حديث عمر عند مسلم في قصة مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منهم أحدٌ...

إلى غير ذلك من الوقائع.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾؟

ج: المراد قال إبراهيم عليه السلام لهم: سلام عليكم.

❀❀❀

س: لماذا لم يرد إبراهيم بقوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ كما بدأته الملائكة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب فَرَدُّه أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

أما الرازي فقد فصَّل في ذلك تفصيلًا واسعًا على عادته في مثل هذه المواطن فقال:

لماذا اختلف إعراب السلامين في القراءة المشهورة؟ نقول: نبين أولًا وجوه

النصب والرفع، ثم نبين وجوه الاختلاف في الإعراب، أما النصب فيحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور، ونصبه حينئذ على المصدر تقديره نسلم سلامًا.

ثانيها: هو أن يكون السلام نوعًا من أنواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من أن يلغو أو يأثم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسنًا سلموا من الإثم، وحينئذ يكون مفعولًا للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال: قال فلان كلامًا، ولا يكون هذا من باب ضربه سوطًا لأن المضروب هناك ليس هو السوط، وههنا القول هو الكلام فسره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾.

ثالثها: أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره نبلغك سلامًا، لا يقال على هذا إن المراد لو كان ذلك لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولا كان يقرب إليهم الطعام، ولمَّا قال: نكرهم وأوجس لأنا نقول: جاز أن يقال: إنهم قالوا: نبلغك سلامًا ولم يقولوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام ممن تبلغون لي السلام، وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر العظيم إلا بالتدريج فلما كانت هيبتهم عظيمة، فلو ضموا إليه الأمر العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لانزعج إبراهيم عليه السلام، ثم إن إبراهيم عليه السلام اشتغل بإكرامهم عن سؤالهم وأخَّر السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين السلام والسؤال عمن منه السلام هذا وجه النصب، وأما الرفع فنقول: يحتمل أن المراد منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضًا، وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم، وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره قال: جوابه سلام، ويحتمل أن يكون المراد قولًا يسلم به أو ينبئ عن السلامة فيكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمري سلام بمعنى مسالمة لا تعلق بيني وبينكم لأني لا أعرفكم، أو يكون المبتدأ

قولكم، وتقديره: قولكم سلام ينبئ عن السلامة وأنتم قوم منكرون فما خطبكم فإن الأمر أشكل علي، وهذا ما يحتمل أن يقال في النصب والرفع، وأما الفرق فنقول: أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين بمعنى التحية فنقول: الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى.

أما من حيث اللفظ: فنقول سلام عليك إنما جُوِّز واستُحْسِنَ لكونه مبتدأ وهو نكرة، من حيث إنه كالمتروك على أصله؛ لأن الأصل أن يكون منصوبًا على تقدير أسلم سلامًا وعليك يكون لبيان من أريد بالسلام، ولا يكون لعليك حظ من المعنى غير ذلك البيان. فيكون كالخارج عن الكلام، والكلام التام أسلم سلامًا، كما أنك تقول: ضربت زيدًا على السطح يكون على السطح خارجًا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية، فإذا كان الأمر كذلك وكان السلام والأدعية كثير الوقوع، قالوا: نعدل عن الجملة الفعلية إلى الإسمية ونجعل لعليك حظًّا في الكلام، فنقول: سلام عليك، فتصير عليك لفائدة لا بد منها، وهي الخبرية، ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب، إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع مأخوذ منه، والأصل مقدم على المأخوذ منه، فقال: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ قدم الأصل على المتفرع منه.

وأما من حيث المعنى: فذلك لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن، فأتى بالجملة الإسمية فإنها أدل على الدوام والاستمرار، فإن قولنا جلس زيد لا ينبئ عنه لأن الفعل لا بد فيه من الإنباء عن التجدد والحدوث.

ولهذا لو قلت: الله موجود الآن لأثبت العقل الدوام إذ لا ينبئ عن التجدد، ولو قال قائل: وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل لما بينا فلما قالوا: سلامًا قال: سلام عليكم مستمر دائم، وأما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق، فإنهم قالوا قولًا ذا سلام، وقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الأمر علي، وإن قلنا المراد أمر مسالمة ومتاركة وهم سلموا عليه تسليمًا، فنقول

فيه جمع بين أمرين: تعظيم جانب الله، ورعاية قلب عباد الله، فإنه لو قال: سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز أن يكونوا على غير ذلك، فيكون الرسول قد أمنهم، فإن السلام أمان وأمان الرسول أمان المرسل فيكون فاعلًا للأمر من غير إذن الله نيابة عن الله فقال: أنتم سلمتم علي وأنا متوقف أمري متاركة لا تعلق بيننا إلى أن يتبين الحال.

ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال في مثل هذا المعنى للنبي ﷺ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾ ولم يقل قل سلامًا، وذلك لأن الأخيار المذكورين في القرآن لو سلموا على الجاهلين لا يكون ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم.

وأما النبي ﷺ لو سلم عليهم لصار ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم، فقال: قل سلام أي أمري معكم متاركة تركناه إلى أن يأتي الله بأمر.

وأما على قولنا بمعنى نبلغ سلامًا فنقول هم لما قالوا نبلغك سلامًا ولم يعلم إبراهيم عليه السلام أنه ممن قال سلام أي إن كان من الله فإن هذا منه قد ازداد به شرفي وإلا فقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أتشرف بسلام غيره، وهذا ما يمكن أن يقال فيه. والله أعلم بمراده والأول والثاني عليهما الاعتماد فإنهما أقوى وقد قيل بهما.

❀❀❀

س: على أي أساس رفع قوله: ﴿مُّنكَرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

ورُفِعَ ﴿مُّنكَرُونَ﴾ بإضمار أنتم.

❀❀❀

س: يؤخذ من قصة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه مشروعية تعريف القادم بنفسه وضح ذلك مع مزيد من الأدلة إن وجدت؟

ج: إيضاحه من قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي سلام عليكم فأنتم قوم منكرون فأحب أن تعرِّفوني بأنفسكم.

وفي الباب من الأدلة: مجيء القوم من ربيعة إلى النبي ﷺ وقولهم له إنَّا هذا الحي من ربيعة لا نستطيع أن نصل إليك إلا في الشهر الحرام، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من القوم؟ أو من الوفد؟».

❀❀❀

س: هل وردت لهؤلاء الملائكة أسماء؟

ج: لم ترد تسميتهم في كتابٍ أو في سُنةٍ فيما علمت وقد ذكر الحافظ ابن كثير وغيره أنهم جبريل وإسرافيل وميكائيل، قال: قدموا عيه في صور شباب حسان عليهم مهابة عظيمة.

وقوله هذا في تسميتهم يفتقر إلى الدليل، والله أعلم.

❀❀❀

س: ما صحة الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ في شأن البقرة: «لحومها داء»؟

ج: هذه اللفظة ضعيفةٌ منكرةٌ.

أما نكارتها: فلأن الله سبحانه وتعالى أنزل الأنعام الثمانية ومنها البقر للناس وأحلها لهم، والله يحل للبشر الطيبات.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزُّمَر:٦]، وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ...﴾ [الأنعام:١٤٣]، وفيها: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام:١٤٤].

أيضًا فقد قرَّب إبراهيم عليه السلام لأضيافه عجلًا سمينًا، وكذلك فإن النبي ﷺ ضحَّى عن نسائه بالبقر[١].

أما عن ضعف السند:

فقد أخرج الحديث الحاكم[٢] في المستدرك وفي سنده سيف بن مسكين وهو كذاب.

ووردت للحديث طريق أخرى فيها ضعف وجهالة.

❀❀❀

س: هل من فائدة في التقييد بقوله تعالى: ﴿سَمِينٍ﴾؟

ج: نعم، وفائدة ذلك بيان زيادة الإكرام.

❀❀❀

س: هل هناك تعارض بين قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾؟

ج: لا تعارض بين الآيتين، فقوله ﴿سَمِينٍ﴾ وصف للعجل وقوله﴿حَنِيذٍ﴾ بيان لطريقة الطهي.

❀❀❀

س: في قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ كلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه وضح ذلك؟

ج: هذا الكلام المتروك ـ والله أعلم ـ هو فلم يأكلوا ـ أو فأمسكوا عن الطعام ـ.

فيكون المعنى فقربه إليهم قائلاً ألا تأكلون فأمسكوا عن الطعام فأوجس منهم

---

(١) البخاري (٥٥٤٨)، ومسلم في طرق حديث (١٢١١).

(٢) الحاكم (٤/ ٤٠٤).

خيفة لكونهم أمسكوا عن الطعام.

❀❀❀

س: وضح الأدب المستفاد من قول الخليل إبراهيم عليه السلام للأضياف: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

ج: هذا تلطف في العبارة وحُسنٌ في العرض، فكأنه قال: ألا تتفضلون علينا بالأكل من طعامنا، فأكلكم من طعامنا يُسعدنا، والمنة منكم علينا إذا أكلتم طعامنا.

وهذا يختلف بلا شكٍّ عن رجل قال تعال أطعمك.

❀❀❀

س: لماذا أوجس إبراهيم عليه السلام في نفسه خيفة من الأضياف؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لكونه رآهم لا يأكلون ففي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠] ومن المعهود أن الرجل إذا دخل عند قوم فأكل عندهم اطمأنوا إليه واستأنسوا به، أما إذا دخل عندهم فلم يأكل فكأنه يُضمر لهم شرًّا، وعندنا في المثل المِصري: (أكلنا سويًّا عيشًا وملحًا) وهذا دالٌّ فيما يبدو على أن الأكل سويًّا يستلزم وفاءً لا غدرًا.

ولكن الملائكة لم تكن تضمر شرًّا لإبراهيم عليه السلام، ولكن لكونهم ملائكة فإنهم لا يأكلون.

❀❀❀

س: من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ يؤخذ أدب من آداب التعامل مع الناس، وضح هذا الأدب، مع مزيد من الاستدلالات له؟

ج: إيضاحه أن الشخص إذا وجد من أمامه خائفًا شُرع له أن يطمئنه ويجتهد في إذهاب الروع عنه فالملائكة لما رأوا إبراهيم عليه السلام وما حلَّ به من الخوف والروع،

طمأنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بغلام عليم.

أما عن أدلةٍ أُخر في هذا الباب، فنحو ذلك في قصة الخِصْم الذين تسوروا المحراب: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

وقد ورد في الباب أيضًا نهيُ النبي ﷺ عن ترويع المؤمنين[1].

وورد أيضًا نهي النبي ﷺ عن المرور في الأسواق بالسيوف التي سُلَّت من غمدها[2].

وورد أيضًا عنه ﷺ حديث: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادًّا ولا لاعبًا»[3].

❀❀❀

س: من هذا الغلام العليم الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام، وما اسم امرأته هذه؟

ج: الظاهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أنه إسحاق، وقد دلَّ على ذلك سياق القصة المذكور في سورة هود، فقد قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١].

وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وعلَّل ذلك بقوله: وإنما قلت عني به إسحاق لأن البشارة كانت بالولد من سارة وإسماعيل لهاجر لا لسارة.

أما امرأته فهي سارة عليها السلام.

❀❀❀

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢) بلفظ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥) من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا ـ أو في سوقنا ـ ومعه نبل فليمسك على نصالها ـ أو قال: فليقبض بكفِّه ـ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء.

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٥/ ٢٧٣) وعبد بن حميد (٤٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٢١).

س: في بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام نوع إعجاز وضحه، ووضح المستفاد منه؟

ج: إيضاحه أن الله سبحانه وتعالى بشَّر نبيه إبراهيم عليه السلام، وهو على الكبر، وزوجته كانت عاقرًا لا تلد طيلة شبابها ثم أصبحت عجوزًا فهي موانع ثلاث من الإنجاب كونها قد بلغت سنًّا لا تلد معه النساء، وكذلك فهي عقيم رحمها غير صالح للولادة، وزوجها شيخ كبير، ومع ذلك كله فقد بشرتها الملائكة بالغلام العليم، وقد كان ما بشروهما به، فهذا دال على قدرة الله عزَّ وجل هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن الشخص منَّا لا ينبغي أن ييأس من رَوْح الله، ولا أن يقنط من رحمته، بل عليه أن يدعو ربه ويدعوه ويدعوه ويواصل الدعاء، فيستجاب لأحدنا ما لم يستعجل كما قال النبي ﷺ[1].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ إنه هو الحكيم في تدبير خلقه، العليم بمصالحهم، وبما كان، وبما هو كائن. قاله الطبري.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ هكذا قال ربك أي كما أخبرناك وقلنا لك قاله الطبري.

والمعنى أيضًا: أن الله الذي قدَّر ذلك وأمضاه فلا عجب في قدرة الله.

---

(١) أخرج البخاري في الدعوات باب (٢٢)، ومسلم (واللفظ له (جـ ١٧/ ٥١) مع النووي) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي».

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

فهو سبحانه حكيم في أقواله وفي أفعاله، فهذا الغلام الذي بُشرت به سارة عليها السلام هو إسحاق كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ فهذا النبي الكريم إسحاق رزق بيعقوب ويعقوب رزق بالأسباط الأحد عشر الذين هم إخوة يوسف عليه السلام وكان عموم الأنبياء بعد إسحاق من ذرية يعقوب كما قاله عددٌ من العلماء ـ باستثناء نبينا محمد ﷺ ـ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي جعل الله كلمة التوحيد باقية في نسل يعقوب عليه السلام.

أما قوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فالمراد ـ والله أعلم ـ: أنه عليم بكم وبنواياكم وبما تستحقون من الكرامة، وعليم بكل شيء. والله أعلم.

❀❀❀

س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف طائفة من الحِكم والفوائد والأحكام، وضح ذلك.

ج: ذَكر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) طائفة من هذه الفوائد والحِكم فقال:

منها: أن من الحكمة، أن قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بهم، وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضيلة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث ابتدأ الله قصته بها يدل على الاهتمام بشأنها والاعتناء بها.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمدًا وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم. ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولًا وفعلًا، ومكرمون أيضًا عند الله.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في ابتداء السلام، فرد عليهم إبراهيم سلامًا، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى.

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرَى أضيافه.

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما منَّ الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرًا لديه، وفي بيته مُعَدًّا، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيد من ضيَّف الضيفان.

ومنها: أنه قرَّبه إليهم في المكان الذي هم فيه. فلم يجعله في موضع ويقول لهم: (تفضلوا، أو ائتوا عليه) لأن هذا أيسر وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه. فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تتفضلون) أو (تشرفوننا وتحسنون إلينا) ونحو ذلك.

ومنها: أن من خاف من أحد، لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمّن روعه، ويسكّن جأشه.

كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وأخبروه بتلك البشارة، السارة، بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة ـ امرأة إبراهيم ـ حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها وصَرَّتها غير المعهود.

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولًا فقال: (نأتيكم بطعام؟) بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه. وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق، فافعل.

❀❀❀

س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف جملة من الثناءات على خليل الله إبراهيم عليه السلام، وضحها.

ج: ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «التفسير القيم» فقال:

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين: أنه بإكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله. ولا تنافي بين القولين: فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم. ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم. فصار منزله مضيفة مطروقًا لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل إليه دخوله. وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بالرفع. وهم سلموا عليه بالنصب. والسلام بالرفع أكمل. فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد. فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم. فإن قولهم: ﴿سَلَٰمًا﴾ يدل على: سلمنا سلامًا وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول، وحذف فاعله، فقال: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (إني أنكركم)، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بنُزُلهم. والروغان: هو الذهاب في اختفاء بحيث يكاد لا يشعر به. وهذا من كرم رب المنزل المضيِّف: أن يذهب في اختفاء بحيث

لا يعشر به الضيف، فيشق عليه ويستحي. فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه وهو يقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله، فجاء بالضيافة. فدل على أن ذلك كان معدًّا عندهم مهيئًا للضيفان. ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه، أو يستقرضه.

الثامن: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ يدل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببضعة منه. وهذا من تمام كرمه ﷺ.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، فمعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قربه إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمه بذلك.

الثاني عشر: أنه قربه إليهم، ولم يقربهم إليه. وهذا أبلغ في الكرامة: أن تُجْلِسَ الضيف ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وهذا عَرْض وتلطف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مدوا أيديكم ونحوها. وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه. ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدق؟ أو ألا تجبر؟ ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولهذا أوجس منهم خيفة، أي أحسها

وأضمرها في نفسه، ولم يبدها لهم. وهو:

الوجه الخامس عشر: فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم الخوف منهم، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بالغلام الحليم.

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف: إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم. وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا. فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما، وعلى سائر النبيين.

❀❀❀

س: ما فائدة ذِكر الطين هنا، وقد عُلم أن هناك ما هو أقوى من الطين؟

ج: قال بعض العلماء:

ذلك ليعلم أنها ليست حجارة الثلج والبرد النازلين من السماء، ولكنها حجارة من طين يتحجر كما قال تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢].

وقال آخرون من العلماء:

هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تصير حجارةً بإحراق الشمس إياها على مر الدهور.

هذا، وقد قال بعض العلماء في تفسير السجيل:

إنه طين قد طُبخ بالنار حتى صار في صلابة الحجارة، والله تعالى أعلم.

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

ج: قال الرازي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه وجوه:

أحدها: مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به.

ثانيها: أنها خلقت باسمهم ولتعذيبهم بخلاف سائر الأحجار فإنها مخلوقة للانتفاع في الأبنية وغيرها.

ثالثها: مرسلة للمجرمين لأن الإرسال يقال في السوائم يقال: أرسلها لترعى فيجوز أن يقول: سومها بمعنى أرسلها وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران:١٤] إشارة إلى الاستغناء عنها وأنها ليست للركوب ليكون أدل على الغنى، كما قال: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران:١٤] .

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ إشارة إلى خلاف ما يقول الطبيعيون إن الحجارة إذا أصابت واحدًا من الناس فذلك نوع من الاتفاق فإنها تنزل بطبعها يتفق شخص لها فتصيبه فقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي في أول ما خلق وأرسل إذا علم هذا فإنما كان ذلك على قصد إهلاك المسرفين.

فإن قيل: إذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين فكيف قالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ مع أن المسرف غير المجرم في اللغة؟ نقول: المجرم هو الآتي بالذنب العظيم لأن الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمة مقداره، والمسرف هو الآتي بالكبيرة، ومن أسرف ولو في الصغائر يصير مجرمًا لأن الصغير إلى الصغير إذا انضم صار كبيرًا، ومن أجرم فقد أسرف لأنه أتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة فالوصفان اجتمعا فيهم.

لكن فيه لطيفة معنوية، وهي أن الله تعالى سومها للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم والعلم بالأمور المستقبلة عند الله تعالى، يعلم أنهم مسرفون فأمر الملائكة بإرسالها عليهم، وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمون فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ نعلمهم ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ لنرسل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصر ويسرف ولزم من هذا علمنا بأنهم لو عاشوا سنين لتمادوا في الإجرام، فإن قيل اللام لتعريف

الجنس أو لتعريف العهد؟ نقول: لتعريف العهد أي: مسومة لهؤلاء المسرفين إذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة، فإن قيل ما إسرافهم؟ نقول ما دل عليه قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف:٨٠] أي لم يبلغ مبلغكم أحد.

❀❀❀

س: بيتُ من الذي ذكر الله في كتابه إذ قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: هو بيت نبي الله لوط عليه السلام ـ باستثناء امرأته ـ.

❀❀❀

س: الكفر والفسق والظلم إذا تفشوا حلَّ العذاب على القوم جميعًا، وإن كان في أوساطهم من يؤمن بالله، وفي المقابل إذا كان الأغلب أهل خيرٍ وصلاح لا يضرهم وجود قلة منحرفة في أوساطهم إذا كانت الغلبة لأهل الخير والصلاح دلِّل على ذلك.

ج: أما الدليل على الأول فمنه ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، فمن ثمَّ نزل العذاب عليهم وحلَّ البلاء بهم، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

وقول أم المؤمنين لرسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

ومن الدليل على الثاني: قول الله ـ عز وجل ـ في الحديث القدسي: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

ثم إن قرن النبي ﷺ كان خير قرن رغم ما فيه من أهل النفاق، لكن لما كانت

الغلبة للخير قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الكفر إذا غلب والفسق إذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين، بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون، وقيل في مثاله إن العالم كبدن ووجود الصالحين كالأغذية الباردة، والحارة، والكفار والفساق كالسموم الواردة عليه الضارة، ثم إ ن البدن إن خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وإن خلا عن المضار وفيه المنافع طاب عيشة ونما، وإن وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب. فكذلك البلاد والعباد.

والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة، والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه، فإذا سمي المؤمن مسلمًا لا يدل على اتحاد مفهوميهما، فكأنه تعالى قال: (أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتًا من المسلمين)، ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا كما لو قال قائل لغيره: من في البيت من الناس؟ فيقول له: ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد، فيكون مخبرًا له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد.

❀❀❀

س: احتج بهاتين الآيتين من لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام فما مدى صحة هذا الاستدلال؟

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير:

احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

❀❀❀

س: هل هناك فارق بين الإسلام والإيمان في هاتين الآيتين: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: لا فارق بينهما ها هنا.

وقال آخرون: بل الإيمان هنا على بابه يطلق على تصديق القلب، والإسلام على الانقياد الظاهر، وقد قدمنا مزيدًا لهذا في تفسير سورة الحجرات عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجُرات:١٤].

قال القرطبي رحمه الله:

والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا. فسماهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» وغيرها. وقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره. وقد بيناه في غير موضع.

❀❀❀

س: أحيانًا يحل العذاب بالمؤمن المتواجد بين الظلمة، وأحيانًا يحفظه الله وينجيه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على الأول ـ وهو أن العذاب قد يحُلُّ بالمؤمن مع سائر الظلمة ـ ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقوله ﷺ، وقد سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث»[(١)].

وقوله ﷺ: «... يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[(٢)].

وعند الترمذي بسندٍ صحيح[(٣)] عن رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

أما الأدلة على إنجاء أهل الإيمان والانتقام من الظالمين فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك بالنسبة لمدائن قوم لوط قبل أن تُدمر، أخرج الله لوطًا وأهل بيته إلا امرأته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة، لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعل محلَّتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) أخرج البخاري (٢١١٨) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء (وهي الأرض الملساء) من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم»، قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال:...فذكر الحديث.

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢١٦٨).

ذلك عبرة للمؤمنين الذين ﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي عبرةً وعلامةً لأهل ذلك الزمان، ومن بعدهم، نظيره: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٣٥].

وقال الرازي: وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: المنتفع بها هو الخائف.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي في تلك القرى بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب. وهي تلك الأحجار أو صخر منضود أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب في تلك القرى فإنها ظاهرة بينة، وقيل: هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، فلا يفعل مثل فعلهم وإنما خص هؤلاء لأنهم الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم، ممن لا يخاف ذلك، وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد.

❋❋❋

س: كثيرًا ما تُترك للمجرمين الذين انتقم الله منهم آثارٌ حتى يعتبر بها من اعتبر ويتذكر بها من تذكر. اذكر جملة أدلةٍ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون ـ لما أغرقه وأهلكه ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم وببلادهم: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ

﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر:٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧، ١٣٨].

وقوله تعالى في شأن قوم ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢].

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة مع قوم لوط أيضًا: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وأيضًا فقد ترك الله سبحانه وتعالى سفينة نبي الله، نوح عليه السلام ذكرى يتذكرها من تذكر وعبرة يراها من اعتبر ويستفيد منها من استفاد، لقد تركت دليلًا على إنجاء الله أهل الإيمان وانتقامه من أهل الكفر والعصيان، فقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر:١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١].

❀❀❀

س: ما عقوبة من فَعل فِعلَ قوم لوط؟

ج: أولًا: قد ورد حديث عن رسول الله ﷺ أخرجه الترمذي وأبو داود

والبيهقي[١] وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» لكنه معلول ومستنكر.

أما عن أقوال أهل العلم: فقد أوجزها الإمام الترمذي رحمه الله تعالى فقال: واختلف أهل العلم في حد اللوطيّ، فرأى بعضهم أن عليه الرجم أحصن أو لم يحصن، وهذا قول مالكٍ والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم: الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعطاء ابن أبي رباح، وغيرهم قالوا: حد اللوطي حد الزاني، وهو قول الثوري وأهل الكوفة.

وقال ابن قدامة في «المغني»[٢]:

واختلفت الرواية عن أحمد ـ رحمه الله ـ في حده؛ فرُوي عنه، أنَّ حده الرجم، بكرًا كان أو ثيبًا، وهذا قولُ عليّ، وابن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن معمر، والزهريّ، وأبي حبيبٍ، وربيعة، ومالك، وإسحاق، وأحدُ قولي الشافعي. والروايةُ الثانية، أن حده حدُ الزاني. وبه قال سعيد بن المُسَيَّب، وعطاءٌ والحسنُ، والنَّخعي، وقتادة، والأوزاعي، وأبو يوسفَ، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وهو المشهورُ من قولي الشافعي.



(١) أبو داود (حديث ٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٥، ١٤٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٢).
(٢) ابن قدامة الحدود ص(٣٤٩).

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ
(٣٩) فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلۡعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ
تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ (٤٣) فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا
ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا
فَٰسِقِينَ (٤٦) وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ
ٱلۡمَٰهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي
لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥٠) وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٥١)
كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ
قَوۡمٞ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ (٥٤) وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ (٥٩) فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ - بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ - فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ - وَهُوَ مُلِيمٞ - ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ - كَٱلرَّمِيمِ -

فَعَتَوۡاْ ـ ٱلصَّـٰعِقَةُ ـ لَمُوسِعُونَ ـ فَرَشۡنَـٰهَا ـ ٱلۡمَـٰهِدُونَ ـ تَذَكَّرُونَ ـ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ـ وَذَكِّرۡ ـ ٱلرَّزَّاقُ ـ ٱلۡمَتِينُ ـ ذَنُوبًا ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ ﴾	في قصة موسى وما حدث لموسى عبرةٌ وعظةٌ.
﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾	حجةٌ موضحةٌ مظهرةٌ.
﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ ﴾	أدبر بقومه وجنده وصحبه أعرض استكبارًا وعنادًا[١]. وقيل: (غلب قومه على ما يريد).
﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾	قد فعل ما يُلام عليه ـ ملومٌ كافر جاحد فاجر معاندٌ ـ مُذنب.
﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾	الريح التي لا تُلقح الشجر ولا تثير السُّحب. وقيل: الريح التي ليس فيها بركة ـ لا تنبت الريح المُفسدة التي لا تنتج شيئًا.
﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾	الشيء الهالك المتفتت، كرميم الشجر.
﴿ فَعَتَوۡاْ ﴾	علوا، والعاتي: العاصي التارك لأمر الله.
﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾	صاعقة العذاب ـ الموت ـ الصوت الشديد، وقيل: الصاعقة كل عذاب مهلك.
﴿ لَمُوسِعُونَ ﴾	لذو سعةٍ وقدرة بخلقها وخلق ما شئنا. (وأوسعها الله جَل جلاله) ـ لقادرون على توسعتها ـ قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمدٍ حتى استقلت ـ لموسعون الرزق على عبادنا[٢].

(١) وقوَّى الحافظ ابن كثير هذا الوجه، وقال: هو كقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج:٩] أي معرض عن الحق مستكبر، والركن هو الجند والعشيرة ومنه: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾.

(٢) قال السعدي في تفسيره: ﴿وإنا لموسعون﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون أيضًا على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها.

﴿فَرَشْنَـٰهَا﴾	جعلناها فراشًا للمخلوقات.
﴿ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾	الممهدون، جعلناها مهدًا لأهلها أي: ميسرة لساكنيها كالفراش.
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون ـ تعتبرون.
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾	فأعرض عنهم.
﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾	لا يلومك ربك على تفريط كان منك، فما فرطت بل أنذرت وبلغت ما أرسلت به(١). لا نلومك على توليك عنهم.
﴿وَذَكِّرْ﴾	عِظ.
﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾	المتكفل برزق خلقه وأقواتهم.
﴿ٱلْمَتِينُ﴾	الشديد، وقيل الذي لا يُغلب ولا يقهر ولا يُهزم(٢).
﴿ذَنُوبًا﴾	الذنوب يطلق على الدلو العظيمة. ولكن المراد هنا الحظ والنصيب من العذاب. وقيل سجلًا من العذاب(٣).

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

ج: المعنى، والمراد ـ والله أعلم ـ: وفي قبيلة عادٍ وما حلَّ بها عبرةٌ وعظةٌ وآية لمن أراد الاتعاظ والاعتبار.

❁❁❁

---

(١) قاله الطبري.

(٢) ذكر بعض العلماء فارقًا بين المتين، والعزيز في المعنى حاصله أن المتين الذي لا يُقهر ولا يهزم ولا يغلب أما العزيز فهو الذي يقهر ويهزم ويغلب. فالله أعلم.

(٣) صح ذلك عن قتادة وسعيد بن جبير وغيرهما. انظر الطبري (٣٢٢٧٢)، (٣٢٢٧٦).

س: ما اسم الريح التي أُهلكت بها قبيلة عادٍ؟

ج: اسمها (الدَّبُور) ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «نُصرت بالصبا، وأهلكت عادٌ بالدبور»[1].

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: وفي قبيلة ثمود، وما حلَّ بها عبرةٌ وعظة لمن اعتبر واتعظ.

أما قوله: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يعني ـ والله أعلم ـ: عيشوا متمتعين بالدنيا إلى وقت فناء آجالكم وانتهاء أعماركم ووقت هلاككم، وهو ثلاثة أيام منذ أنذرهم هذا الإنذار كما في الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[هود:٦٥].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قيل لهم: تمتَّعوا في الدُّنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهديدًا لهم.

والثاني: أن صالحًا قال لهم بعد عَقْر النَّاقة: تمتَّعوا ثلاثة أيام: فكان الحِين وقتَ فناء آجالهم.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

ج: أخرج الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد[2] قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدَت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٥).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٠)، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام.

وجُعل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جُعلت لهم الدالة على نزوله في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ينتظرون حلوله بهم.

قال الرازي رحمه الله:

والصاعقة فيها وجهان ذكرناهما هنا:

أحدهما: أنها الواقعة.

والثاني: الصوت الشديد، وقوله: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إشارة إلى أحد معنيين: إما بمعنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع، كما يقول القائل للمضروب يضربك فلان وأنت تنظر. إشارة إلى أنه لا يدفع، وإما بمعنى أن العذاب أتاهم لا على غفلة بل أنذروا به من قبل بثلاثة أيام وانتظروه، ولو كان على غفلة لكان لمتوهم أن يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاجل المحتاج، كما يقول المبارز الشجاع أخبرتك بقصدي إياك فانتظرني.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن القوم لما حلَّ بهم ما حلَّ ما استطاعوا نهوضًا، وما كانت عندهم من قوةٍ يمتنعون بها من الله عزَّ وجل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أي: من هربٍ ولا نهوض، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ولا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ قيل: معناه من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛ تقول: لا أقوم لهذا الأمر

أي: لا أطيقه. وقال ابن عباس: أي: ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب. ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي: ما كان لهم ناصر.

وقال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لبيان عجزهم عن الهرب والفرار على سبيل المبالغة، فإن من لا يقدر على قيام كيف يمشي فضلًا عن أن يهرب؟ وعلى هذا فيه لطائف لفظية:

إحداها: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ فإن الاستطاعة دون القدرة، لأن في الاستطاعة دلالة الطلب وهو ينبئ عن عدم القدرة والاستقلال، فمن استطاع شيئًا كان دون من يقدر عليه، ولهذا يقول المتكلمون: الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل إشارة إلى قدرة مطلوبة من الله تعالى مأخوذة منه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على قراءة من قرأ بالتاء. وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ أبلغ من قول القائل ما قدروا على قيام.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿مِن قِيَامٍ﴾ بزيادة من، وقد عرفت ما فيه من التأكيد.

ثالثها: قوله: ﴿قِيَامٍ﴾ بدل قوله هرب لما بينا أن العاجز عن القيام أولى أن يعجز عن الهرب.

الوجه الثاني: هو أن المراد (من قيام) القيام بالأمر، أي: ما استطاعوا من قيام به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ما استطاعوا الهزيمة والهرب، ومن لا يقدر عليه، يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا منتصرين، وقد عرفت أن قول القائل: ما هو بمنتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله (ما انتصر) أي لشيء من شأنه ذلك، كما تقول: فلان لا ينصر أو فلان ليس ينصر.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - يحتمل وجوهًا:

أحدها: واذكر لهم قوم نوح الذين أرسلنا إليهم نوحًا.

الثاني: وأهلكنا هذه الأمم التي قدمنا ذكرها، وأهلكنا قوم نوحٍ من قبل هؤلاء أيضًا.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ فمعناه أنهم كانوا قومًا مخالفين أمر الله عزَّ وجل خارجين عن طاعته.

❀❀❀

س: استدل بعض العلماء ببعض الآيات من سورة الذاريات على أن الله عزَّ وجل يعذِّب بما قد يكون في أصله رحمة في الظاهر، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجل عذب فرعون بالإغراق في الماء، والماء سبب عظيم من أسباب الحياة، وعذب قوم عادٍ بالريح والريح (التي هي الهواء) سبب من أسباب الحياة، وعذب قوم لوط بحجارة من سجيل، والسجيل الطين، والطين سبب من أسباب الحياة، وعذب قوم ثمود بالصاعقة التي هي من النار (على قولٍ) وهي سبب من أسباب الحياة كذلك.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾.

ج: أورد الطبري[1] - رحمه الله تعالى - بإسنادٍ صحيح عن منصور أنه قال في هذه الآية: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ قال: بقوة.

---

(١) الطبري (٣٢٢٤٨).

وكذا بإسنادٍ[1] صحيح عن ابن زيد قال: بقوةٍ.

ونحوه أيضًا بإسنادٍ[2] حسن عن قتادة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾: أي بقوة.

وكذا من طريق[3] ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: بقوة.

ونحوه بإسناد فيه بعض الضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بقوة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ أي: جعلناها سقفًا رفيعًا ﴿بِأَيۡيْدٍ﴾ أي: بقوة وكل هذا الذي أوردوه لا ينفي صفة اليد عن الله عزَّ وجل فهي ثابتة من وجوه أُخر، ومن نُصوص أُخر، والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾.

ج: قال السعدي في تفسيرها:

﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾ أي: جعلناها فراشًا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث، وجلوس، وسلوك للسبل الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم. ولما كان الفراش، قد يكون صالحًا للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: المراد الشيئين المختلفين، قالوا: فمن ذلك الإيمان والكفر، والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة، والليل والنهار والسماء والأرض

(١) الطبري (٣٢٢٥١).
(٢) الطبري (٣٢٢٤٧).
(٣) الطبري (٣٢٢٤٦).

والشمس والقمر، والإنس والجن إلى غير ذلك.

والقول الآخر: أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥].

وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول فقال:

وأولى القولين في ذلك قول مجاهد، وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيًا له مخالفًا في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين. وإنما نبه جلَّ ثناؤه بذلك من قوله على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة.

وهو الوجه الذي ذكره ابن كثير ولم يذكر رأيًا سواه فقال: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحدٌ لا شريك له.

وإلى نحو ذلك ذهب القرطبي رحمه الله تعالى، فقال:

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرًا وأنثى وحُلوًا وحامضًا ونحو ذلك. مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجنّ والإنس، والخير والشر، والبُكرة والعشيّ، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطُّعوم والأراييح والأصوات. أي: جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة.

وقيل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدَّر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ عز وجل وتر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: لعلكم تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع. فلما دعا العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشيته، والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه. أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه، ظاهرًا وباطنًا، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر. فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله، وزال عنه المرهوب، وحصل له غاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فرارًا، لأن في الرجوع إلى غيره، أنواع المخاوف والمكاره. وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز. فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه.

❀❀❀

س: جعل الله تبارك وتعالى للعباد أمورًا يتذكرون بها ويتعظون، بيِّن هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور ما يلي:

ما ذكره الله تعالى في هذه السورة إذ قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وما ذكره الله في سورة الواقعة إذ جعل نار الدنيا تذكرةً بنار الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة:٧١-٧٣] أي تذكرة بنار الآخرة.

وما ذكره الله في سورة الفرقان إذ قال في شأن السحب والمطر: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان:٥٠] أي: ليتعظوا ويعتبروا بتصريف الأمطار.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوّفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذين قصَّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الجئوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدَّم ما جرى من تكذيب

أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى: لنبيه ﷺ قل لهم يا محمد؛ أي: قل لقومك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: فِرُّوا من معاصيه إلى طاعته. وقال ابن عباس: فِروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه: فِرُّوا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اخرجوا إلى مكة. وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء دون الله فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه. وقال أبو بكر الورَّاق: فِروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجُنَيد: الشيطان داعٍ إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون المصري: ففِرُّوا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: فرّوا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضًا: فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فِرُّوا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: أنذركم عقابه على الكفر والمعصية.

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مِن مَن نفر؟

ج: قيل الفرار من العذاب، وقيل: الفرار من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[يوسف:٥].

ولقد قال النبي ﷺ: «أَنذَرتُكمُ النارَ...».

وقيل: الفرار من كل ما سوى الله عزَّ وجل، فنفر إلى الله من كل عدوٍّ.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تجعلوا أيها الناس

مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ يقول: إني لكم ـ أيها الناس ـ نذير من عقابه على عبادتكم إلهًا غيره، مبين قد أبان لكم النذارة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا تشركوا به شيئًا.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وكما أن قريشًا كذَّبتك وقالت شاعر أو ساحر أو مجنون، فكذلك فعلت الأمم من قبلها فكلُّ أُمةٍ جَاءها رسول قالت له ساحر أو مجنون.

❀❀❀

س: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ نوع مواساة للنبي ﷺ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن النبي ﷺ إذا علم أن الذي أصيب به من قومه قد أُصيب به الأنبياء من قبله من أقوامهم وعلم أن العاقبة كانت للتقوى، فحينئذٍ سيصبر كما صبروا تأسيًا واقتداءً وامتثالًا.

ولذا فقد قال تعالى في آيات أُخر: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾، وقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أأوصى الكفار بعضهم بعضًا إذا جاءهم رسول

فعليهم أن يصفوه بأنه ساحر أو مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أأوصى هؤلاء المكذِّبين من قريش محمدًا ﷺ - على ما جاءهم به من الحقّ -: أوائلُهم وآبائهم الماضون من قبلهم بتكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم؟

وأورد بأسانيد تصح عن قتادة[1] قال: أوصى أولاهم أُخراهم بالتكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب. وتواطئوا عليه؛ والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يوصِ بعضهم بعضًا بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحدِّ في الكفر.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: أوْصى أوَّلُهم آخرَهم بالتكذيب؟ وهذا استفهام توبيخ وقال أبو عبيدة: أتواطئوا عليه فأخذه بعضُهم من بعض؟!

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحملُهم الطُّغيان فيما أُعطوا من الدُّنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة.

قال السعدي رحمه الله:

يقول الله - مسليًا لرسوله ﷺ - عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة، ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال، ما زالت دأبًا وعادة للمجرمين المكذبين للرسل فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون. يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم - الأولين والآخرين - هل هي أقوال

---

(١) الطبري (٣٢٢٥٥، ٣٢٢٥٦).

تواصوا بها، ولقن بعضهم بعضًا؟.

فلا يستغرب ـ بسبب ذلك ـ اتفاقهم عليها: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟

وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨] وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاةٌ تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم.

قلت ـ مصطفى ـ: والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ليس نفيًا لكون بعضهم قد أوصى بعضًا، وإنما المراد بيان أن هؤلاء قوم طاغون ـ والله أعلم ـ.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فأعرض يا نبي الله عن هؤلاء القوم المكذبين المعاندين

فلا لوم عليك، ولا عتب عليك، فقد أديت ما أُمرت به من البلاغ والإنذار.

قال الطبري رحمه الله: يقول جل ثناؤه: فما أنت يا محمد بملومٍ لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار فقد أنذرت وبلَّغت ما أُرسِلْتَ به.

وأورد **الطبري** بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قد بلغت ما أرسلناك به، فلست بملومٍ، قال: وكيف يلومه وقد أدى ما أمر به؟

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: أعرض عن مقابلتهم بالأسوأ، كقوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَنٰهُمْ﴾ [الأحزاب:٤٨] وقوله: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١٠] ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: في إعراضهم، إذ لست عليهم بجبار ولا مسيطر، وما عليك من حسابهم من شيء.

❀❀❀

س: هل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ منسوخ أو محكم؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنها محكمة ليست بمنسوخة، ومعناها فأعرض عنهم فلا لوم عليك ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ.

والثاني: أنها منسوخة، وذلك لأن النبي ﷺ أمر بقتال المشركين بعد ذلك.

والظاهر أنها ليست بمنسوخة لأن الإعراض عنهم من بابٍ معين، وهو رفع اللوم عن النبي ﷺ إذا لم يؤمنوا، أما الأمر بالقتال فبابٌ آخر وتكليف آخر، فليس الأمر بالإعراض عنهم مستلزمًا النهي عن قتالهم، بل يمكن الإعراض عنهم في الخطاب والحديث والدعوة، وقتالهم مع هذا الإعراض أيضًا وإن كان ـ كما سلف ـ هناك من أهل العلم من ذهب إلى أنها منسوخة.

قال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ فقد بلَّغْتَهم ﴿فَمَآ أَنتَ ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٍ ﴾ لأنَّك قد أدَّيت الرِّسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما:أنه قوله: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

والثاني:آية السيف.

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ ﴾ ذَكِّر بماذا؟

ج:ذكِّر بالقرآن وما فيه، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾، وقيل: ذكِّر بالعقوبات وما حلَّ بالأمم من قبلنا، والأول أولى لأن التذكير بالقرآن يتضمن التذكير بالعقوبات.

❀❀❀

س: التذكير يكون بماذا؟

ج:التذكير يكون بالله عزَّ وجل وبأسمائه وصفاته، ويكون كذلك بكتابه الكريم، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الأنعام:٧٠].

ويكون التذكير أيضًا بسنة رسول الله ﷺ ويكون التذكير بمصارع الأمم السابقة وما حلَّ بها.

قال السعدي في تفسيره:

والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول. فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك. فكل أمر ونَهي من الشرع، فهو من التذكير. وتمام التذكير، أن يذكر ما في

المأمور، من الخير والحسن والمصالح وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيُذَكَّرُون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليُحدِث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

❀❀❀

س: هل لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ اتصالٌ بما قبلها؟

ج: نعم لها اتصال، ذكره الرازي فقال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهذه الآية فيها فوائد كثيرة، ولنذكرها على وجه الاستقصاء، فنقول أما تعلقها بما قبلها فلوجوه:

أحدها: أنه تعالى لما قال: ﴿وَذَكِّرْ﴾ يعني أقصى غاية التذكير وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة فذكرهم به وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان.

الثاني: هو أنا ذكرنا مرارًا أن شغل الأنبياء منحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق، فلما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي، وأما العبادة فهي لازمة والخَلْق المطلق لها وليس الخَلْق المطلق للهداية، فما أنت بملوم إذا أتيت بالعبادة التي هي أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها.

الثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ج: في ذلك وجوه ذكرها العلماء، وبعضها متقاربٌ من بعض:

أحدها: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم لمعصيتي.

الثاني: وما خلقت الجن والإنس إلا ليذعنوا لي بالعبادة أي إلا ليقروا لي بعبوديتهم لي طوعًا أو كرهًا.

الثالث: وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي ولكن منهم من أطاعني ومنهم من خالف أمري وعصاني.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ومعنى الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب.

واختار الطبري القول الثاني، وأورد على نفسه سؤالًا فقال:

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه.

❀❀❀

س: لماذا لم تُذكر الملائكة مع أنها خلقت للعبادة كذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟

ج: ذلك لأن الخطاب لمن أُرسل إليهم رسول الله ﷺ وهم الجن والإنس، أما الملائكة فلم يرسل إليهم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

هذا، وقد ذكر الرازي جملةً من الوجوه ها هنا فقال:

الملائكة أيضًا من أصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع أن المنفعة الكبرى في إيجاده لهم هي العبادة ولهذا قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦] وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ فما الحكمة فيه؟ نقول: الجواب عنه من وجوه:

الأول: قد ذكرنا في بعض الوجوه أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له، وهذا مختص بالجن والإنس لأن الكفر في الجن أكثر، والكافر منهم أكثر من المؤمن لما بينا أن المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم.

الثاني: هو أن النبي ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن، فلما قال وذكرهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص أمته بالذكر أي ذكر الجن والإنس.

الثالث: أن عباد الأصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولم يذكر الملائكة لأن الأمر فيهم كان مسلَّمًا بين القوم فذكر المتنازع فيه.

الرابع: قيل الجن يتناول الملائكة لأن الجن أصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق، وعلى هذا فتقديم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها.

الخامس: قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان:٥٩] وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩]، وقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] إلى غير ذلك، وما لم يكن ذكره بلفظ الأمر قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

والملائكة كالأرواح من عالم الأمر أوجدهم من غير مرور زمان فقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ إشارة إلى من هو من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة، وهو باطل لقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢] فالمَلَك من عالم الخلق.

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] هل بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ تعارض؟

ج: ليس بينهما تعارض، ولا يكون تعارض أبدًا بين آيات من كتاب الله عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢].

وإنما المعنى، ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] أي: أن الله جعلهم شعوبًا للتعارف، وخَلْقُهم إنما هو للعبادة.

قال الرازي في تفسيره:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، وقال: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ فهل بينهما اختلاف؟ نقول ليس كذلك فإن الله تعالى علل جعلهم شعوبًا بالتعارف، وههنا علل خلقهم بالعبادة، وقوله هناك: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ دليل على ما ذكره ههنا وموافق له، لأنه إذا كان أتقى كان أعبد وأخلص عملاً، فيكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون أكرم وأعز، كالشيء الذي منفعته فائدة، وبعض أفراده يكون أنفع في تلك الفائدة، مثاله الماء إذا كان مخلوقًا للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف من ماء آخر، فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ.

❀❀❀

س: ما العبادة التي خُلِقَ الإنس والجن لها؟

ج: هي ـ والله أعلم ـ: طاعة الله وتعظيمه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وعمومًا فهي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، والقول بما يرضي الله، وكذا النوايا الحسنة

التي ترضي الله عزَّ وجل.

قال الرازي في تفسيره:

ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها؟ قلنا: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذي الجلال والإكرام لا يعلم عقلًا لزم اتباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي العبادة، وقيل: إن معناه ليعرفوني[1].

❀❀❀

س: **وضح معنى قوله تعالى:** ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾.

ج: **قال الطبري ـ رحمه الله ـ:**

وقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: أخبر أنه غير محتاجٍ إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

قلت: ولا يمنع أن يدخل في إيضاح المعنى قوله تعالى: «يا عبادي إنكم لن تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني، ولن تَبلُغوا نَفعِي فتنفَعُوني..»[2].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

---

(١) وهذا الأخير لا أرى صحته في هذا المقام، والله أعلم.

(٢) حديث قدسي أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفسِي...» الحديث.

أي: ما أُريدُ أن يرزقُوا أنفسهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: أن يطعموا أحدًا من خَلْقِي، لأنّي أنا الرزَّاق، و إنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعمَ عِيالَ أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم، استَطْعمتُكَ فلم تُطْعِمني» أي: لم تُطعِم عبدي.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة ـ السفلية والعلوية ـ وبها تصرف في الظواهر والبواطن ونفذت مشيئته في جميع البريات. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج على سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم.

ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلى وعصفت بهم الرياح وابتلعتهم الطيور والسباع وتمزقوا وتفرقوا في مهامه القفار ولجج البحار. فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.

❀❀❀

س: كثيرًا ما يُحذِّر أهل الكفر بأنهم سينالهم نحوٌ من العذاب الذي حلَّ بأمثالهم دلّل على ذلك ووضحه.

ج: نعم هذا يتكرر كثيرًا في كتاب الله عزَّ وجل.

فعلى سبيل المثال: لما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوطٍ بحجارة من سجيل

منضود، قال تعالى في شأن هذه الحجارة: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:٨٣] أي: أن الظالمين ـ غير قوم لوط ـ ليست هذه الحجارة عنهم ببعيدة بل نحن قادرون على قذفهم بها أيضًا.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢] أي: وهكذا يُجازي كل مفترٍ صنع كصنيعهم.

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أي: من أهل مكة، وكذا كل ظالم.

﴿ مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ ﴾ أي: نصيبًا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.

❀❀❀

س: اذكر بإيضاح معنى الذنوب.

ج: الذنوب هي الدلو العظيمة(١)، ومنه قول الراجز:

لنـــا ذَنُـــوبٌ ولكـــم ذَنُـــوبٌ فـــإن أَبَيـــتُم فلَنـــا القَليـــبُ(٢)

ولكن المراد بالذنوب في الآية الكريمة: الحظ والنصيب العظيم من العذاب.

وقال الطبري في معنى الآية الكريمة:

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبًا وحظًّا نازلًا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم على منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به.

---

(١) وأصل إطلاق ذلك أن القوم كانوا يستخرجون الماء من الآبار بالدلو العظيمة فيقتسمون ذلك فيما بينهم كلٌّ له دلو، فكذلك هم في العذاب لهم نصيب من العذاب كنصيب أسلافهم الذين صنعوا كصنيعهم، والله أعلم.

(٢) القليب: الحفرة العظيمة، وهي أكبر من الذنوب.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فلا يستعجل هؤلاء الكفار نزول العذاب عليهم فإنه آت لا محالة، وذلك لأن أهل الكفر ـ هؤلاء ـ كانوا يستعجلون نزول العذاب على سبيل التحدي والسخرية والاستهزاء والإنكار، فكانوا يقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وكانوا يقولون كذلك: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، وقالوا أيضًا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

قال السعدي رحمه الله:

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب فإن سنة الله في الأمم واحدة.

فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والأغلال، فلا مغيث، ولا منقذ لهم من عذاب الله. نعوذ بالله منه.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد.

قلت:واختار الطبري هنا أن الويل هو واد في جهنم، وقد قدمنا مرارًا أنه قد وردت في ذلك أحاديث عن رسول الله ﷺ قد تصح بمجموعها وقد لا يراها أحد صحيحة إلا أن من العلماء كمٌّ كبير قالوا: الويل هنا المراد به العذاب الشديد، والله أعلم.



﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ
﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ
النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَالطُّورِ - مَّسْطُورٍ - رَقٍّ - مَّنشُورٍ - وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ - وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ - الْمَسْجُورِ - لَوَاقِعٌ - دَافِعٍ - تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا - وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا - فَوَيْلٌ - خَوْضٍ - يَلْعَبُونَ - دَعًّا - بِهَا تُكَذِّبُونَ - اصْلَوْهَا - سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَالطُّورِ﴾	جبل الطور المعروف (الذي كلم الله عز وجل عنده نبيه موسى عليه السلام). وقيل: الطور الجبل الذي ينبت. وقيل: الجبل عمومًا.
﴿مَّسْطُورٍ﴾	مكتوب.

﴿رَقٍّ﴾	جلد رقيق يُكتب عليه (وكانوا في زمن النبي ﷺ يكتبون على جلد رقيق) - صحيفة - ورق.
﴿مَّنشُورٍ﴾	مفتوح - مبسوط.
﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾	بيت في السماء بحيال (بمحاذاة) الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. والمعمور: الذي يُعمَّر بكثرة من يدخلونه.
﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾	السماء (ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾). [الأنبياء:٣٢]
﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾	المُوقد - المُحمَّى - المتأجج نارًا [1](ومنه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦] أي احترقت فصارت نارًا تتأجج). وقيل: المسجور المملوء - وقيل: الذي ذهب ماؤه.
﴿لَوَٰقِعٌ﴾	لكائنٌ - حالٌّ بالكافرين يوم القيامة - لنازل.
﴿دَافِعٍ﴾	مانع - صادٌّ يصده - دافع يدفعه.
﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾	تدور السماء دورانًا - تتحرك تحركًا شديدًا - تُكفأ.
﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾	تنسف نسفًا - تُزال عن أماكنها.
﴿فَوَيْلٌ﴾	الويل: له معنيان أحدهما: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، والثاني: عذاب شديدٌ.
﴿خَوْضٍ﴾	فتنة واختلاط وغفلة عن طاعة الله وعمَّا هم صائرون إليه من

(١)وقد ورد أثرٌ عن عليٍّ رضي الله عنه عند الطبري (٣٢٣٠٩) أنه سأل رجلاً من اليهود: أين جهنم؟ فقال البحر، فقال: ما أراه إلا صادقًا ﴿والبحر المسجور﴾، ﴿وإذا البحار سجرت﴾.

	العذاب.
﴿يُدَعُّونَ﴾	يدفعون بإرهاق وإزعاج بشدةٍ وعُنف في القفا ـ يدفعون في أعناقهم ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون:٢] أي: يدفعه ويطرده ويغلظ عليه.
﴿دَعًّا﴾	دفعًا ـ إزعاجًا.
﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	تجحدونها ـ تنكرونها.
﴿ٱصْلَوْهَا﴾	ذوقوا حرَّها ـ ادخلوها ذائقين حرَّها.
﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾	يستوي عندكم (أي: سواء أصبرتم وتحملتم أم سمع منكم الضجيج والصياح فكل ذلك لا يُخفف عنكم).

❀❀❀

س: اذكر بإيجاز واختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: أقسم الله تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة بأمورٍ عظيمة فأقسم بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم عنده موسى عليه السلام، وكذا أقسم بالكتاب المسطور الذي كتبت فيه أعمال العباد.

وكذا أقسم بالبيت المعمور ـ وهو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون، وأقسم كذلك بالسقف المرفوع، وهي السماء، وكذا أقسم بالبحر المسجور.

أقسم بكل ذلك على أن عذاب الله عزَّ وجل الذي وعد به العصاة والمجرمين لا بد وأن يتحقق وأنه واقع، ولن يستطيع أحدٌ دفعه ولا منعه، ثم بين بعض مشاهد هذا اليوم ومقدماته وتوعد المكذبين المعرضين، وبيَّن أيضًا بعض ما أعده للمتقين، وبعض ما أكرمهم وأكرم ذريتهم به، وبعض أعمالهم وأحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ثم حثٌّ للنبي ﷺ على التذكير ودفاع عن هذا الرسول الكريم ونفيٌ للتهم عنه وتحذيرٌ

لأهل الكفر والزيغ والضلال، ولفت أنظارهم إلى ما تفيض ويستلزم توحيد الخالق سبحانه وتعالى والإيمان به وبيان شدة عنادهم وإبائهم وامتناعهم عن الإيمان ثم وعيد شديد بعظيم العذاب وحث لرسول الله ﷺ على الصبر والثبات والاستعانة بذلك وبالصلاة على تبليغ الرسالة ومواجهة أعداء الله عزَّ وجل، والله أعلم.

❀❀❀

س: هل ورد أن النبي ﷺ قرأ في الصلاة بسورة الطور؟

ج: نعم قد ورد ذلك من وجوه:

أحدها: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير [١].

الثاني: ما أخرجه البخاري [٢] ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ بالطور وكتاب مسطور.

❀❀❀

س: ما وجه القسم بالطور؟

ج: كما سلف فالطور - على رأي لبعض أهل العلم - هو الجبل الذي كلَّم الله عنده نبيه موسى ﷺ، والقسم به تشريفٌ له وتكريمٌ وتذكيرٌ بما كان عنده من الآيات والمعجزات.

كما قال تعالى في آيات أُخر: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢].

❀❀❀

---

(١) البخاري (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣) ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب.

(٢) البخاري (٤٨٥٣).

س: ما المراد بالكتاب المسطور؟

ج: * قيل: المراد اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارًا، وذلك كالتوراة والإنجيل والقرآن، والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

* وقيل أيضًا: إنه الكتاب الذي كتبه الله لموسى عليه السلام.

* وقيل: صحائف الأعمال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣].

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح ما يتعلق بالبيت المعمور؟

ج: أخرج الإمام مسلم(١) في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبراق...» فذكر الحديث وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

وأخرج الطبري بسندٍ(٢) صحيح لغيره عن عليٍّ رضي الله عنه وقد سأله ابن الكواء: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السادسة يُقال له: الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدًا.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالبيت المعمور: الكعبة المعمورة بالحجاج والعمار والطائفين والعاكفين والمجاورين.

واستظهروا هذا القول ورجحوه لتناسب الآيات مع آيات سورة التين.

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) الطبري (٣٢٢٩٠) وانظر الطبري كذلك (٣٢٢٩٠).

ففي سورة التين أقسم الله بالتين والزيتون، قالوا: وهي البلاد التي ينبت فيها التين والزيتون، التي هي بلاد الشام، وكان فيها وحي إلى عيسى عليه السلام، ثم أقسم بالطور الذي عنده كلَّم موسى عيه السلام، ثم أقسم بالبلد الأمين، بلد رسول الله ﷺ.

وهنا أقسم الله بالطور، والبيت المعمور فحملهم ما تقدم على تفسير البيت المعمور بالكعبة، والله أعلم.

أشار إلى ذلك القاسمي في تفسيره.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى البحر المسجور؟

ج: قيل: هو بحرنا هذا، والمسجور معناه المملوء وهذا قول الجمهور.

وقيل: إنه هذا البحر، ولكنه يتأجج نارًا يوم القيامة تحيط بأهل الموقف.

❁❁❁

س: على أي شيء أقسم الله بهذه المخلوقات العظيمة؟

ج: أقسم الله عزَّ وجل بهذه المخلوقات العظيمة على أن عذابه واقعٌ بأعدائه، لا دافع له عنهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وتسير الجبال فتنتقل عن أماكنها سيرًا فتصير هباءً منثورًا. قال نحوه القرطبي.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها كسير السحاب، وتطير في الهواء، ثم تقع على الأرض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أي:

الصوف المندوف، ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثًا، كما دل عليه كلامه في سورة النمل، قيل: ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود، والحكمة في مور السماء، وسير الجبال: الإعلام والإنذار بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا لخرابها وعمارة الآخرة، وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الكهف.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾؟

ج: هذه تحتمل معنيين:

أحدهما: فهلاكٌ ـ يوم تمور السماء مورًا ـ للمكذبين.

والثاني: وادٍ في جهنم للمكذبين بالبعث المنكرين للحساب الجاحدين للرسل.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾: ويل كلمة عذاب، يقال للهالك، واسم وادٍ في جهنم، وإنما دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة أي: إذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم أي شدة عذاب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ثم وصف المكذبين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون، لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا، والمعنى: أنهم يخوضون في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، وقيل: يخوضون في أسباب الدنيا، ويعرضون عن الآخرة، والخوض من المعاني الغالبة، فإنه يصلح للخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الباطل، كالإحضار فإنه عام في كل شيء، ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب، قال تعالى:

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[الصافات:٥٧] ، ونظيره في الأسماء الغالبة، دابة فإنها غلبت في ذوات الأربع، والقوم غلب في الرجال أفاده الكرخي، أخذًا عن حواشي «الكشاف».

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن النار عرضت لهم فرأوها ثم قيل لهم: أفسحر هذه النار التي أمامكم؟ فقد كنتم تقولون عن القرآن الذي أخبرتم فيه عن النار أنه سحر، أفهذه النار التي ترونها سحرٌ هي الأخرى أم أنكم عميٌ عنها كما كنتم عميانًا في الدنيا عن الحق؟!

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ استفهام معناه التوبيخ والتقريع؛ أي يقال لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ الذي ترون الآن بأعينكم ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقيل: (أمْ) بمعنى بل؛ أي: بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ يقول: ذوقوا حرَّ هذه النار التي كنتم بها تكذبون، وردوها فاصبروا على ألمها وشدَّتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ما تجزون إلا أعمالكم، أي: لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: تقول لهم الخزنة ذوقوا حرَّها بالدخول فيها. ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن فـ﴿سَوَآءٌ﴾

خبره محذوف، أي: سواء عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أما الرازي فقد توسع فقال:

ثم قال تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إذا لم يمكنكم إنكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلل في أبصاركم فاصلوها. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ فيه فائدتان:

إحداهما: بيان عدم الخلاص وانتفاء المناص فإن من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه إما بأن يدفع المعذب فيمنعه وإما بأن يغضبه فيقتلته ويريحه ولا شيء من ذلك يفيد في عذاب الآخرة فإن من لا يغلب المعذب فيدفعه ولا يتلخص بالإعلام فإنه لا يقضي عليه فيموت، فإذن الصبر كعدمه، لأن من يصبر يدوم فيه، ومن لا يصبر يدوم فيه.

الثانية: بيان ما يتفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا، فإن المعذب في الدنيا إن صبر ربما انتفع بالصبر إما بالجزاء في الآخرة، وإما بالحمد في الدنيا، فيقال له: ما أشجعه! وما أقوى قلبه، وإن جزع يذم، فيقال: يجزع كالصبيان والنسوان، وأما في الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر، وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر، ومبتدأه مدلول عليه بقوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ كأنه يقول: الصبر وعدمه سواء، فإن قيل: يلزم الزيادة في التعذيب، ويلزم التعذيب على المنوي الذي لم يفعله، نقول فيه لطيفة، وهي أن المؤمن بإيمانه استفاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه، والشر الذي ينويه ولا يحققه لا يعاقب عليه، والكافر بكفره صار على الضد، فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه، والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم، فإن الله تعالى أخبره به، وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره، كأن الله تعالى قال: فإن من كفر ومات كافرًا أعذبه أبدًا فاحذروا، ومن آمن أثيبه دائمًا، فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعدما سمع ذلك، فإذا عاقبه المعاقب دائمًا تحقيقًا لما أوعده به لا يكون ظالمًا.

❀❀❀

س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المستفاد أن الله عز وجلَّ لا يظلم أحدًا من الخلق بل يجازي كلًّا بعمله.

وفي هذا يقول تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وجَعَلْتُه بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:٤٦]، ويقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ
وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ
مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ
كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ
أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن
قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْمُتَّقِينَ - فَٰكِهِينَ - بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ - وَوَقَىٰهُمْ - عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ - هَنِيٓـًٔۢا - مُتَّكِـِٔينَ - مَّصْفُوفَةٍ - بِحُورٍ عِينٍ - أَلَتْنَٰهُم - رَهِينٌ - وَأَمْدَدْنَٰهُم - يَشْتَهُونَ - يَتَنَٰزَعُونَ - كَأْسًا لَّا لَغْوٌ - وَلَا تَأْثِيمٌ - مَّكْنُونٌ - يَتَسَآءَلُونَ - قَبْلُ - مُشْفِقِينَ - فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا - وَوَقَىٰنَا - عذاب السموم - ٱلْبَرُّ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم (بفعل الطاعات واجتناب النواهي وفعل الخيرات) - الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية.
﴿فَٰكِهِينَ﴾	مُنعمين - مُعجبين - طيبوا المزاج مرتاحوا البال - متلذذين - عندهم فاكهة كثيرةٌ - يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب

	وغير ذلك.
﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾	بالذي أعطاهم الله إياه.
﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾	وصرف عنهم ـ ونجّاهم.
﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾	عذاب النار.
﴿هَنِيٓـًٔا﴾	لا تنغيص فيه ولا كدر ـ لا تخشون منه أذًى ولا غائلة بعد أكله ـ لا تتألمون بعد أكله [1].
﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾	الاتكاء هو الميل بأحد الشقين، وقيل: هو التربع عند الجلوس.
﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾	موصول بعضها إلى بعضٍ حتى تصير صفًّا. وقيل: مصفوفة متقابلة كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].
﴿بِحُورٍ﴾	شدة بياض مقلةُ العين في شدة سواد الحدقة.
﴿عِينٍ﴾	جمع عيناء وهي عظيمة العين في حُسن وسعةٍ.
﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم﴾	وما أنقصناهم ـ وما بخسناهم ـ وما ظلمناهم.
﴿رَهِينٌ﴾	مرتهن (محبوس ومرتبط) بعمله ـ يعاقَب بذنب نفسه ـ لا يحمل ذنبه غيره من الناس [2].

(١) قال الرازي في تفسيره (٢٨/ ٢٤٨): وقوله تعالى: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ إشارة إلى خلوها عما يكون فيها من المفاسد في الدنيا، منها أن الآكل يخاف من المرض فلا يهنأ له الطعام، ومنها أنه يخاف النفاد فلا يسخو بالأكل والكل منتفٍ في الجنة فلا مرض ولا انقطاع، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه، ولا إثم ولا تعب في تحصيله، فإن الإنسان في الدنيا ربما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيئة المأكول بالطبخ والتحصيل من التعب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه، فلا يتهنأ، وكل ذلك في الجنة منتف.

(٢) قال الزمخشري: ﴿ گ گ گ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ أي: مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحًا فكّها وخلّصها، وإلا أوبقها.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾	أتحفناهم ـ زدناهم وقتًا بعد وقتٍ.
﴿يَشْتَهُونَ﴾	يستطيبون.
﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾	يتعاطون بها ـ يتداولونها فيما بينهم.
﴿كَأْسًا﴾	كأسًا من خمر.
﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾	لا يصاحبها القول الباطل ـ لا تحملهم على الهذيان والجنون.
﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾	كذب ـ ما تجلبه من الإثم.
﴿مَّكْنُونٌ﴾	مصونٌ في كنٍّ ـ محفوظ.
﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾	يسأل بعضهم بعضًا[1] ـ يتحادثون.
﴿قَبْلُ﴾	من قبل (أي في الدنيا) ـ أي قبل لقاء الله.
﴿مُشْفِقِينَ﴾	خائفين من عذاب الله ـ أرقاء القلوب من خشية الله.
﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾	أنعم الله علينا.
﴿وَوَقَىٰنَا﴾	صرف عنا.
﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	عذاب النار، والسموم اسم من أسماء النار، والسموم في الأصل الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم.
﴿ٱلْبَرُّ﴾	اللطيف بعباده ـ المحسن بمن دعاه.

❀❀❀

(١) يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله التي عملها في الدنيا، وكانت سببًا في دخوله الجنة. وكذا يسأل بعضهم بعضًا عن أحوال الآخرين.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقال: رجل فاكه أي: ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر والمعنى أنهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل: ذو نعمة وتلذذ بما صاروا فيه مما أعطاهم الله عز وجل مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد تقدم بيان معنى هذا. قرأ الجمهور: فاكهين بالألف والنصب على الحال، وقرئ بالواو على أنه خبر بعد خبر وقرئ فكهين، والفكهة: طيب النفس كما تقدم في الدخان، ويقال للأشر والبطر ولا يناسب التفسير به هنا، والمفاكهة الممازحة وتفكه تعجب وقيل: تندم قال تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة:٦٥] أي: تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل: ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى إذ التفكه ليس بإعطاء الرب بل بالمعطى، وقيل: موصولة والباء على أصلها أو بمعنى في.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؟

ج: المعنى في ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ ما ذكره الطبري عن بعض أهل العلم إذ قال: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لآبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء.

* وأورد بسندٍ صحيح[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ فقال: إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته،

(١) الطبري (٣٢٣٣٨).

وإن كانوا دونه في العمل، ليقر الله بهم عينه.

* **وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه؛ أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملَهم، لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

❁❁❁

س: الولد ينتفع بصلاح أبيه فهل الأب ينتفع بصلاح الولد؟

ج: نعم، الأب ينتفع بصلاح الولد ودعائه، ففي الحديث[1]: «إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِه؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ».

وفي الحديث الآخر[2]: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٌ أَو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

❁❁❁

س: هل المراد بالذرية في قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هم الكبار أم الصغار أم هم الكبار والصغار معًا؟

ج: فصَّل في هذه المسألة ابن القيم رحمه الله تعالى تفصيلًا واسعًا وانتهى إلى أن الأظهر اختصاص الذرية بالصغار، وفي ذلك بعض النظر.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩).

(٢) مسلم (١٦٣١).

فقال رحمه الله:

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبني على أن قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوابه ألحقناهم بهم في الدرجات. قالوا: ويدل على هذه قراءة من قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّٰتُهُم﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم.

قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام:٨٤] وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣] وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٣] وهذا قول لكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ إِلَى دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم. فبلَّغهم إياها، وإن تقاصر عملهم عنها.

قالوا: وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية. وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان، رفعهم الله إلى درجته إقرارًا لعينه، وتكميلًا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعًا، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار. والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء. والذرية تتبع الآباء. وإن كانوا صغارًا في الإيمان وأحكامه من

الميراث، والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين.

ويكون قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: يدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم، ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ولكان أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرًّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا: أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة. كما جعلهم تبعًا معهم في الإيمان. ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا، بل إيمان استقلال.

قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين. وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم. وإن لم يكن لهم أعمال. كما تقدم.

وأيضًا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم عمل، بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت بهم أعمالهم.

وقالت فرقة ـ منهم الواحدي ـ: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار؛ لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١] أي: آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي. فمن وقوعه على التبعي قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] فلو أعتق صغيرًا جاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمنين في درجتهم، وإن كانوا دونه في العمل، لتقرّ بهم عيونهم. ثم قرأ هذه الآية.

وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، ويكون له الذرية، فيدخل الجنة، فيرفعون إليه، لتقرّ بهم عينه، و إن لم يبلغوا ذلك، وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له، كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا.

وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء. وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا.

قال: ويدل على صحة هذا القول: أن القراءتين كالآيتين، فمن قرأ: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ فهذا في حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ومن قرأ: ﴿وأتبعناهم ذرياتهم﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكمًا. فدلت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر، لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم.

❀❀❀

س: هل قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ خاص بالكفار أم هو عام؟

ج: من العلماء من قال ذلك خاص بالكفار، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدّثر:٣٨-٣٩].

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ قيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم وصار أهل الجنة إلى نعيمهم؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨].

وقيل: هو عام لكل إنسان مُرْتَهَن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا في الذّرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مُرْتَهنين بكفرهم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يقول: كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشرّ مرتهنة لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد، بل ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبًا أو ابنًا، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[المدّثر:٣٨ـ ٤١].

❀❀❀

س: هل كل إنسان يرتهن بعمله أم أن هناك استثناءات؟

ج: قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ظاهره يفيد العموم، ولكن هناك ما يدل

على أن أصحاب اليمين يستثنون من هذا العموم.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المدَّثر:٣٨-٤٠].

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الجنة يتعاطون فيها بينهم كأس خمر، ولكنها ليست كخمر الدنيا التي يصاحبها اللغو واللغط والسباب والشتم والأفعال المحرمة التي تجلب الآثام وتحمل صاحبها على الكذب، وإنما هي خمرٌ غيرُ مصحوبةٍ بلغوٍ ولا بلغط، ولا بكذب ولا بفعل محرمٍ، والله تعالى أعلم.

وأخرج الطبري بإسنادٍ يصح عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾. قال: أي لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأسًا أي: من الخمر؛ قاله الضحاك ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغٍ، أي: هَذيان وإثم أي: فُحْش، كما تتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله، أمدَّهم بها غير الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره؛ فإذا فرغ لم يسم كأسًا.

وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل:

وشارب مُرْبح بالكأس نادمني لا بالْحَصُور ولا فيها بسَوَّارِ
نَازَعْتُه طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي

وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحديثَ وأَسْمَحَتْ هَصَرْتُ بغصنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ

وقد مضَى هذا في (والصافات): ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الكأس أي لا يجري بينهم لغو ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ ولا ما فيه إثم. والتأثيم تفعيل من الإثم؛ أي تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. قال ابن عطاء: أيُّ لغوٍ يكون في مجلس محلَّه جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله! ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: ولا كذب؛ قاله ابن عباس. قال الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضًا. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ بفتح آخره. الباقون بالرفع والتنوين. وقد مضى هذا في (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والحمد لله.

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يطوفون بماذا؟

ج: يطوفون بالفواكه والتحف والطعام والشراب والصحاف والأباريق والكئوس ونحو ذلك.

* قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزُّخرُف:٧١].

* وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات:٤٥].

* وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧ ـ ١٨].

❀❀❀

س: هل من فائدة في قوله: ﴿لَّهُمۡ﴾ عقب قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ﴾؟

ج: قال الرازي في تفسيره:

وقوله: ﴿لَّهُمۡ﴾ أي: ملكهم إعلامًا لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجهًا آخر وهو: أنه تعالى لما بين امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا، فإن الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم إما لتوقع النفع أو لتوفر الصفح، وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متمخض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد.

❀❀❀

س: ما الفائدة في كون اللؤلؤ ﴿مَّكۡنُونٞ﴾؟

ج: الفائدة إيضاح أن هذا اللؤلؤ نقيٌّ في غاية من النقاء صافٍ في غايةٍ من الصفاء، فكما كان مصونًا محفوظًا في كنٍّ كان ذلك أدعى لبياضه وصفائه.

❀❀❀

س: هل مِن فائدة لوصف هؤلاء الغلمان بهذا الوصف ﴿كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾؟

ج: الفائدة من وجهين، والله أعلم:

أحدها: وصف النعيم الذي يعيشه أهل الجنة.

الثاني: الإشارة بالنعيم الذي فيه الخادم إلى عظيم النعيم الذي فيه المخدوم.

أي: فإذا كان الخادم من حاله أنه أبيض شديد البياض صافٍ في غايةٍ من الصفاء (كاللؤلؤ المكنون) فكيف بالمخدوم.

ولذلك أمثلة ونظائر في كتاب الله عزَّ وجل كما في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ

بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر.

وكقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] فإذا كان العرض هكذا فكيف يكون الطول، والله أعلم.

هذا، وقد ورد في هذا الصدد خبرٌ مرفوع ضعيف الإسناد لإرساله من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلًا قال: يا نبي الله! هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، إنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَهُمَا كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى النُّجُومِ»[(١)].

❁❁❁

س: هل يَذكر المؤمنون والكافرون في الآخرة ما كانوا عليه في الدنيا؟

ج: نعم يذكرون ذلك، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

* وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥١-٥٣].

* وكذا قول الكفار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. [ص:٦٢-٦٣]

قال الرازي رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا، فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من

---

(١) أخرجه الطبري (٣٢٣٦٩، ٣٢٣٧٠)، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل.

السجن إلى الجنة ومن الضيق إلى السعة، ويزداد الكافر ألمًا حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف إلى التلف ومن النعيم إلى الجحيم، ثم يتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف، فيقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ وهو أنهم يكون تساؤلهم عن سبب ما وصلوا إليه فيقولون: خشية الله كنا نخاف الله ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ وفيه لطيفة وهو: أن يكون إشفاقهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الإخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطأهم.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ من هؤلاء؟ وعن أي شيء يتساءلون؟

ج: هؤلاء المؤمنون، وأما عن الذي يتساءلون عنه فقد أوضحته آياتٌ من سورة الذاريات، إذ الله قال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ ...﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٢]. وكذا أوضحته الآيات في هذه السورة المباركة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾، أي: نتضرع إليه، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال السمعاني: في الآية دليل على أن هؤلاء أهل الجنة يجتمعون ويذكرون أموال الدنيا ويسأل بعضهم بعضًا عن ذلك.

س: وضح معنى قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الإيمان يقولون يوم القيامة بعد أن منَّ الله عليهم بالسلامة والنجاة من النار، وتفضل عليهم بفسيح الجنان، وما فيها من النعيم المقيم قالوا: إنا كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلنا وذوينا خافين من عذاب الله وعقابه وبأسه وانتقامه.

ويُقال أيضًا: وجلين خائفين من أن لا تقبل منهم أعمالهم، والآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧].

❀❀❀

س: ما المراد بالدعاء في قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؟

ج: قيل: المراد بالدعاء هنا العبادة والتوحيد.

قال السمعاني: أي نوحده ونعبده، والدعاء ههنا بمعنى التوحيد، وعليه أكثر المفسرين.

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؟

ج: قال السمعاني - رحمه الله تعالى - في إيضاح ذلك:

قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها، فمن قرأ بالكسر فهو على الابتداء والاستئناف، ومن قرأ بالفتح فمعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر الرحيم أي: لأنه. والبر: هو البار اللطيف بعباده، ولطفه بعباده هو إنعامه عليهم مع عظم جرمهم وذنبهم. والرحيم: هو العطوف على ما ذكرنا. وعن بعضهم: أن البر الذي يصدق وعده لأوليائه.

❀❀❀

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ
رَيْبَ ٱلْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ
أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ
(٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ
ٱلْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
(٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ
يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
(٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَذَكِّرْ - بِنِعْمَتِ رَبِّكَ - بِكَاهِنٍ - مَجْنُونٍ - أَمْ - نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ - رَيْبَ ٱلْمَنُونِ - تَرَبَّصُوا۟ - أَحْلَٰمُهُم - أَمْ هُمْ - طَاغُونَ - تَقَوَّلَهُۥ - بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ - لَّا يُوقِنُونَ - ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ - سُلَّمٌ - يَسْتَمِعُونَ فِيهِ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - مَّغْرَمٍ - مُّثْقَلُونَ - كَيْدًا - ٱلْمَكِيدُونَ - سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ - كِسْفًا - مَّرْكُومٌ - كَيْدُهُمْ - يُنصَرُونَ - عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ - لِحُكْمِ رَبِّكَ - بِأَعْيُنِنَا - وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَذَكِّرْ﴾	فعِظ (والتذكرة الموعظة).
﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾	بحمد ربك ـ من نعمة ربك عليك ـ من فضل الله عليك.
﴿بِكَاهِنٍ﴾	الكاهن الذي يأتيه الرِّئيُّ من الجن أي: صاحبه الذي يراه من الجن بالكلمة التي يزعم أنه تلقاها من خبر السماء.
﴿مَجْنُونٍ﴾	الذي ذهب عقله ـ أو الذي تخبطه الشيطان من المس.
﴿أَمْ﴾	بل.
﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ﴾	ننتظر أن يُصيبه.
﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾	حوادث الدهر الذي تكفينا شره وتميته. وتريحنا منه أو تتلفه وتصيبه بالعطب[1].
﴿تَرَبَّصُوا﴾	انتظروا ـ تمهلوا.
﴿أَحْلَامُهُم﴾	عقولهم.
﴿أَمْ هُمْ﴾	بل هم.
﴿طَاغُونَ﴾	متجاوزون الحد في الطغيان والظلم والكفر.
﴿تَقَوَّلَهُ﴾	اختلقه وافتراه من عند نفسه.
﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾	بقرآن مثله.

(١) أخرج الطبري عن قتادة (٣٢٣٧٨) بسندٍ حسنٍ: قوله: ﴿أم يقولون شاعرٌ نتربصُ به ريب المنون﴾ قال: قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد ﷺ الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان.
ومن ذلك قول الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها   تُطلَّق يومًا أو يموت حليلها

﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بوعيد الله.
﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾	الجبارون المتسلطون - المنزلون - الأرباب المسلطون، ومنه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢].
﴿سُلَّمٌ﴾	سلالم - مرقاة يصعدون عليها - درج.
﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾	يستمعون عليه، فـ﴿فِيهِ﴾ بمعنى عليه كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	حجة تبين أنه على حق.
﴿مَّغْرَمٍ﴾	غرامة - دين.
﴿مُّثْقَلُونَ﴾	يُحمَّلون بالدَّين - أثقلتهم الديون - مدينون دينًا باهظًا - يخافون أن يغرموا غرامة كبيرة.
﴿كَيْدًا﴾	مكرًا.
﴿ٱلْمَكِيدُونَ﴾	الممكور بهم.
﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	تنزه الله عن شركهم.
﴿كِسْفًا﴾	قطعًا.
﴿مَّرْكُومٌ﴾	متراكم (بعضه فوق بعض).
﴿يُصْعَقُونَ﴾	يموتون بالصعقة - يغشى عليهم.
﴿لَا يُغْنِي﴾	لا يدفع - لا ينفع.
﴿كَيْدُهُمْ﴾	مكرهم.
﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	ولا ينصرهم ناصر.
﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾	عذابًا قبل ذلك - عذابًا أقل من ذلك (يعني في الدنيا).
﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	لقضاء ربك.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾	على مرأى منا.
﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾	بعد غياب النجوم ـ وقيل: وقت إدبارها، وذلك بميلها إلى الغروب عن الأفق بانتشار ضوء الصباح.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾؟

ج:المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ فعِظ يا رسول الله قومكَ فالحمد لله، فمن فضل الله عليك ومن نعمته عليك لست بكاهنٍ ولا مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رئيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه. ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوّله الجهلة من كفار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرَّئيّ من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس.

❀❀❀

س: ما وجه تعلق قوله: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟

ج: أجاب على ذلك الرازي بقوله:

المسألة الثالثة: ما وجه تعلق قوله: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟ نقول فيه وجهان:

الأول: أن العرب كانت تحترز عن إيذاء الشعراء وتتقي ألسنتهم، فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون، وقالوا لا نعارضه في الحال مخالفة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته.

الثاني: أنه ﷺ كان يقول: إن الحق دين الله، وإن الشرع الذي أتيت به يبقى أبد الدهر وكتابي يتلى إلى قيام الساعة، فقالوا: ليس كذلك إنما هو شاعر، والذي يذكره في حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فنتربص به ذلك.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾؟

ج: المعنى تربصوا أيها الكفار، وانتظروا حتى يأتي أمر الله، ويحلَّ بي وبكم قضاء الله فإني منتظر قضاء الله وقدره.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ـ الذين يقولون لك: إنك شاعر نتربص بك ريب المنون ـ تربصوا: أي انتظروا وتمهلوا في ريب المنون، فإني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: انتظروا فإني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال الرازي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ وهو يحتمل وجوهًا:

أحدها: إني معكم من المتربصين أتربص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي غيره من الأيام هذا ما عليه الأكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل وجوهًا وبيانها: هو أن قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ إن كان المراد من المنون الموت فقوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ معناه: إني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لأحد، لعدم علمي بما قدمت يداه و إنما أنا نذير وأنا أقول ما قال ربي: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] فتربصوا موتي وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتوقعون بعدي، ويحتمل أن يكون كما قيل تربصوا موتي فإني متربص موتكم بالعذاب، و إن قلنا المراد من ريب المنون: صروف الدهر فمعناه إنكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول: أنا من المتربصين حتى أبصر ماذا يأتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكًا وماذا يصيبني منه، وعلى التقديرين فنقول: النبي ﷺ يتربص ما يتربصون، غير أن في الأول تربصه مع اعتقاد الوقوع، وفي الثاني تربصه مع اعتقاد عدم التأثير، على طريقة من يقول: أنا أيضًا أنتظر ما ينتظره حتى أرى ماذا يكون منكرًا عليه وقوع ما يتوقع وقوعه، وإنما هذا لأن ترك المفعول في قوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ لكونه مذكورًا وهو ريب المنون أولى من تركه وإرادة غير المذكور وهو العذاب.

الثاني: أتربص صروف الدهر ليظهر عدم تأثيرها فهو لم يتربص بهم شيئًا على الوجهين، وعلى هذا الوجه يتربص بقاءه بعدهم وارتفاع كلمته فلم يتربص بهم شيئًا على الوجوه التي اخترناها فقال: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به.

وأورد بإسناد صحيح[١] عن ابن زيد في قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ﴾ قال: كانوا يعدّون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أحلامهم بهذا ـ أن يعبدوا أصنامًا بكمًا صمًّا، ويتركوا عبادة الله ـ فلم تنفعهم أحلامهم، حين كانت لدنياهم ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أحلامهم. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يتأوّل قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ بل تأمرهم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذب وزُور ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

قال السمعاني:

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ﴾ أي: عقولهم، وكانوا يدعون أنهم ذوو عقول وأحلام. والعقل: هو الداعي إلى الحلم فسماه باسمه. ويقال: إن المعنى من هذا هو تسفيههم وتجهيلهم أي: ليس لهم حلم ولا عقل حيث قالوا مثل هذا القول، وحيث نسبوا إلى الشعر والجنون من دعاهم إلى التوحيد وأتاهم بالبراهين.

---

(١) الطبري (٣٢٣٨٣).

وقوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم طاغون.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

ج: هذا تحدي، يتحدى ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن يأتي أهل الكفر ـ إن كانوا صادقين في دعواهم أن الرسول ﷺ افترى القرآن من عند نفسه ـ بحديث مثل هذا القرآن.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أي: إن كانوا صادقين في قولهم: تَقَوَّله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور مثله، ولا بسورة من مثله.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيرها:

يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي: من غير آباء ولا أمّهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء.

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يقول: أخلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين! وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ يقول: لم يتركوا أن يأتمروا

لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى لأنهم خلقوا السموات والأرض فكانوا بذلك أربابًا، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعدَّ لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا.

وأورد حديث البخاري [1] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال جبير بن مُطعم، عن أبيه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول: أنهم إذا لم يدَّعوا أنهم تكوَّنوا من غير خالق وصانع، ولا ادَّعَوا أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله، فلا ينبغي أن يعبدوا معه غيره. والقول الثاني: أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أي: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥] ومثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام؟ والجواب: أن بعضهم قد أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة يعني: أن الحكمة أوجبت خلقهم. ذكره النحاس أيضًا، والأول أظهر في المعنى.

❀❀❀

---

(١) البخاري (٤٨٥٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾؟

ج: قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ معناه: أم يدعون خلق السموات والأرض للأصنام التي يعبدونها.

وقوله: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يوقنون بها يدعون. وقيل: أم خلقوا السموات والأرض أي: أهم الذين خلقوا السموات والأرض. ومعناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض.

وفي التفسير: أنهم كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركون معه غيره؟!

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾؟

ج: قال الطبري ـ بعد أن أورد جملةً من الأقوال في تفسيرها ـ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبَّارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المسيطر في كلام العرب: الجبار المتسلط، ومنه قول الله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] يقول: لست عليهم بجبار مسلط.

قال الرازي في تفسيره:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾، وفيه وجوه:

أحدها: المراد من الخزائن خزائن الرحمة.

ثانيها: خزائن الغيب.

ثالثها: أنه إشارة إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان.

رابعها: خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان ولم يسمع بها، وهذه الوجوه

الأول والثاني منقول، والثالث والرابع مستنبط، وقوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ تتمة للرد عليهم، وذلك لأنه لما قال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بخزنة رحمة الله فيعلموا خزائن الله، وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينتفي العلم لجواز أن يكون مشرفًا على الخزانة، فإن العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب في الخزانة، فقال: لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها، ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزانة، لأن التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب، وقيل المسيطر المسلط وقرئ بالصاد، وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء، كما في قوله تعالى: ﴿بمسيطر﴾ وقد قرئ: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حق، فهم بلك متمسكون بما هم عليه.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: فإن كانوا يدَّعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه، بسلطان مبين، يعني بحجة تبين أنه حق، كما أتى محمد ﷺ بها على حقيقة قوله، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله، والسُّلَّم في كلام العرب: السبب والمرقاة، ومنه قول ابن مقبل:

لا تُحْرِزِ المَرْءَ أحْجاءُ البِلاد ولا تُبْنَى لـه في السَّموات السَّلاليمُ

ومنه قوله: جعلت فلانًا سلمًا لحاجتي: إذا جعلته سببًا لها.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ أي: درج ومرقى.

وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:٧١] أي: على جذوع النخل.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: فليأت من ادَّعى الاستماع منهم بحجة بينة. وفي بعض التفاسير: كما أتى جبريل بالحجة في أنه قد سمع الوحي.

❀❀❀

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٢١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجَعْلِهم الملائكة إناثًا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾؟ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

وقد قال السمعاني في تفسيرها:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ معناه: كيف تقولون أن له البنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم؟ والمعنى: أنه ليس الأمر كما تزعمون.

❀❀❀

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون؟ ذلك إذن قسمة ضيزى، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يقول ـ

تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثوابًا وعوضًا من أموالهم، فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرًا يجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ قال: يقول: أسألتهم على هذا أجرًا، فأثقلهم الذي يُبْتغَى أخذه منهم.

❀❀❀

س: الداعي إلى الله لا يتقاضى على هداية الناس أجرًا دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [هود:٥١].
* وقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٢٩].
* وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون:٧٢].
* وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

❀❀❀

س: ما المراد بالغيب في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟، وضح معنى الآية.

ج: المراد بالغيب علمُ الغيب، ودليله قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ [النجم:٣٥].

أما عن الآية الكريمة، فقد قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم عندهم علم الغيب،

فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاءوا، ويخبرونهم بما أرادوا.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ حتى علموا متى يموت محمد أو إلى ما يئول إليه أمره. وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه. **وقال القتبي**: يكتبون يحكمون والكتاب الحكم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: حكم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله» أي: بحكم الله.

وقال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ معناه: علم الغيب، ويقال: اللوح المحفوظ، فهم يكتبون منه ما يزعمونه ويدعونه، ومعناه: أنه ليس عندهم ذلك، فقد ادعوا ما ادعوا فقالوا ما قالوا زورًا وكذبًا. ويقال: أم عندهم الغيب أي: كتاب من الله فهم يقولون ما يقولون منه.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾.

ج: قوله تعالى ـ هنا ـ: ﴿ أَمْ ﴾ معناه: بل، فالمعنى: بل يريد هؤلاء المشركون الكيد بك يا محمد والكيد لدين الله، ولكن ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾ أي: أن أهل الكفر هم الممكور بهم دونك فثق بالله وامض لما أمرك الله. قاله الطبري.

ومن الكيد الذي كادوه للنبي ﷺ ما ذكره الله في كتابه الكريم إذ قال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: أمْ لهم معبود يستحق عليهم العبادة غير الله، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العبادة من جميع خلقه ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: تنزيهًا لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فإن قيل: قد كانوا يدعون أن لهم آلهة غير الله، فكيف يصح قوله أم لهم إله غير الله يحي ويميت، ويعطي ويمنع، ويرزق ويحرم؟!

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، وما المراد منه؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: أن أهل الكفر والجحود، ممن سبق في علم الله أنهم سيموتون على الكفر لن تجدي معهم الآيات ولن ينتفعوا بالمعجزات، فمهما آتيتهم به من آية التمسوا لها تفنيدًا وتكذيبًا كالذين رأوا انشقاق القمر فقالوا: سَحَرنا محمد ﷺ.

وهذا أيضًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٥].

أما عن معنى الآية الكريمة، فبين يدي تفسيرها أقول: إن أهل الشرك قد طلبوا من رسول الله ﷺ ـ كي يؤمنوا به ويصدقوه ـ معجزات، وكان مما طلبوه إسقاط السماء

عليهم قطعًا كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢].

فأخبر الله تعالى: أنه مهما أمدهم به من آيات ومعجزات حتى ولو أسقط السماء عليهم قطعًا ما آمنوا بل لتمادوا ـ أيضًا ـ في غيِّهم.

فقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا ﴾ أي: الكفار: ﴿كِسْفًا ﴾ أي: قطعًا ﴿سَاقِطًا﴾ أي: ساقطة من السماء، ﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ أي: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة[1] في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا ﴾ يقول: وإن يروا قطعًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ يقول جل ثناؤه: يقولوا لذلك الكسْف الساقط من السماء: هذا سحاب مركوم، يعني بقوله مركوم: بعضه على بعض.

وبإسناد صحيح عن[2] ابن زيد في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ قال: حين سألوا الكسف قالوا: أسقط علينا كسْفًا من السماء إن كنت من الصادقين، قال: يقول: لو أنا فعلنا لقالوا: سحاب مركوم.

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وإنما عني بذلك جل ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠]... إلى قوله: ﴿عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢]، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات، فعاينوا كسفًا من السماء ساقطًا، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون.

❀❀❀

(١) الطبري (٣٢٣٩١).
(٢) الطبري (٣٢٣٩٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ:

وقوله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيرها:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ يوم القيامة، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ثم بين عن ذلك اليوم أيّ يوم هو، فقال: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾، يعني: مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، فاليوم الثاني ترجمة عن الأول.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ أي: لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع بهم لا محالة.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾؟

ج: أما قوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ فمن العلماء من قال: (أقل من ذلك)، ومنهم من قال: (قبل ذلك).

والمعنى: وإن لأهل الظلم قبل يوم القيامة عذابًا يعذبون به أدنى وأقل من عذاب

يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] ثم إن هذا العذاب من العلماء من قال: إن المراد به عذاب القبر، ومنهم من قال: إنه الجوع، وثَمَّ أقوال أُخر.

أخرج الطبري[1] بإسناد عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجر وثواب عند الله، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء، عجلهم الله إياها في الدنيا، وقرأ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].. إلى آخر الآية.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يُرَاد بهم، بل إذا جَلّى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلِّغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك

---

(١) الطبري (٣٢٣٩٩).

بسوء من المشركين.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تُبالهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظر منَّا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلا م: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩] أي: بحفظي وحراستي وقد تقدَّم.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؟، وما المراد بقوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ **فمن العلماء من قال**: معناه أن نقول سبحان الله وبحمده.

وقال آخرون: معناها وصل بحمد ربك، أي: صلِّ، وصلاتك هذه يحمد عليها ربك فقد صليتها بحمد ربك.

أما قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ فمن العلماء من قال: حين تقوم من كل منامةٍ، وقال آخرون: حين تقوم إلى الصلاة المفروضة.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وصل بحمد ربك حين تقوم من منامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عني صلاة الظهر.

وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنَّه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضَّحاك لكان فرضًا أن يقال، لأن قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد، قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة أن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلًا لنا أنه أريد به الندب والإرشاد.

وإنما قلنا: عُني به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضًا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر، فلما أمر بعد قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بالتسبيح بعد إدبار النجوم - وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلًا - عُلم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل.

قال السمعاني - رحمه الله -:

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ حامدًا ربك، وعن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أن معناه: هو أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وعن بعضهم: أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، فهو المراد من الآية، قاله زر بن حبيش. وقال أبو الأحوص معناه: أنه يقول: سبحانك وبحمدك إذا قام من أي مجلس كان. وعن بعضهم أنه يقول: إذا قام من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهو كفارة لكل مجلس جلسه الإنسان.

أما الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقد أورد جملة أقوال منها: حين تقوم إلى الصلاة، ومنها: إذا قام من الليل ومنها: إذا قام من المجلس، وأورد استدلالاته على ذلك.

ومما أورده حديث[1] عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من تَعارَّ مِن الليلِ فقالَ: لا إله إلَّا الله، وحْدَه لا شَريكَ لَه، له الملك وله الحمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدِير، سبحَان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ثم قال: رَبِّ اغفر لي ـ أو قال: ـ ثم دعا استُجيب له، فإن عَزَم فتوضَّأ ثُم صلَّى تُقبِّلتَ صلاتُه».

وحديث أبي هريرة[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن جَلَسَ في مَجلسٍ فَكَثُرَ فِيه لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِن مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَه مَا كَانَ فِي مَجْلِسِه ذَلِكَ».

❀❀❀

س: اذكر بعض أذكار الاستيقاظ؟

ج: من ذلك ما ورد في الصحيحين[3] من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشُورُ».

* ومن ذلك أيضًا قراءة العشر آيات خواتيم سورة آل عمران ـ أحيانًا ـ فقد فعلها النبي ﷺ. ففي الصحيحين من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قصة

(١) البخاري (حديث ١١٥٤).
(٢) الترمذي (٣٤٢٩)، وله طرق يشد بعضها بعضًا.
(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١١٣)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٣٥).

مبيته عند خالته ميمونة قال:.. ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس فمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران ثم قام إلى سنٍ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي[١].

وفي الباب حديث آخر يقوله من تَعارَّ من الليل، (وتعار أي: تقلب على الفراش ليلاً، وقيل: معناه انتبه، وقيل التقلب مع كلام)، ألا وهو حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «من تَعَارَّ مِن الليلِ فَقَالَ: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه، لَه الملكُ وَلَه الحمدُ، وهُو عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ الحَمْدُ لله وَسُبْحَانَ الله وَلَا إِله إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِر لي أَو دَعَا اسْتَجِيْبُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلَاتُه»[٢].

وفي الصحيحين[٣] ـ كذلك ـ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهم لك الحمدُ أنت قيِّم السموات والأرض ومن فِيهنَّ، ولك الحمدُ لك مُلْكُ السَّموات والأرضِ ومَن فِيْهِنَّ، ولك الحمدُ أنتَ نُور السَّمواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ أنتَ مَلِكُ السمواتِ والأرضِ، ولكَ الحمدُ أنتَ الحقُّ، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولُك حَقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللَّهم لكَ أسْلَمْتُ، وبكَ آمَنْتُ، وعليك توكَّلْت، وإليك أنَبْت، وبك خَاصَمْت، وإليك حاكَمت، فاغفر لي ما قَدَّمت وما أَخَّرت، ومَا أسْرَرْت وما أعلَنْت، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لَا إله إلَّا أنتَ، أو لَا إِلَه غَيْرُكَ».

❀❀❀

---

(١) البخاري (مع الفتح٣/ ٧١)، ومسلم (٦/ ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٩).

(٣) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٥٤).

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: ومن الليل فعظِّم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاةُ المغرب وقيل: المراد صلاة الليل عمومًا.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: وسبح بحمد ربك عند إدبار النجوم، وقد قيل: إن المراد صلاة ركعتي نافلة الفجر وقيل: المراد صلاة الصبح.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بها: الصلاة المكتوبة صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ولم تقم حجة يجب التسليم لها أن قوله (فسبحه): على الندب، وقد دللنا في غير موضع من كتابنا على أن أمر الله على الفرض حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب أو غير الفرض بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد عن رسول الله ﷺ في فضل نافلة الفجر؟

ج: من ذلك قول رسول الله ﷺ: «رَكْعَتا الفَجْرِ خَيرٌ مِن الدُّنيا ومَا فِيها».

وفي رواية: «لهما أحب إليَّ من الدنيا جميعًا» أخرج الروايتين مسلم[١] في صحيحه.

وعند البخاري[٢] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ لم يكن يدعهما أبدًا.

وفي رواية عنها عند البخاري[٣] أيضًا قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتي الفجر.

❀❀❀

(١) مسلم حديث (٧٢٥).

(٢) البخاري (١١٥٩).

(٣) البخاري (١١٦٣).

تفسير سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ
إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧)
ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا
كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ
سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا
طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ
إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ
أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ
الْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
(٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[النجم: ١ ـ ٣٢]

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿وَالنَّجْمِ - هَوَىٰ - مَا ضَلَّ - وَمَا غَوَىٰ - وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ - شَدِيدُ الْقُوَىٰ - ذُو مِرَّةٍ - فَاسْتَوَىٰ - وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ - دَنَا - فَتَدَلَّىٰ - قَابَ قَوْسَيْنِ - أَوْ أَدْنَىٰ - الْفُؤَادُ - أَفَتُمَارُونَهُ - نَزْلَةً أُخْرَىٰ - سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ - جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ - يَغْشَى - مَا زَاغَ - وَمَا طَغَىٰ - ضِيزَىٰ - سُلْطَانٍ - الْهُدَىٰ - فَأَعْرِضْ - مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ - بِالْحُسْنَى - اللَّمَمَ - فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ - اتَّقَىٰ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَالنَّجْمِ﴾	قيل: المراد عموم النجوم التي نراها - وقيل نجم مخصوص وهو الثريا - وقيل القرآن إذا نزل مُنجمًا [1] (أي مفرقًا).
﴿هَوَىٰ﴾	سقط.
﴿مَا ضَلَّ﴾	ما حاد عن الطريق - ما زال عن الحق ولكن على استقامة وسدادٍ.
﴿وَمَا غَوَىٰ﴾	ما صار غويًّا، ولكنه رشيد سديد.
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	ما ينطق عن هواه - ما ينطق بالهوى [2] ما يقول قولًا عن هوًى وغرضٍ.
﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾	شديد الأسباب - عنده من الأسباب ما يتوصل به إلى ما يريده (بإذن الله) - وهو جبريل عليه السلام.
﴿ذُو مِرَّةٍ﴾	ذو خَلْقٍ حسن - ذو منظرٍ حسن وقيل ذو قوةٍ [3].

(١) ومنه ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ أي: مواطن نزول الآيات على قول.

(٢) كقوله ﴿فاسأل به خبيرًا﴾ أي: فاسأل عنه خبيرًا.

(٣) قال الطبري رحمه الله: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بالمرّة صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان كان قويًّا، وإنما قلنا إن ذلك كذلك لأن المرّة واحدة المرر، وإنما أريد به ذو مرة سوية وإن كانت المِرةُ صحيحة كان الإنسان صحيحًا، ومنه قول النبي ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي».

﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾	أصبح في مستوى واحدٍ مع رسول الله ﷺ - ارتفع واعتدل.
﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	نواحي السماء (في اتجاه طلوع الشمس) الذي يأتي منه النهار.
﴿دَنَا﴾	اقترب.
﴿فَتَدَلَّىٰ﴾	فنزل.
﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾	قدر قوسين - على بُعدٍ يقدر بقوسين. وقيل القاب قدر نصف الإصبع.
﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾	أو أقرب.
﴿ٱلۡفُؤَادُ﴾	القلب.
﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾	أفتجادلونه - أفتجحدونه.
﴿نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾	مرة أخرى.
﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾	سدرة السدر - شجرة النبق التي يُنتهى إليها، وهي شجرة عظيمة جدًّا فوق السماء السابعة.
﴿جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾	الجنة التي يأوي إليها أهل الإيمان[1]، وقيل يأوي إليها الشهداء.
﴿يَغۡشَى﴾	يُغطي - يعتري.
﴿مَا زَاغَ﴾	ما مال بصر النبي ﷺ يمينًا ولا شمالًا عما رآه.
﴿وَمَا طَغَىٰ﴾	وما جاوز ما أُمر به - ما ارتفع عن الحد الذي حُدَّ له[2].
﴿ضِيزَىٰٓ﴾	جائرة - غير مستوية - ناقصة غير تامة عوجاء منقوصة - غير عادلة[3].
﴿سُلۡطَٰنٍ﴾	حجة.
﴿ٱلۡهُدَىٰٓ﴾	البيان لحقيقة ما هم عليه.

(١) شاهده قوله تعالى: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ [السجدة:١٩].

(٢) أخرج الطبري (٣٢٥٢٥) بسندٍ رجاله ثقات عن ابن عباس قال في قوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ قال: ما زاغ يمينًا ولا شمالًا ولا طغى، ولا جاوز ما أمر به.

(٣) أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن قتادة (٣٢٥٤٧) قال: ﴿تلك إذًا قسمة ضيزى﴾ يقول: قسمة جائرة.

﴿فَأَعْرِضْ﴾	دع ـ اترك.
﴿لا يغني﴾	لا تفيد من ادعاها وتعلّق بها ورجاها.
﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾	منتهى علمهم.
﴿بِالْحُسْنَى﴾	الجنة.
﴿اللَّمَمَ﴾	صغار الذنوب ـ ما يلم به الشخص من الذنوب عمومًا، تلك الذنوب التي تابوا منها.
﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾	فلا تبرئوا أنفسكم ـ لا تظهروا براءة أنفسكم ـ لا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي. لا تمدحوها وتشكروها.
﴿اتَّقَىٰ﴾	خاف العقوبة فاجتنب المعاصي.

❀❀❀

س: اذكر إجمالاً ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: افتتحت هذه السورة الكريمة بقسم من الله العظيم على تبرئة رسول الله ﷺ مما صنعه به الواصفون المشركون والمكذبون المعاندون، وتضمنت دفاعًا عن هذا النبي ﷺ أحسن الدفاع وأكمل الدفاع، وكذا تضمنت الدفاع عن الوحي المتضمن القرآن والسنة النبوية وبيان أنه من عند الله عزَّ وجل، وبتعليم جبريل الأمين عليه السلام لهذا النبي الكريم.

ـ ثم بيانٌ بعض ما أكرمه الله به نبيه ﷺ ليلة المعراج من رؤية جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها، ورؤية سدرة المنتهى.

ـ ثم بيان لبطلان ما يعبده المشركون من الآلهة الباطلة المزعومة المفتراة.

ـ وكذلك جميل بيان لكون الأمور كلها مردها إلى الله عزَّ وجل، وأن أمر الخلق كلهم إليه وتصبيرٌ لهذا النبي الكريم وتوجيه له، وبيان عدل الله عزَّ وجل، وما أعده لأهل الإيمان، وبيان قدرته على الخلق.

١ ٨٧

ـ ثم بيان أمر رجل معاندٌ كافر جاحد.

ـ وبيانٌ لبعض ما في الصحف المنزلة قبل القرآن، ألا وهي صحف إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ.

ـ ثم تذكيرٌ بالأمم الهالكة الماضية كعادٍ وثمود وقوم نوحٍ وقوم لوطٍ.

ـ وتذكير بالآخرة واقترابها وتحقق وقوعها، وأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والسجود له والإذعان والله تعالى أعلم.

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ما المراد بهذا الهَوِيِّ؟

ج: قال بعض العلماء: المراد إذا رُميت به الشياطين .

وقال آخرون من العلماء: إن المراد بالهويِّ السقوط (سقوط النجم) في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار، لأن في ذلك من الآيات العظيمة ما أوجب أن أقسم به. قاله السعدي رحمه الله.

وقال فريق ثالث من العلماء: إن قوله: ﴿هَوَىٰ﴾ انتثر، وذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:٢].

❀❀❀

س: هل هناك مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة المباركة؟

ج: أشار السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره إلى ذلك بقوله: وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينةً للسماء فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث من الأنبياء لكان الناس في ظلمةٍ أشد من ظلمة الليل البهيم.

❀❀❀

س: من المَعْنيُّ بالصاحب في قوله تعالى: ﴿ مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾؟

ج: المعنيُّ بذلك هو رسول الله ﷺ.

❀❀❀

س: ما وجه التذكير بقوله: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: وذلك ـ والله أعلم ـ ليبين لهم أن هذا الرسول ليس بمجهولٍ عندهم بل معروف بصدقه وأمانته، وحسن خلقه وهدايته، فأمره لا يخفى عليهم وذلك أدعى للتصديق والإيمان به.

❀❀❀

س: على أي شيءٍ أقسم الله عزَّ وجل؟

ج: أقسم الله عزَّ وجل على أن النبي ﷺ ما ضل وما غوى، فالمقسم عليه تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه والغيِّ في قصده.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾: هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأنه بارٌّ راشد تابع للحق ليس بضال، وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم. والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدًا إلى غيره، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾، أي: ما يقول قولًا عن هوًى وغرض ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفَّرًا من غير زيادة ولا نقصان.

❀❀❀

س: اذكر الأثر الوارد عن عتبة بن أبي لهب وكفرانه برب النجم وما مدى صحة هذا الأثر؟

ج: هذا الأثر أخرجه الطبري[1] عن قتادة أن النبي ﷺ تلا: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فقال ابنٌ لأبي لهب حسبته قال: اسمه عتبة: كفرت برب النجم، فقال النبي ﷺ: «احْذَرْ لَا يَأْكُلكَ كَلْبُ الله»، قال: فضرب هامته.

قال: وقال ابن طاوس عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «أَلَا تَخَاف أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْكَ كَلْبَه؟» فخرج ابن أبي لهب مع ناس في سفر حتى إذا كانوا في بعض الطريق سمعوا صوت الأسد، فقال: ما هو إلا يريدني، فاجتمع أصحابه حوله وجعلوه في وسطهم، حتى إذا ناموا جاء الأسد فأخذه من بينهم.

إلا أن هذا الأثر مرسل، ومراسيل قتادة شديدة الضعف والله أعلم.

❀❀❀

س: ما الفرق بين الضلال والغواية؟

ج: ذهب بعض أهل العلم: إلى أن الضلال أعم من الغواية وأحيانًا يكون الضلال متعلقًا بالبعد عن القصد الصحيح عمومًا، والبعد عن الصواب، أما الغواية فالبعد عن طريق الإيمان فحسب، ولذلك جوَّز بعض العلماء أن نقول ضلَّ بعيري، وضلَّت ناقتي، ولا تقول غوى بعيري وغوت ناقتي.

ومن ثم فقد رأى بعض أهل العلم أن معنى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ أي ما كفر، ولا فعل أقل من ذلك وهو الفسق، أي ما كفر صاحبكم وما فسق.



(١) الطبري (٣٢٤١٩).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ ما هذا القرآن إلا وحي يوحيه الله تبارك وتعالى إلى رُسُله، وكذلك أفادت الآية أن السُّنة وحيٌ يوحى وأفادت أيضًا أن النبي ﷺ معصوم فيما يخبر به عن الله عز وجل وشرعه.

أخرج الطبري[1]: بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: يُوحِي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمدٍ ﷺ.

❀❀❀

س: هل السنة تنسخ القرآن؟ اذكر أمثلة لذلك؟

ج: ذهب إلى ذلك عدد من العلماء، بل نقل هذا القول عن الجمهور ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

ومن أمثلة ذلك: قوله ﷺ: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» فقد ذهب عدد من العلماء إلى أنه ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ...﴾ [البقرة:١٨٠] واستدل أيضًا بقول النبي ﷺ «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَد جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيْلًا الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مَائَةٍ وَالرَّجْمُ، وَالبِكْرُ بِالبِكْرِ جَلدُ مَائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ» قالوا: إنه ناسخ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥].

❀❀❀

---

(١) الطبري (٣٢٤٢٠).

س: دافع الله عز وجلّ عن نبيه في مواطن كثيرة جدًّا اذكر بعضها؟

ج: من تلك المواضع ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١، ٤٢].

❀❀❀

س: من المراد بشديد القوى، وما فائدة التذكير بذلك؟

ج: أكثر العلماء على أنه جبريل ـ عليه السلام ـ.

وفائدة التذكير بذلك بيان أن الذي علَّم النبي ﷺ وجاءه بالوحي هو أفضل ملك من الملائكة وهو جبريل ـ عليه السلام ـ فهو سيد الملائكة، وهو المُطاع فيهم، ثم هو قويٌّ على تنفيذ ما أمره الله به، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، قوي في منع الشياطين من اختلاس الوحي قوي في منعهم من التخليط والتحريف.

ففي ما ذُكر فضيلة للرسول ﷺ إضافة إلى سائر فضائله فهو سيد الناس يوم القيامة نزل عليه خير كتاب بخير لغة في خير بقاع وفي خير أمة أخرجت للناس، وكذلك بواسطة خير ملَكٍ ـ والله أعلم ـ.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن جبريل عليه السلام أصبح في مستوى واحد مع رسول الله ﷺ، وذلك بالأفق الأعلى الذي هو اتجاه طلوع الشمس الذي يأتي منه النهار.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يقول: فاستوى هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى وذلك لما أسري برسول الله ﷺ هو وجبريل ـ عليهما السلام ـ بمطلع الشمس الأعلى وهو الأفق الأعلى، وعطف بقوله: «وهو» على ما في قوله: «فاستوى» من ذكر محمد ﷺ والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلّما يقولون استوى وفلان، وذكر الفراء عن بعض أنه أنشده:

ألمْ تر أنَّ النَّبعَ يصْلُبُ عودُهُ ... ولا يسْتَوي وَالخِرْوَعُ المُتَقَصِّفُ

فردّ الخروع على «ما» في يستوي من ذكر النبع، ومنه قول الله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل:٦٧] فعطف بالآباء على المكني في كنا من غير إظهار نحن، فكذلك قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ﴾، وقد قيل: إن المستوي: هو جبريل، فإن كان ذلك كذلك، فلا مؤنة في ذلك، لأن قوله: «وهو» من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجّه معنى قوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: أي ارتفع واعتدل.

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

تنبيهات

الأول: قدمنا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ما قاله المفسرون من الأقوال العديدة، ولا يخفى ما في بعضها من التكلف والتعسف، كتوجيه ابن جرير والرازي ومن وافقهما، وبعض أقوال حكاها القرطبيُّ.

والأقرب في معنى الآية ما ذكره الإمام ابن كثير، كما نقلناه عنه، لكثرة الأحاديث الواردة فيها يفسرها بذلك.

نحن نقول في تأييده إن القرآن يفسر بعضه بعضًا، لتشابه آياته الكريمة وتماثلها.

والآية هذه مشابهة لما في سورة التكوير تمام المشابهة، فقد قال تعالى ثمة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:١٩-٢٣] فترى هذه الآيات مشابهة للآيات هنا، وإن كان فيها هنا زيادة رؤية، وبيان دنوّ واقتراب لم يذكر في (التكوير).

وسر الزيادة هو ارتقاء النبي ﷺ في معارج الكمالات وقتًا فوقتًا.

وسورة النجم مما نزل بعد التكوير، كما حكاه في (الإتقان) عن ابن عباس وغير واحد من السلف، فلذلك كان في (النجم) زيادة هذا التكريم والتفضيل.

وحاصل المعنى: أن ما ينطق به من هذا القرآن ليس عن هواه، وإنما هو وحي علمه إياه ملك كريم، جمّ المناقب، لأنه شديد القوى، ذو مرة، رفيع المكانة بالأفق الأعلى.

ثم لما شاء تعالى إنزال وحيه على نبيه تنزل من الأفق، ودنا إليه، وكان في غاية القرب منه والتمكن من رؤيته، وتلقي الوحي عنه. وذلك كله حق وصدق لا مرية فيه. وكيف يماري من يرى ببصره ، ما يصدقه فؤاده فيه ولا يكذبه، لا سيما ولم تكن رؤياه له مرة واحدة، بل رآه نزلة ثانية، نزل إليه بالوحي في مكان معين لا يشتبه على رائيه، وهو سدرة المنتهى.

وبالجملة، فتوافق هذه الآيات لآيات (التكوير) وتفسير بعضها بعضًا، أمر لا خفاء به عند المتدبر، وكله رد على المشركين المفترين، وإقسام على حقيقة الوحي والتنزيل، وصدق ما يخبر به، لاسيما وهو صادق عندهم لا يكذبونه.

فما بقي بعد التعنت والجحد إلا انتظار سنة الله في أمثالهم من الأمم الكافرة

الجاحدة، كما أشار له في آخر السورة.

هذا ملخص معنى الآيات ـ وما عداه فتوسع ـ وحمل اللفظ على ما تجوّزه مادته. وكل ما يتسع له اللفظ هو المراد ـ والله الموفق ـ.

الثاني: ما قدمناه من رجوع الضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ إلخ إلى جبريل ـ عليه السلام ـ هو الذي عوَّل عليه عامة المفسرين، وقد أيدناه بما رأيت.

قال الإمام ابن تيمية: الدنوّ والتدلّي في سورة النجم هو دنوّ جبريل وتدلّيه ـ كما قالت عائشة وابن مسعود ـ والسياق يدل عليه، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القُوَى، وهو ذو المرة أي القوة، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنا فتدلّى، فكان من محمد ﷺ قدر قوسين أو أدنى، وهو الذي رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، رآه على صورته مرتين، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى. انتهى.

وروى البخاري[١] في هذه الآيات عن ابن مسعود قال: «رأى جبريل له ستمائة جناح».

وروى الترمذي[٢] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أنه ﷺ رأى جبريل، ولم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في جياد ـ مكان بمكة ـ له ستمائة جناح، قد سدّ الأفق».

وأما ما وقع في حديث شريك في (البخاريّ) [٣] من قوله: «ودنا الجبّار رب العزة

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم، ١ ـ حدثنا يحيى بن وكيع، حديث رقم (١٥٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي في: ٤٤ ـ كتاب التفسير، ٥٣ سورة النجم، ٣ حدثنا ابن أبي عمر.

(٣) أخرجه البخاري في: ٩٧ ـ كتاب التوحيد، ٣٧ ـ باب قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وحديث رقم (١٦٨٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فتدلّى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»، فإن لم يكن ذلك من زيادة شريك، على ما ذهب إليه الإمام مسلم وغيره، فهو دنوّ وتدلّ غير ما في سورة النجم، نؤمن به. ونفوِّض كيفيته إليه تعالى، كسائر أخبار الصفات.

قال ابن كثير: قد تكلّم كثير من الناس في رواية شريك، فإن صح فهو محمول على وقت آخر، وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض، لا ليلة الإسراء. ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض. انتهى.

هذا، وقد أطال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الكلام لتقرير أن الذي دنا فتدلى هو جبريل ـ عليه السلام ـ فقال رحمه الله تعالى (في التفسير القيم):

فالصحيح أن ذلك هو جبريل عليه السلام فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله (٥٣: ١٣، ١٤ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية؟ فقال: «ذَاكِ جِبْرِيلُ، لَمْ أُرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ».

ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه.

أحدها: أنه قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكرير فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩، ٢٠].

الثاني: أنه قال ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي حسن الخلق، وهو الكريم في سورة التكوير.

الثالث: أنه قال ﴿فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو ناحية السماء العليا. وهذا استواء جبريل بالأفق. وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه.

الرابع: أنه قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فهذا دنو جبريل وتدليه إلى الأرض، حيث كان رسول الله ﷺ.

وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله ﷺ فوق السموات. فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى. فالدنو والتدلي في الحديث غير الدنو والتدلي في الآية. وإن اتفقا في اللفظ.

الخامس: أنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ والمرئي عند السدرة هو جبرئيل قطعًا. وبهذا فسره النبي ﷺ فقال لعائشة: «ذَاكِ جِبْرِيلُ».

السادس: أن مفسر الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ واحدة. فلا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسَّر من غير دليل.

السابع: أنه سبحانه ذكر في هذه السورة الرسولين الكريمين: الملكي، والبشرى. ونزّه البشرى عن الضلال والغواية، والملكي عن أن يكون شيطانًا قبيحًا ضعيفًا، بل هو قوي كريم حسن الخَلْق. وهذا نظير المذكور في سورة التكوير سواء.

الثامن: أنه أخبر هناك: أنه رآه بالأفق المبين، وههنا: أنه رآه بالأفق الأعلى وهو واحد وصف بصفتين، فهو مبين وأعلى، فإن الشيء كلما علا بان وظهر.

التاسع: أنه قال: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ والمرة: الخلق الحسن المحكم. فأخبر عن حسن خلق الذي علم النبي ﷺ، ثم ساق الخبر كله عنه نسقًا واحدًا.

العاشر: أنه لو كان خبرًا عن الرب تعالى لكان القرآن قد دل على أن رسول الله ﷺ رأى ربه سبحانه مرتين: مرة بالأفق، ومرة عند السدرة. ومعلوم أن الأمر لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ لأبي ذر وقد سأله: هل رأيت ربك ـ قال «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟» فكيف يخبر القرآن أنه رآه مرتين، ثم يقول رسول الله ﷺ «أَنَّى أَرَاهُ؟» وهذا أبلغ من قوله: «لم أره» لأنه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط.

وهذا يتضمن النفي وطرفًا من الإنكار على السائل، كما إذا قال لرجل: هل كان كيت وكيت؟ فيقول: كيف يكون ذلك؟

الحادي عشر: أنه لم يتقدم للرب جل جلاله ذكر يعود الضمير عليه في قوله ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ والذي يعود الضمير عليه لا يصلح له، وإنما هو لعبده.

الثاني عشر: أنه كيف يعود الضمير إلى ما لم يذكر، ويترك عوده إلى المذكور، مع كونه أولى به؟

الثالث عشر: أنه قد تقدم ذكر «صاحبكم» وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، ثم ذكر بعده شديد القوى، ذا المرة. وأعاد عليه الضمائر التي تليق به.

والخبر كله عن هذين المفسّرين، وهما الرسول الملكي، والرسول البشري.

الرابع عشر: أنه سبحانه أخبر أن هذا الذي دنى فتدلَّى: كان بالأفق الأعلى وهو أفق السماء، بل هو تحتها، قد دنا من الأرض، فتدلى من رسول رب العالمين ﷺ، ودنو الرب تعالى وتدليه على ما في حديث شريك: كان من فوق العرش، لا إلى الأرض.

الخامس عشر: أنهم لم يماروه صلوات الله وسلامه عليه على رؤية ربه، ولا أخبرهم بها لتقع مماراتهم له عليها. وإنما ماروه على رؤية ما أخبرهم من الآيات التي أراه الله إياها. ولو أخبرهم برؤية الرب تعالى لكانت مماراتهم له عليها أعظم من مماراتهم على رؤية المخلوقات.

السادس عشر: وأنه سبحانه قرر صحة ما رآه. وأن مماراتهم له على ذلك باطلة بقوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ولو كان المرئي هو الرب سبحانه وتعالى والمماراة على ذلك منهم: لكان تقرير تلك الرؤية أولى، والمقام إليها أحوج. والله أعلم.

❀❀❀

س: من الذي دنا فتدلى؟ وضح المعنى ولماذا دنا فتدلى؟

ج: الذي دنا فتدلى هو جبريل عليه السلام.

أما إيضاح المعنى:

فقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى إليه. وهذا من المؤخّر الذي معناه التقديم، وإنما هو، ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله: «دنا»، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلي والتدلي على الدنوّ، كما يقال: زارني فلان فأحسن، وأحسن إلي فزارني، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني؛ لأن الإساءة هي الشتم، والشتم هو الإساءة.

أما كونه دنا فتدلى، فذلك ـ والله أعلم ـ لإيصال الوحي إليه.

وفائدة ذكر الدنو والتدلي لبيان أنه لا واسطة بين رسول الله ﷺ وبين جبريل ـ عليه السلام ـ.

❀❀❀

س: ما مدى صحة هذه اللفظة الواردة في حديث أنس من طريق شريك بن أبي نمر عنه، (ثم دنا الجبار فتدلى)؟

ج: هذه اللفظة استنكرت أشد الاستنكار على راويها، وقد تكلم في متنها كثير من العلماء.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى». ولهذا تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ يقول: فكان جبرائيل من محمد ﷺ على قدر قوسين، أو أدنى من ذلك، يعني: أو أقرب منه، يقال: هو منه قاب قوسين، وقيب قوسين، وقيد قوسين، وقاد قوسين، وقدى قوسين، كل ذلك بمعنى: قدر قوسين.

وأورد الطبري وجهًا[1] آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه قال عبدالله في هذه الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ «رَأَيْتُ جِبْرِيْلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ».

هذا، وقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي على تقديركم كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧].

قلت: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧] فقد يقول قائل: أليس ربنا عليم بكل شيء وبالأعداد عن وجه الدقة والتحديد، فالجواب بلى، ولكن قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي في أنظاركم أو أنظار بعضكم، وقال البعض إن «أو» بمعنى (بل).

❁❁❁

وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾؟

ج: الظاهر في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ فأوحى جبريل إلى النبي محمد ﷺ ما أوحاه الله إليه.

هذا، والتنكير في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ لبيان عظمة الشيء المُوحى به، والله تعالى أعلم.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٤٤٥).

س: وضح معنى قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن قلب رسول الله ﷺ صدقه ولم يكذب عليه في إخباره بالذي رآه أي أن القلب لم يتوهم توهمات بل أخبر صاحبه الذي هو رسول الله ﷺ بالذي رآه، وصدقه في هذا الإخبار، وقد قال عدد من أهل العلم: إن النبي ﷺ رأى ربَّه بفؤاده مرتين.

وقال فريق آخر من العلماء: إن الذي رؤي هو جبريل ـ عليه السلام ـ فقد رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح .

أخرج الطبري بإسنادٍ[1] صحيح بمجموع الطرق عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن عبدالله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.

وفي رواية أخرى: عن عبدالله، أن النبي ﷺ قال: «رأيتُ جبريل عند سدرة المنتهى، له سِتُّمائة جَنَاحٍ، ينفَضُ مِن رِيْشه التَّهاوِيلَ الدُّرَّ واليَاقوتَ».

وفي رواية أخرى: عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح» زاد الرفاعي في حديثه: فسألت عاصمًا عن الأجنحة، فلم يخبرني، فسألت أصحابي، فقالوا: كل جناح ما بين المشرق والمغرب.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أفتجادلون أيها المشركون رسولنا محمدًا ﷺ فيما أراه الله من الآيات والمعجزات التي منها رؤية جبريل ـ عليه السلام ـ.

❀❀❀

(١) الطبري (٢٣٤٧٠، ٢٣٤٧١، ٢٣٤٧٢).

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؟

ج: الذي رأى هو رسول الله ﷺ أما من الذي رآه النبي ﷺ؟ فلأهل العلم قولان:

أحدها: أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل - عليه السلام - رآه النبي ﷺ مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وهذا نحو قول عائشة - رضي الله عنها - فعند الطبري[1] بإسناد صحيح عنها أنها قالت لمسروق: يا أبا عائشة من زعم أن محمدًا رأى ربه أعظم الفرية عليه، قال: وكنت متكئًا، فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣] قالت: إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرّة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أوّل من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية، قال: «هو جبريل عليه السلامُ».

ومن العلماء من قال: إن الذي رآه النبي ﷺ هو الله عزَّ وجل، وإلى مثل هذا جنح ابن عباس - رضي الله عنهما -.

❀❀❀

س: اذكر المرتين اللتين رأى فيهما رسول الله ﷺ جبريل على صورته التي خلقه الله عليها؟

ج: المرة الأولى: التي رأى فيها رسول الله ﷺ جبريل - عليه السلام - كانت ورسول الله ﷺ على الأرض[2]، وذلك في بدء الوحي رآه النبي ﷺ وله ستمائة جناح.

أما الثانية: فكانت عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء.

❀❀❀

(١) الطبري (أثر ٣٢٤٧٥).

(٢) البخاري (٦٩٨٢).

س: هل رأى النبي ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟

ج: لم أقف على نص صريح عن رسول الله ﷺ يُفيد ذلك، ولكنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ سئل عن ذلك فقال: «رأيت نورًا»، وفي رواية أخرى «نور أنى أراه»(١).

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام.. » فذكر الحديث وفيه: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(٢).

أما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقد اختلفت أقوالهم في ذلك فنفت عائشة ذلك أشد النفي، فقد أخرج مسلمٌ من طريق مسروقٍ(٣) قال: قال كنت متكئًا عند عائشة. فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهنَّ فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: وكنت متكئًا فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنَّمَا هُوَ جبريلُ. لم أَرَهُ عَلى صورته التي خُلِقَ عَلَيْهَا غير هاتَيْن المرَّتين. رأيته مُنْهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماءِ إلى الأرْضِ».

فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١] قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم

---

(١) مسلم (١٧٨).

(٢) مسلم (١٧٩).

(٣) مسلم (حديث ١٧٧) واللفظ له، والبخاري (٤٨٥٥).

على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

أما ابن عباس[1] ـ رضي الله عنهما ـ فقد أثبت ذلك فقد صح عنه أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ.

وأخرج مسلم[2] عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

فالذي يبدو لي، والله تعالى أعلم أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينيه، وذلك لعدم وجود دليل مرفوع صحيح بذلك، بل ولأن الله عزَّ وجل قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٥١]. ولقوله ﷺ «حجابه النور لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، والله أعلم.

❀❀❀

س: هل رأى النبي ﷺ ربه في رؤيا منامية؟

ج: ورد ذلك في حديث نوزع في تصحيحه، وهو ما أخرجه الإمام أحمد وغيره[3] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ربي الليلة في أحسن صورة ـ أحسبه يعني في النوم ـ فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ـ أو قال: نحري ـ فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، ثم قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ

(١) ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢) والنسائي في الكبرى (١١٥٣٩).

(٢) مسلم (حديث ١٧٦).

(٣) أحمد (١/ ٢٨٥)، وابن أبي عاصم (٤٦٩).

الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات، والدرجات. قال: وما الكفارات، والدرجات؟ قال: قلت: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجمعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره. مَن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: قل يا محمد إذا صليت: اللهم، إني أسألك الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات بذلُ الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام».

❀❀❀

سدرة المنتهى

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأن سدرة المنتهى؟

ج: من هذه الأحاديث:

ما أخرجه مسلم[1] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال... ثم ذهب[2] بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها، وفي رواية ـ أن يصفها من حسنها.

وأخرج الإمام أحمد ـ بسندٍ حسن ـ: عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «بينا أنا عند البيت...» فذكر الحديث وفيه: «ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول. في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات».

❀❀❀

س: لماذا أطلق على سدرة المنتهى سدرة المنتهى؟

ج: أُطلق عليها ذلك لأمور ثلاث ذكرها العلماء:

أحدها: لكونها ينتهي إليها علم كلِّ عالم ملك مقرب أو نبي مرسل، ما خلفها

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) وذلك بعد أن عرج به إلى السماء السابعة وفتح له ورأى البيت المعمور.

غيب لا يعلمه إلا الله.

وقد ورد في هذا أثر أخرجه الطبري[١] من طريق عن شمر بن عطية، عن هلال ابن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبًا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر، فقال كعب: إنها سدرة على رءوس حملة العرش، وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاء العلم إليها.

وقيل: أطلق عليها سدرة المنتهى لأنها ينتهي ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها من أمر الله إليها.

وقد ورد في هذا أثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود[٢] قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي من يعرج من الأرض أو من تحتها، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض فيها.

وقيل سدرة المنتهى: إليها ينتهي كل أحد كان على سنة رسول الله ﷺ.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء.

ـ وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى، لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها، كما قال كعب.

ـ وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاء ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها، كما رُوي عن عبدالله.

ـ وجائز أن يكون قيل كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله ﷺ إليها.

---

(١) الطبري (٣٢٤٩١).

(٢) الطبري (٣٢٤٩٢).

ـ وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك، ولا خبر يقطع العذر بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض، فلا قول فيه أصحّ من القول الذي قال ربنا جلّ جلاله، وهو أنها سدرة المنتهى.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

واختلف لم سُمِّيت سدْرة المنتهى على أقوال تسعة:

الأول: ما تقدم عن ابن مسعود، أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها.

الثاني: أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها؛ قاله ابن عباس.

الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها؛ قاله الضحاك.

الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها؛ قاله كعب.

الخامس: سميت سدْرة المنتهى لأنها ينتهي إليها أرواح الشهداء؛ قاله الربيع بن أنس.

السادس: لأنها تنتهي إليها أرواح المؤمنين؛ قاله قتادة.

السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد ﷺ ومنهاجه؛ قاله علي ـ رضي الله عنه ـ والربيع بن أنس أيضًا.

الثامن: هي شجرة على رءوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق؛ قاله كعب أيضًا.

قلت: يريد ـ والله أعلم ـ أن ارتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزت رءوس حملة العرش؛ ودليله على ما تقدّم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سُمِّيت بذلك لأن من رُفع إليها فقد انتهى في الكرامة.

❀❀❀

س: أين الجنة وما الدليل؟

ج: في السماء بعد السماء السابعة لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾.

❀❀❀

س: ما الذي غشى السدرة، وما فائدة التنكير في قوله تعالى: ﴿مَا يَغۡشَىٰ﴾؟

ج: قيل غشيها (أي غطاها) فراشٌ من ذهب.

وقد ورد في هذا المعنى خبرٌ ضعيف فيه: «رأيتها بعيني سدرة المنتهى حتى استثبتها ثم حال دونها فراش من ذهب»(١).

وقيل غشيها الله سبحانه، وقيل غشيها نور الله عزَّ وجل، وقيل غشيتها الملائكة.

وفي الحديث فغشيها من أمر الله ما غشيها.

وفائدة التنكير: إظهار عظمة الشيء الذي غشي هذه السدرة فلا يعلم وصفه إلا الله.

❀❀❀

س: في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ثناءٌ على رسول الله ﷺ وضح صورة هذا الثناء؟

ج: إيضاحه بيان ما عليه رسول الله ﷺ من الخلق العظيم فبصره لم يتجاوز المسموح له بالنظر إليه فهذا من كمال الأدب وتمامه أن قام مقامًا، أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه ولا حاد عنه.

أشار إليه السعدي فقال:

﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ أي: ما زاغ يمنة ولا يسرة، عن مقصوده ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: وما

(١) الطبري (٣٢٥١٥) بسندٍ ضعيف.

تجاوز البصر. وهذا كمال الأدب منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن قام مقامًا، أقامه الله فيه، ولم يقصر عنه، ولا تجاوزه، ولا حاد عنه. وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين. فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد بما أمر به. أو يقوم به على وجه التفريط. أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة، يمينًا وشمالًا وهذه الأمور كلها منتفية عنه ﷺ.

قلت: (مصطفى): وهذا يضاف إلى ما ورد من تزكية عقله وتزكية فؤاده وتزكية خُلُقه.

❀❀❀

س: ما المراد بالآيات الكبرى؟

ج: قيل: منها رفرف أخضر من الجنة قد سد الأفق.

وقيل: رأى جبريل ـ عليه السلام ـ في صورته التي خُلق عليها.

وقيل: رأى الجنة والنار.

وقيل: ذلك يراد به الآيات التي رآها ليلة الإسراء.

❀❀❀

س: ما المراد باللات والعزى، ومن أي شيء اشتقت ومما اشتقت مناة؟

ج: اللات والعزى صنمان من الأصنام، كانت قريش تعبدهما وقد اشتق لهما المشركون اسمين من أسماء الله عزَّ وجل فاشتقوا (اللات) من لفظ الجلالة (الله) واشتقوا (العزى) من اسم (العزيز) واشتقوا (مناة) من اسم الله (المنان).

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللات؟ وهي من الله أُلحقت فيه التاء فأُنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى

عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى؛ وزعموا أنهن بنات الله ـ تعالى الله عما يقولون وافتروا ـ فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بناتُ الله.

وقد صح عن ابن عباس عند البخاري، في اللات والعزى[1]، قال كان اللات رجلًا يلتُّ السويق، سويق الحجيج.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وأما مناة فكانت بالمُشَلَّل ـ عند قُدَيد، بين مكة والمدينة ـ وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه. وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أُخَر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها.

وقد ذكروا أن اللات بيتًا كان بنخلة، وقال بعضهم: كان بالطائف تعبده قريش.

وقرأ بعض أهل العلم (اللاتّ) بالتشديد، وذهبوا في معنى ذلك إلى أن اللات كان رجلًا يلتُّ السويق للحجيج فمات فعكفوا على قبره.

وقد قال بعضهم قولًا آخر في العُزى ـ أيضًا ـ: وأنها كانت شجيرات تُعبد من دون الله، وقال آخرون: كانت حجرًا أبيض يعبد من دون الله، وقيل ـ أيضًا ـ: كانت بيتًا بالطائف تعبده ثقيف.

أما مناة: فقالوا قد كانت بيتًا بالمشلل يعبده بنو كعب.

وقال بعض أهل العلم: إن مناة سميت مناة لأن دماء المناسك كانت تُمنى عندها، أي تُراق.

❀❀❀

---

(١) البخاري (٤٨٥٩).

س: اذكر بعض ما يدل على تعظيم المشركين للَّات والعزى؟

ج: مما يدل على ذلك قول أبي سفيان بن حرب يوم أُحد (لنا العزى ولا عُزى لكم) فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»[١].

ـ ومن ذلك: كونهم كانوا يحلفون بالعزى وقول رسول الله ﷺ ناهيًا عن ذلك «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أُقامرك فليتصدق»[٢].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وهذا محمول على من سبق لسانه إلى ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية.

قلت: وقد ورد في شأن العزى ما أخرجه النسائي[٣] من حديث أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السَّمرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئًا» فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة ـ وهم حجبتها ـ أمعنوا في الحيَل وهم يقولون: يا عزى، يا عزى. فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها. ثم رجع إلى رسول الله، ﷺ، فأخبره، فقال: «تلك العزى».

❁❁❁

س: ما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ وما تقدمها من الآيات؟

ج: وجه ذلك إظهار الفارق العظيم بين من يستحق أن يعبد ويطاع وبين غيره.

(١) البخاري (٤٠٤٣).

(٢) البخاري (٤٨٦٠).

(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٤٧).

قال السعدي في تفسيره:

لما ذكر تعالى ماجاء به محمد ﷺ، من الهدى، ودين الحق، والأمر بعبادة الله، وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون، من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال شيء، ولا تنفع، ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة من المعنى، سماها المشركون، هم وآباؤهم الجهال الضلال ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة، التي لا تستحقها، فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال.

فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة. وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها.

فسموا «اللات» من «الإله» المستحق للعبادة، و «العزى» من «العزيز»، و «مناة» من «المنان» إلحادًا في أسماء الله، وتجريًّا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة من المعاني.

فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها.

❁❁❁

قصة الغرانيق وبعض الكلام عليها

س: اذكر ما يتعلق بقصة الغرانيق، وهل هي صحيحة الإسناد أم لا؟

ج: حاصل الأمر في قصة الغرانيق ـ بغض النظر عن ثبوتها من عدمه ـ أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فأدخل الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، ثم واصل القراءة فمن أجل ذلك حمد المشركون الثناء على تلك الغرانيق، وسجدوا مع المسلمين في نهاية السورة عند قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩﴾ هذا الحاصل.

وقال الشوكاني مختصرًا هذه القصة بقوله (في تفسيره فتح القدير:

قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية: أنه ﷺ لما شق عليه إعراض قومه عنه تمنّى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم، فكان ذات يوم جالسًا في ناد من أنديتهم وقد نزل عليه سورة «والنجم إذا هوى» فأخذ يقرؤها عليهم حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وكان ذلك التمني في نفسه، فجرى على لسانه مما ألقاه الشيطان عليه «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجي» فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى ختم السورة، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين، فتفرّقت قريش مسرورين بذلك وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فأتاه جبريل فقال: ما صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ وخاف خوفًا شديدًا، فأنزل الله هذه الآية، هكذا قالوا.

أما الوارد في هذه القصة من آثار فمنها ما يلي:

أثر سعيد بن جبير رحمه الله:

قال الطبري[1] رحمه الله:

حدثنا بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩] قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فسجد رسول الله ﷺ، فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج:٥٥]. صحيح عن سعيد بن جبير رحمه الله.

أثر أبي العالية[2] رحمه الله:

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية قال: «قالت قريش: يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق، فقرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فلما انتهى على هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٩ ـ ٢٠] فألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرانقة العلى، وشفاعتهنّ ترتجى، فلما فرغ منها سجد رسول الله ﷺ والمسلمون والمشركون، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، أخذ كفًا من تراب وسجد عليه، وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من

---

(١) الطبري أثر (٢٥٣٣١).
وقد روي متصلًا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، عند البزار، وفي وصله نظر.

(٢) الطبري (أثر ٢٥٣٣٠)، وله طريق آخر أيضًا عن أبي العالية.

المسلمين، أن قريشًا قد أسلمت، فاشتدّ على رسول الله ﷺ ما ألقى الشيطان على لسانه، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى آخر الآية [الحج:٥٢].

صحيح عن أبي العالية ـ رحمه الله ـ.

أثر أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث ـ رحمه الله ـ:

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أنه سئل عن قوله: ﴿وما وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. الآية [الحج:٥٢]، قال ابن شهاب: ثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث «أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قرأ عليهم ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩ ـ ٢٠] قال: إن شفاعتهنّ ترتجى، وسها رسول الله ﷺ، فلقيه المشركون الذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه، وفرحوا بذلك، فقال لهم: إنما ذلك من الشيطان، فأنزل الله: ﴿ وما وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.. حتى بلغ ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢].

أثر ابن شهاب الزهري ـ رحمه الله ـ:

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: أنزلت «سورة النجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر، وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم، فكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله سورة النجم قال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ ألقى

الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت، فقال: «وإنهن لهن الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى».

وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته،فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه.

فلما بلغ رسول الله، ﷺ، آخر النجم؛ سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيرًا، فرفع على كفه ترابًا فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود، لسجود رسول الله ﷺ، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ـ ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين ـ فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشيطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين ـ عثمان بن مظعون وأصحابه ـ وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله، ﷺ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، وحُدِّثوا أن المسلمين قد أَمِنُوا بمكة، فأقبلوا سراعًا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته، وحفظه الله من الفرية، وقال الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣]، فلما بين الله قضاءه، وبرّأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين، واشتدوا عليهم.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:وهذا أيضًا مرسل.

قلت (مصطفى): ومراسيل الزهري من أضعف المراسيل، لكن قد تقدم مختصرًا عن الزهري عن أبي بكر بن الحارث بسندٍ صحيح.

أثر قتادة ـ رحمه الله ـ:

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: [1]

حدثنا ابن عبدالأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، أن النبي ﷺ، كان يتمنى أن لا يعب الله آلهة المشركين، فألقى الشيطان في أمنيته، فقال: إن الآلهة التي تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنها للغرانيق العلى، فنسخ الله ذلك، وأحكم الله آياته، أفرأيتم اللات والعزى، حتى بلغ ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم:٢٣] قال قتادة: لما ألقى الشيطان ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر الله آلهتهم بخير، ففرحوا بذلك، فذكر قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج:٥٣].

في رواية معمر عن قتادة بعض الكلام.

ـ فهذه الآثار التي أوردناها مراسيل جآءت ـ كما رأيته من وجوهٍ عدة فمثلها تصحح به الأحاديث وتثبت به الوقائع.

ـ وثم كَمٌّ من الآثار في أسانيدها ضعف أعرضنا عن ذِكرها أوردها الطبري ـ رحمه الله ـ وكذا الطبراني ـ رحمه الله ـ وغيرهما، وضمنها الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

أما عن أقوال أهل العلم في هذه القصة: فها هي بعضها:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢] وقد ذكر كثير من المفسرين ها هنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنًّا منهم أن

---

(١) وأورده الطبري من وجه آخر عن معمر.
انظر الطبري (٢٥٣٤٢) و (٢٥٣٤٣).

مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة.

ولم أرها مسندةً من وجه صحيح، والله أعلم.

أما الطبري - رحمه الله تعالى -: فأورد كما من الآثار ثم أورد بعض الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ حاصلها: أن التمني التلاوة والقراءة ثم قال:

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢] على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله - تعالى ذكره - أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلَّا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢] يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

قلت (مصطفى): وهذا من الطبري - رحمه الله - تعالى كأنه اعتماد لما تضمنته تلك الآثار في جملتها.

أما الشوكاني - رحمه الله تعالى - (فتح القدير):

ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء:٧٤] فنفى المقاربة للركون فضلًا عن الركون.

- قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل.

ـ وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم.

ـ وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

ـ قال القاضي عياض في «الشفاء»: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا.

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها، وقد أسلفنا عن الحفاظ في أوّل هذا البحث ما فيه كفاية، وفي الباب روايات من أحبّ الوقوف على جميعها فلينظرها في «الدرّ المنثور» للسيوطي، ولا يأتي التطويل بذكرها هنا بفائدة، فقد عرّفناك أنها جميعها لا تقوم بها الحجة.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد جنح إلى إثبات هذه القصة حيث قال عند حديثه[1] عن قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:٥٢].

وللناس فيها قولان مشهوران: بعد اتفاقهم على أن التمني هو التلاوة والقرآن كما عليه المفسرون من السلف كما في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٨] وأما من أول النهي على تمني القلب فذاك فيه كلام آخر؛ وإن قيل: إن الآية تعم النوعين.

لكن الأول هو المعروف المشهور في التفسير، وهو ظاهر القرآن ومراد الآية قطعًا، لقوله بعد ذلك: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج:٥٢، ٥٣]. وهذا

---

(١) وذلك في بعض المواضع التي أورد فيها الآية المذكورة منها (ص١٤٢).

كله لا يكون في مجرد القلب إذا لم يتكلم به النبي؛ لكن قد يكون في ظنه الذي يتكلم به بعضه النخل ونحوها، وهو يوافق ما ذكرناه.

وإذا كان التمني لابد أن يدخل فيه القول ففيه قولان:

الأول: أن الإلقاء: هو في سمع المستمعين ولم يتكلم به الرسول، وهذا قول من تأول الآية بمنع جواز الإلقاء في كلامه.

والثاني: وهو الذي عليه عامة السلف ومن اتبعهم ـ أن الإلقاء في نفس التلاوة، كما دلت عليه الآية وسياقها من غير وجه، كما وردت به الآثار المتعددة، ولا محذور في ذلك إلا إذا أقرَّ عليه.

فأما إذا نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته فلا محذور في ذلك، وليس هو خطأ وغلطًا في تبليغ الرسالة، إلا إذا أقر عليه.

ولا ريب أنه معصوم في تبليغ الرسالة أن يقر على خطأ، كما قال: «فإذا حدثتكم عن الله بشيء فخذوا به، فإني لن أكذب على الله» ولولا ذلك لما قامت الحجة به، فإن كونه رسُل الله يقتضي أنه صادق فيما يخبر به عن الله، والصدق يتضمن نفي الكذب ونفي الخطأ فيه.

فلو جاز عليه الخطأ فيما يخبر به عن الله وأقر عليه لم يكن كل ما يخبر به عن الله.

والذين منعوا أن يقع الإلقاء في تبليغه فروا من هذا، وقصدوا خيرًا، وأحسنوْا في ذلك؛ لكن يقال لهم: ألقى ثم أحكم، فلا محذور في ذلك. فإن هذا يشبه النسخ لمن بلغه الأمر والنهي من بعض الوجوه فإنه إذًا موقن مصدق برفع قول سبق لسانه به ليس أعظم من إخباره برفعه.

أما الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: فقد أورد بعض طرقها في الفتح [1]

---

(١) فتح الباري (٨/ ٢٩٣).

وأورد بعض أقوال من ضعفوها وتعقبهم، وجنح ـ رحمه الله ـ إلى تصحيحها، فقال بعد أن أورد بعض الطرق: وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه.

وكذا قول عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية، قال وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه.

ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلًا، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يَحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يُستنكر وهوقوله: «ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدًا ما ليس منه، وكذا سهوًا إذا كان مغايرًا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته.

وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم، وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم

مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ الآية [إبراهيم:٢٢] قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة.

وقيل: إن المشركين إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوًا.

وقد رد ذلك عياض فأجاد.

وقيل: لعله توبيخًا للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزًا، وإلى هذا نحا الباقلاني. وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فُصِّلَت:٢٦] ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها، فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيًا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها.

قال: وهذا أحسن الوجوه. ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ بتلا.

وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه.

قال: ومعنى قوله: ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن

سنته في رسله إذا قالوا قولًا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في: «أضواء البيان»:

اعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعًا، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب.

أما الشيخ ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ:

فقد ذهب إلى تضعيف هذه القصة، وأسهب في ذلك جدًا في رسالته «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» وكلامه في هذا الصدد أوسع كلام اطلعت عليه في هذه القصة لكن التعقب من وجهٍ حاصله أن كم المراسيل الصحيحة يُصحح بمثلها العلماء عددًا كبيرًا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

قلت: (مصطفى): ولهذه القصة مزيدُ بحث نورده إن شاء الله تعالى في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ...﴾ [الحج:٥٢] وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم بالصواب.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾؟

ج: قال الطبري في إيضاح ذلك: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ يقول أتختارون لأنفسكم الذكر من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون له الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهن.

❀❀❀

س: وضح وجه الظلم في تلك القسمة التي قال الله عنها ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾؟

ج: وجه الظلم من وجوه:

أولها: أنهم نسبوا إلى الله ما لا يليق به سبحانه وتعالى، فقد نسبوا إليه الولد وقد قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[الأنعام:١٠١].

الثاني: أنهم زعموا أن الملائكة إناث.

الثالث: أنهم قسموا واختاروا لأنفسهم ما شاءوا فعجيب أمر من يقسم ويختار.

الرابع: أنهم اختاروا لأنفسهم الأفضل والأكمل من أمور الدنيا، وتركوا ما سوى ذلك لله، فاختاروا لأنفسهم الذكور، وزعموا أن الملائكة بنات وهي لله. تعالى الله عن شركهم علوًّا كبيرًا.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن هذه الأسماء التي اختلقتموها وعبدتموها ليس لها واقع، وليس لها حقيقة إنما اختلقتموها وأطلقتموها على أحجار وأشجار ثم زعمتم أنها آلهة ثم عبدتموها وذلك، والله أعلم، كرجل يأكل بصلًا فأطلق على البصل لحمًا ثم أوهم نفسه وادَّعى أنه يأكل اللحم، وليس للحم أصلٌ في طعامه ولا وجود له على مائدته.

قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول تعالى ذكره: ما هذه الأسماء التي سميتموها وهي اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون وآباؤكم من قبلكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾، يعني بهذه الأسماء، يقول: لم يبح الله، وذلك لكم، ولا أذن لكم به.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾؟

ج: **قال الطبري ـ رحمه الله ـ**: وقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إلا الظنّ بأنّ ما يقولون حق لا اليقين ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ يقول: وهوى أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول لله أخبرهم به، وإنما هو اختراق من قِبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه منه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾، أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ ولقد جاء هؤلاء المشركين البيانُ الحقُ من الله سبحانه وتعالى في شأن ما يعبدونه وأن ما يعبدونه باطلٌ لا أصل له ولا أساس وليس له أيّ حق في العبادة.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:[1] وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يقول: ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزّى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها. يقول: لقد جاءهم من ربهم الهدى في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلى محمد ﷺ أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار.

❀❀❀

(١) الطبري (٣٢٥٥٢).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: أم اشتهى محمد ﷺ ما أعطاه الله من هذه الكرامة التي كرَّمه بها من النبوة والرسالة، وأنزل الوحي عليه، وتمنى ذلك، فأعطاه إياه ربه، فلله ما في الدار الآخرة والأولى وهي الدنيا، يعطي من شاء من خلقه ما شاء، ويحرم من شاء منهم ما شاء.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

ثم قال: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ أي: ليس كل من تمنى خيرًا حصل له، ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [النساء:١٢٣] ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ودَّ شيئًا يحصل له.

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ (في محاسن التأويل:

﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ أي: ليس له ما يشتهيه من الأمور التي منها طمعه الفارغ في شفاعة الأنداد، وتعنته في دفاع اليقين بالظن، وتركه نفسه وهواها بلا شرع يقيده، ولا مهيمن يزعه. فإن ذلك من المحالات في نظر العقل السليم، كقوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [النساء:١٢٣].

قال السعدي ـ رحمه الله ـ: فليس الأمر تابعًا لأمانيهم ولا موافقًا لأهوائهم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾، أي: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطى من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى أحد.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾؟ ووضح وجه ارتباطها بالآيات التي سبقتها؟

ج: أما وجه ارتباطها بما قبلها؛ فلنفي ما يتوهمه المشركون من أن آلهتهم ستشفع فيهم، فكأنه قيل لهم: هؤلاء الملائكة المقربون لن يشفعوا في أحدٍ إلا بإذن الله، وهم ملائكتي تفرغوا لعبادتي، ومع ذلك فهذا شأنهم، فمن باب أولى أن لا تملك آلهتكم الشفاعة، فقد كانوا يعبدون الأوثان والأصنام ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ يقول تعالى ذكره: وكم من ملك في السموات لا تغني: كثير من ملائكة الله، لا تنفع شفاعتهم عند الله ـ لمن شفعوا له ـ شيئًا، إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول: ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لعبدة الأوثان، والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فقال الله ـ جلّ ذكره ـ لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي ـ الذين هم عندي ـ لمن شفعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم. فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم.

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ في «محاسن التأويل»:

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لعبدة الأوثان، بإقناطهم عما علّقوا به أطماعهم من شفاعة أوثانهم، بأن ملائكته الكرام لا يتفوهون بالشفاعة إلا من بعد إذنه ورضاه.

فأنّى لهذه الطواغيت أن تفتات على هذا المقام، ولها من الذلة والصغار ما يبعدها عنه بألف منزل؟!

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾، كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها، ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟!

❁❁❁

س: شفاعات الملائكة وغيرهم لا تقبل ولا تكون إلا بإذن الله. دلل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ .

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

❁❁❁

س: الشفاعات الأخروية مقيدةٌ بقيود، اذكر هذه القيود؟

ج: من هذه القيود ما يلي:

أولاً: أن يكون الميت قد مات على التوحيد فلا شفاعة في كافرٍ قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

ثانيا: أن يأذن الله للشافع في الشفاعة، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ثالثًا: أن يشفع الشافع فيمن ارتضاه الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ كما قاله الطبري ـ رحمه الله ـ إذ قال: يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام بنات الله، ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي كتسمية الأنثى، أي: يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وما لهؤلاء المشركين الذين أطلقوا على الملائكة (إناث)

من علم بحقيقةأمر الملائكة، ولا بكيفية خلقهم كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزُّخرُف:١٩].

قال ا لسعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يعني: أن المشركين بالله المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، بسبب عدم إيمانهم بالله تعالى، تجرءوا على ما تجرءوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادَّة لله ولرسوله، من قولهم: (الملائكة بنات الله). فلم ينزِّهوا ربهم عن الولادة، ولم يُكَرِّموا الملائكة، ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثًا.

والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك، الفطر والعقول، بل العلم كله، دال على نقيض قولهم، وأن الله منزه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وأن الملائكة، كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

والمشركون إنما يتبعون في ذلك، القول القبيح، وهو: الظَّن الذي لا يغني من الحق شيئًا، فإن الحق لابد فيه من اليقين، المستفاد من الأدلة والبراهين الساطعة.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن الظن لا ينفع من الحق شيئًا، وأيضًا المعنى أن الظن لا يجدي شيئًا ولا يقوم مقام الحق بحال من الأحوال.

❀❀❀

س: ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: المراد بالذكر هنا: القرآن، والإيمان والله تعالى أعلم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: فأعرض ـ يا رسول الله ـ عمن أعرض عن ذكر الله وتوحيده والإيمان به، ولم تكن له هِمَّةٌ ولا رغبةٌ إلا في الدنيا وما فيها من متاع وزينة فلم يلتمس رضا الله ولم يطلب مغفرته ولم يسأله فسيح جنته، والسلامة من عذابه، إنما همه الوحيد منصبٌ على دنياه مؤثرًا لها على أخراه، والله أعلم.

❀❀❀

س: وردت نصوص كثيرة في ذم من جعل الدنيا أكبر همّه ومبلغ علمه اذكر بعضها؟

ج: من ذلك ما يلي:

ـ قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة:٢٠٠].

ـ وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾.

ـ وقوله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٨].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾؟

ج: ذلك يحتمل وجوهًا:

أحدها: ذلك القول المبني على الظن هو منتهى علمهم بالملائكة، وليس هو ـ في الحقيقة ـ بعلم إنما هو ضربٌ من ضروب الظن والتخمين.

الثاني: أن الحياة الدنيا والسعي فيها هي منتهى علمهم ومبلغ معرفتهم وغاية ماوصلوا إليه، فلا يعرفون شيئًا عن أمر الآخرة ولا شيئًا مما يتعلق بأمر الدين، وكما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧].

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

ـ قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يقوله هؤلاء ـ الذين لا يؤمنون بالآخرة ـ في الملائكة من تسميتهم إياها تسمية الأنثى ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يقول: ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله، والشرك به على وجه الظنّ بغير يقين علم.

وأورد أثرًا صحيح الإسناد عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ قال: يقول ليس لهم علم إلا الذي هم فيه من الكفر برسول الله ﷺ، ومكايدتهم لما جآء من عند الله، قال: وهؤلاء أهل الشرك.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ مع بيان ارتباطه بما قبله؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: لا يحزنك ـ يا رسول الله ـ إعراض هؤلاء الـمُعرضين عن الآخرة، الذين ليس لهم همٌّ إلا حياتهم الدنيا والإقبالُ عليها، فربك ـ عز وجل ـ يعلم من الذي انحرف عن الطريق السوي المستقيم طريق الإسلام ومن

الذي سلك هذا الطريق، وهُدي إليه.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك ـ يا محمد ـ هو أعلم بمن جَارَ عن طريقه في سابق علمه، فلا يُؤمِنُ، وذلك الطريق هو الإسلام: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ يقول: وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه، وذلك الطريق أيضًا الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾، أي: هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قَدَره.

❀❀❀

س: ما وجه الارتباط بين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾؟

ج: الذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جملة كأنها اعتراضية.

فيكون المعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى، وتكون اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾ لام العاقبة فستكون عاقبة الذين أساءوا السُّوءى، وتكون عاقبة الذين أحسنوا الحسنى.

فإن سأل سائل: فلماذا هدى الله أقوامًا وأضلَّ آخرين؟ فجواب ذلك: أن الله ـ عزَّ وجل ـ له ما في السموات وما في الأرض وما فيهما يفعل مايشاء، ويقضي بما أراد،

فيهدي ويضل ويعذب ويرحم.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِلَّهِ﴾ مُلك ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من شيء، وهو يضلُّ من يشاء، وهو أعلم بهم ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ يقول: ليجزي الذين عصوْه من خلقه ـ فأساءوا بمعصيتهم إياه ـ فيثيبهم بها النار ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ يقول: وليجزي الذين أطاعوه ـ فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا ـ بالحسنى وهي الجنة، فيثيبهم بها. وقيل: عُني بذلك أهل الشرك والإيمان.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ اللام متعلقة بالمعنى الذي دلّ عليه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كأنه قال: هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقيل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ معترض في الكلام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي.

وقيل: هي لام العاقبة، أي ولله ما في السموات وما في الأرض؛ أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن؛ فللمسيء السوءى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.

❁❁❁

س: هل لزامًا أن يجازي الله كلًّا بما عمل؟ أم أنه قد يعفوا ويصفح؟

ج: بل قلد يعفو ربنا ويغفر ويصفح فهو أهل للتقوى وأهل للمغفرة، فكل الذنوب قد تغفر إلا الشرك إذا مات عليه العبد، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾؟

ج: هذا ـ والله أعلم ـ: وصف للمحسنين ولأعمالهم فهم يجتنبون كبائر الإثم التي حرمها الله عليهم التي منها الشرك بالله، وكذلك يجتنبون المحرمات والفواحش كالزنا ونحوه، ولكن قد يصدر منهم الذنب الصغير بعد الذنب فهذا يغفره الله لهم إن هم اجتنبوا الكبائر، كما قال تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء:٣١] فعلى هذا فاللمم المراد به: صغار الذنوب.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ يقول: الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله، وما قد بيَّنّاه في قوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١].

وقوله: ﴿ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ وهي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حدًّا.

وقوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى «إلا» في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي بمعنى الاستثناء المنقطع، وقالوا: معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي ألـمُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ أي: لا يتعاطون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إِن

تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ . [النساء:٣١]. وقال هاهنا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾. وهذا استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

❁❁❁

س: ما المراد باللمم؟

ج: قيل المراد باللمم: صغار الذنوب.

وقيل المراد باللمم ما يلم به الشخص من الذنوب،أي: ما يفعله الشخص من الذنوب عمومًا ـ صغارها وكبارها ـ ثم يتوب منها.

هذا، وقد ورد عن ابن عباس في تفسير اللمم ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالةَ فزنى العينين النظرُ، وزنا اللسان النطقُ والنفس تمنَّى وتشتهي والفرجُ يُصَدِّقُ ذلك أو يكذِّبه».

وفي بعض الروايات «والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْلُ زناها الخُطا».

ـ وأورد الطبري بإسناد صحيح[٢] عن الشعبي قال:

هو ما دون الزنى، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود، قال: «زنى العينين: ما نظرتْ إليه، وزنى اليد: ما لمستْ، وزنى الرجل: ما مشتْ والتحقيق بالفرج».

وبإسنادٍ صحيح عن مجاهد[٣]: أنه قال في هذه الآية (إلا اللمم).

(١)البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

(٢)الطبري (٣٢٥٦٥).

(٣)الطبري (٣٢٥٦٨).

قال: الذي يُلِمُّ بالذنب ثم يدعه.

وصح عن الحسن: [1] في قول الله ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: اللمَّةُ من الزنى أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود.

وبإسناد حسنٍ عن قتادة قال: [2] واللمم ما كان بين الحدين لم يبلغ حدَّ الدنيا، ولا حدَّ الآخرة، مُوجِبَةٌ قد أوجب الله لأهلها النار أو فاحشةٌ يقام عليها الحد في الدنيا.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال «إلا بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفوٌّ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله جل ثناؤه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:31] فوعد جل ثناؤه: باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللممُ الذي قال النبي ﷺ: «**العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»، وذلك أنه لا حد فيما دون وُلُوجِ الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله جلَّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه، كما رُوى عن النبي ﷺ.

واللمم في كلام العرب: المقاربة للشيء، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول: ضربه ما لم القتل، يريدون ضربًا مقاربًا للقتل.

قال: وسمعت من آخر: ألَمّ يفعل في معنى: كاد يفعل.

❀❀❀

---

(1) الطبري (32570)، (32572).

(2) الطبري (32587).

س: قوله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أعلم بكم مِن مَن؟

ج: أعلم بكم من أنفسكم، وأعلم بكم من غيره.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ربكم أعلم بكم في كل وقتٍ وحينٍ، أعلم بكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وأعلم بكم وأنتم أجنةٌ في بطون الأمهات.

قال الطبري - رحمه الله -:

وقوله: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم، وأنفسكم بعدما صرتم رجالاً ونساء.

❀❀❀

س: اذكر بعض ما يتعلق بتزكية النفس من الفقه؟

ج: إجمالًا لا يجوز لأحد أن يزكي نفسه ولا أن يكثر من الثناء عليها إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة وضرورة.

وكذلك شأنه مع الأشخاص لا يبالغ في الثناء عليهم وإطرائهم إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة وضرورة.

فقد قال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فإذا دعت الحاجة الضرورة فعل، وقد قال النبي ﷺ: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلبْ.

- وقال ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي...

ـ وأثنى النبي على طائفة من أصحابه.

وذكَّر عثمان رضي الله عنه عندما أرادوا قتله ببعض أفعاله ومناقبه لعلهم يعرضون عن قتله ويعتبرون ويتعظون.

وفي معرض المنع قول النبي ﷺ «احثوا في وجوه المدَّاحين التراب».

وقد تقدمت بعض مباحث ذلك في تفسيري لسورة النساء عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء:٤٩].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله أعلم بالمتقين، وذلك لأن التقوى محلها القلب، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ حيث أشار إلى صدره قائلًا: التقوى ها هنا فلما كان القلب لا يطلع عليه إلا الله، ولا يعلم ما فيه إلا الله فمن ثم كان الله أعلمَ بالتقى منا دون من سواه.

❀❀❀

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ
(٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ
وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ
(٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ
وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن
نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ
رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن
قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦) أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ (٥٧) لَيْسَ
لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ
(٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ [النجم: ٣٣ - ٦٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿تَوَلَّىٰ - وَأَكْدَىٰٓ - يُنَبَّأْ - صُحُفِ مُوسَىٰ - وَفَّىٰٓ - أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ - مَا سَعَىٰ - ٱلْأَوْفَىٰ - ٱلْمُنتَهَىٰ - تُمْنَىٰ - ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ - أَغْنَىٰ - وَأَقْنَىٰ - ٱلشِّعْرَىٰ - فَمَآ أَبْقَىٰ - وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ - أَهْوَىٰ - فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ - ءَالَآءِ - تَتَمَارَىٰ - أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ - كَاشِفَةٌ - سَٰمِدُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿تَوَلَّىٰ﴾	أدبر ـ أعرض عن الإيمان بالله وأعرض عن الدين.
﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾	انقطع عطاؤه ـ بخل.
﴿يُنَبَّأْ﴾	يُخبر.
﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾	التوراة، وقيل الألواح.
﴿وَفَّىٰٓ﴾	قام بما أُمر به ـ وفَّى لله بالبلاغ أدى رسالة الله إلى خلقه[1] .
﴿أَلَّا تَزِرُ﴾	لا تحمل.
﴿وَازِرَةٌ﴾	حاملةٌ.
﴿وِزْرَ﴾	حمل.
﴿أُخْرَىٰ﴾	نفس أُخرى.
﴿مَا سَعَىٰ﴾	ما عمل.
﴿ٱلْأَوْفَىٰ﴾	الأكمل ـ الذي وفاه الله به. لأن الله كان قد وعده بذلك فوفاه الله ما وعده.
﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾	المرجع والمآب.
﴿تُمْنَىٰ﴾	تُهراق.

(١) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى ﴾ قال سعيد ابن جبير، والثوري: أي بلَّغ جميع ما أمر به. وقال ابن عباس: وفَّى لله بالبلاغ. وقال سعيد بن جبير: وفَّى ما أمر به. وقال قتادة: وفَّى طاعة الله، وأدى رسالته إلى خلقه. وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وهو يشمل الذي قبله، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إمامًا ﴾ فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، قال الله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ﴾.

﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾	البعث بعد الموت.
﴿أَغۡنَىٰ﴾	صيره غنيًّا ـ جعله ذا مال.
﴿وَأَقۡنَىٰ﴾	جعله مقتنيًا لأشياء (أصولًا وأموالًا). وقيل: المعنى أَخْدَمَ (جعل لهم خَدَمًا) وقيل: المعنى أرضى، وقيل أفقر(١).
﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾	النجم الذي يسمى بالشعرى، وقد قيل إن من أهل الجاهلية من كان يعبده.
﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾	فما تركها تعيث في الفساد.
﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾	قرية سدوم التي كان يسكنها قوم لوط ائتوفكت فقُلب أعلاها فجعل سافلها وقد قيل إن جبريل ـ عليه السلام ـ رفعها إلى السماء السابعة بجناحه ثم أهواها فقلبها ثم ابتعث بأحجار(٢).
﴿أَهۡوَىٰ﴾	أهواها من السماء إلى الأرض.
﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾	فأصابها ما أصابها، وحلَّ بها ما حلَّ بها.
﴿ءَالَآءِ﴾	نِعَمْ.
﴿تَتَمَارَىٰ﴾	تتجادل ـ ترتاب ـ تشك.
﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾	اقتربت القيامة ـ (وأطلق على القيامة آزفة لاقترابها).
﴿كَاشِفَةٌ﴾	كاشف يكشفها ـ دافعٌ يدفعها ـ صارفٌ يصرفها.
﴿سَٰمِدُونَ﴾	لاهون ـ غافلون ـ مغنون ـ مُبرطمون

❁❁❁

(١) ومستنده ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾.

(٢) أورد الطبري (٣٢٦٤٩) بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال في قوله: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ قال: قرية لوط، أهواها من السماء من أتبعها ذاك الصخر، اقتلعت من الأرض، ثم هوى بها في السماء، ثم قُلبت.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴾؟

ج :المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ:

* أن هذا رجلٌ قد تولى وأعرض عن الإيمان بالله، وكان قد قدَّم خيرًا ثم انقطع عطاؤه ولم يستمر فيه، وجائز أن يكون الخير الذي أعطاه أولًا إظهاره للإيمان، وثناؤه على القرآن، ثم كفره ووصفه بأنه شعر وسحر وأساطير الأولين، أي: أنه لم يستمر على إيمانه وثناءه على القرآن.

* وجائزٌ أيضًا أن يكون أعطى بعض الناس مالاً على كفره ثم انقطع عن هذا العطاء.

أما عن أقوال العلماء في ذلك فقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره: أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه، وأعطى صاحبه قليلًا من ماله، ثم منعه فلم يعطه، فبخل عليه.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه عاتبه بعض المشركين، وكان قد اتبع رسولَ الله ﷺ على دينه، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئًا من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل، فأعطى الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له.

وأورد الطبري[1] أثرًا صحيح الإسناد إلى ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾... إلى قوله: ﴿فَهُوَ يَرَىٰ ﴾ قال: هذا رجل أسلم، فلقيه بعض من يُعَيِّرُهُ فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار! كان ينبغي لك أن تنصرهم، فكيف يفعل بآبائك؟ فقال: إني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئًا، وأنا أحمل كلّ عذاب عليك عنك، فأعطاه شيئًا، فقال زدني، فتعاسر حتى أعطاه شيئًا، وكتب له كتابًا،

---

(١) الطبري (٣٢٥٩٦).

وأشهد له، فذلك قول الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ عاسره ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ نزلت فيه هذه الآية.

وقال الطبري رحمه الله:

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدى، من كدية الركية، وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء، فيقال حينئذ بلغنا كُدْيتها.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلًا ثم قطعه. وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغير واحد.

قال عكرمة، وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئرًا، فيجدون في أثناء الحفر صخرةً تمنعهم من تمام العمل، فيقولون: أَكْدَيْنا، ويتركون العمل.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ قبح حالة من أُمِر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك، وأعرض عنه؟

فإن سمحت نفسه ببعض الشيء القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل يبخل ويكدي ويمنع. فإن الإحسان ليس سجية له وطبعًا، بل طبعه التولِّي عن الطاعة وعدم الثبوت على فعل المعروف. ومع هذا، فهو يزكِّي نفسه، وينزلها غير منزلتها، التي أنزلها الله بها.

س: اذكر بعض الوارد في الحث على مواصلة البر، والمداومة على الخير وإن كان قليلًا، فالقليل المتصل خيرٌ من الكثير المنقطع؟

ج: من ذلك قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: وقد سُئلتْ عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: كان يحب الدائم[1].

(١) البخاري (١١٣٢)، ومسلم (٧٤١).

* وفي صحيح مسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أَدْوَمُها وإن قلَّ»[١].

وفي بعض الروايات «كان عمله ديمةً»[٢].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾؟

ج: تفسير هذه الاية الكريمة مبني على تفسير ما سبقها فإذا حملناها على ما ورد في قصة الوليد بن المغيرة التي أشار إليها الطبري فيكون المعنى على ما ذكره الطبري إذ قال: وقوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ يقول تعالى ذكره: أعند هذا الذي ضَمِن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله في الآخرة علم الغيب، فهو يرى حقيقة قوله، ووفاءه بما وعده.

أما إذا حملناها على الوجه الآخر فقد قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ وقوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق، وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده، حتى قد أمسك عن معروفه، فهو يرى ذلك عيانًا؟! أي: ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًّا وهلعًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب؟ ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره، وكفى بهذا جهلًا وحمقًا.

وهذه الرؤية هي المتعدية إلى مفعولين، والمفعولان محذوفان؛ كأنه قال: فهو يرى الغيب مثلَ الشهادة.

---

(١) مسلم (طرف حديث ٧٨٣).
(٢) البخاري (٦٤٦٦)، ومسلم (٧٨٣).

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ الغيب، فيخبر به، أم هو متقول على الله، متجرِّئٌ عليه، جامع بين المحذورين، الإساءة، والتزكية، كما هو الواقع، لأنه قد علم، أنه ليس عنده علم من الغيب، وأنه لو قدر أنه ادعى ذلك، فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب، التي على يد النبي المعصوم، تدل على نقيض قوله، وذلك دليلٌ على بطلانه.

❀❀❀

س: اذكر بعض الآيات الدالة على نفي علم الغيب عن العباد؟

ج:من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم:٤٧].

* وقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٨].

* وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦]

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

* وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾؟

ج:المعنى ـ والله أعلم ـ أم لم يُخبر هذا الذي ادعى أنه سيحل أوزار الآخرين، وحثهم على الكفر ووعدهم أنه سيغني عنهم، أفلم يخبر بالذي جاء في صحف موسى التي هي التوراة، وكذلك ما جاء به إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى! أي: لا تحمل نفس حِمْلَ نفسٍ أُخرى، ولا يُؤَاخذُ أحدٌ بذنب غيره.

قال بعض العلماء: وخُصَّت صحف إبراهيم وموسى بالذكر لأنه كان ما بين نوحٍ وإبراهيم يؤاخذ الرجل بجريرة أخيه وابنه وأبيه.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى ﴿وَفَّىٰٓ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وَفَّى بالذي كُلِّف بتبليغه فقد أمره الله بالبلاغ فبلغ حق البلاغ، وأتم ما كُلِّف به من تبليغ الرسالات إلى الخلق.

الثاني: وفَّى بما رآه في الرؤية من الأمر بذبح ولده.

الثالث: وفَّى ربه جميع شرائع الإسلام، وقام بما فرضه الله عليه.

الرابع: وفَّى ربه عمل يومه.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وفّى شرائع الإسلام وجميع ما أمر به من الطاعة، لأن الله ـ تعالى ذكره ـ أخبر عنه أنه وفَّى فعمّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخصص بعضًا دون بعض.

فإن قال قائل: فإنه خصّ ذلك بقوله وفّى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فإن ذلك مما أخبر الله جل ثناؤه أنه في صحف موسى وإبراهيم، لا مما خص به الخبر عن أنه وفى.

وأما التوفية فإنها على العموم، ولو صحّ الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله ﷺ، لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسنادهما نظر يجب التثبت فيهما من أجله.

❀❀❀

س: ما الذي في صحف موسى وإبراهيم الذي وفَّى من المذكور في هذه السورة؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾.

❀❀❀

س: اذكر من الأدلة ما يفيد أن نفسًا لن تحمل إثم نفس أُخرى؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر:١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢، ١٣].

❀❀❀

س: وضِّح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن من الموجود في صحف إبراهيم وموسى من الأخبار وأمور الشريعة ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أي: لا يجازي عاملٌ إلا بعمله خيرًا كان ذلك أو شرًّا.

ومن العلماء من قال إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١].

بينما ذهب أكثر أهل التأويل - كما نقل عنهم القرطبي - إلى أن الآية محكمة.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: روى عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١] فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويُشَفِّع الله تعالى الآباء في الأبناء، والأبناء في الآباء؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء:١١] وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدًا عمل أحد، وأجمعوا أن لا يصلي أحد عن أحد.

وقال أيضًا:

قلت: ويُحتمل أن يكون قوله: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ خاص في السيئة؛ بدليل ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبْتُها له حسنة فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئةً واحدة**».

❁❁❁

س: اذكر وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور:٢١]؟

ج: جمع الشنقيطي بين ذلك فقال:

والجواب من ثلاثة وجوه:

الأول: أن الآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه، ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره، لأنه لم يقل: وأن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى، وإنما قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ ﴾، وبين الأمرين فرق ظاهر، لأن سعي الغير ملك لساعيه إن شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه.

وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه والدعاء له والحج عنه ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه.

الثاني: أن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم، إذ لو كانوا كفارًا لما حصل لهم ذلك. فإيمان العبد وطاعته سعى منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين، كما وقع في الصلاة في الجماعة، فإن صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفردًا، وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة، وهذا الوجه يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾.

الثالث: أن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد ليس للأولاد كما هو نص قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ولكن مِنْ سعي الآباء، فهو سعي للآباء أقرَّ الله عيونهم بسببه، بأن رفع إليهم أولادهم فيتمتعوا في الجنة برؤيتهم.

فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها، لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد، فانتفاع الأولاد تبع فهو بالنسبة إليهم تفضل من الله عليهم بما ليس لهم، كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين، والخلق الذين ينشئهم للجنة والعلم عند الله تعالى. اهـ منه.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ:

من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها.

ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعي الغير.

رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير.

تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور، يَسْقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: الْـمَدِين قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ، وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: «أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده: «ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه؟»». فقد حصل له فضل الجماعة بعمل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تَبْرَأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه، وهذا انتفاع

بعمل الغير.

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات، كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يُرحم بهم، وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض.

تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح:٢٥] إلخ. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥١] إلخ. فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير.

عشروها: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره، ممن يُموِّنه الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له فيها.

حادي عشريها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك، ولا سعي له، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة؟ انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.



س: هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ قرآنًا ويهب ثوابه للأموات؟

ج: لا أعلم شيئًا من ذلك واردًا عن رسول الله ﷺ.

وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ عند تفسير هذه الآية:

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ـ رحمه الله ـ ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم.

ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثّهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها، ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»[1]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به» فهذه الثلاثة ـ في الحقيقة ـ هي من سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه».

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾... الآية [يس:١٢]. والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده، هو أيضًا من سعيه وعمله، وثبت في «الصحيح»: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقُص من أجورهم شيئًا»[2].



(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) مسلم (٢٦٧٤).

س: اذكر بعض ما يلحق الميت بعد وفاته من أعمال البر؟

ج: من ذلك ما يلي:

الاستغفار له: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

* وقال ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك»(١).

* الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به والولد الصالح الذي يدعو له: ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٢).

* أداء الدين عن الميت والحج عنه: أخرج البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن امرأة من جهنية جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «نعم حُجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دَيْن أكنت قاضيته؟! اقضوا الله فالله حق بالوفاء»(٣).

وفي «الصحيحين» من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها، وأُراها لو تكلمت تصدقت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم تصدق عنها»(٤).

* الصوم: وذلك لقول رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صيام صامَ عنه وليُّه»(٥).

(١) أحمد في المسند (٢/ ٥٠٩) بسندٍ حسن.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ١٦٧) (حديث ١٦٣١).
(٣) البخاري (١٨٥٢).
(٤) البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (٤/ ١٦٦).
(٥) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

* قضاء النذر: أخرج البخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن سعد بن عباده استفتى رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت أمه قبل أن تقضيه فأفتاه أن يقضيه عنها فكانت سُنَّةً بعد[١].

* العمرة عنه: ففي الحديث: «احجج عن أبيك واعتمر»[٢].

* صلة من كان الميت يصلهم: ففي الحديث: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه»[٣].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن عمل العامل سوف يُرى يوم القيامة إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌ.

أما من الذي سيراه، فقد قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وسيراه صاحبه أيضًا، قال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨].

وقال تعالى ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ..﴾ [الإسراء:١٣، ١٤] هذا، وقد قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

قوله جل ثناؤه: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ: وأن عمل كل

(١) البخاري (٦٦٩٨).
(٢) أحمد (٤/ ١٠).
(٣) مسلم (٢٥٥٢).

عامل سوف يراه يوم القيامة، من ورد القيامة بالجزاء الذي يجازي عليه، خيرًا كان أو شرًّا، لا يؤاخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره.

وإنما عُني بذلك: الذي رجع عن إسلامه بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب، أن ضمانه ذلك لا ينفعه، ولا يغني عنه يوم القيامة شيئًا، لأن كلّ عامل فبعمله مأخوذ.

وقد قيل: إن الذي يرى هو جزاء العمل، يُرى يوم القيامة.

❀❀❀

س: لماذا وصف الجزاء بالأرض؟

ج: قيل: لأن الله أوفى بما وعد خلقه، فقد وعدهم أن يثيبهم على الطاعات فوفى لهم بذلك.

وقيل الأوفى: الأكمل. الذي ليس بناقصٍ وقيل الأوفى: الأوفر.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالمنتهى ها هنا المرجع والمآب، وهو المجازي للعباد على أعمالهم.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه، ﷺ: وأن إلى ربك يا محمد انتهاء جمع خلقه ومرجعهم، وهو المجازي جميعهم بأعمالهم، صالحهم وطالحهم، ومحسنهم ومسيئهم.

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ أي: إليه تنتهي الأمور: وإليه تصير الأشياء

والخلائق، بالبعث والنشور. وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهي العلم، والحكم، والرحمة، وسائر الكمالات.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾؟

ج: المعنى والله تعالى ـ أعلم ـ أن الضحك والبكاء كلاهما من عند الله عزَّ وجل، فضَحِكَ الضاحك، وبكاء الباكي كلُّ ذلك من عند الله، فلا تنذرف دمعةٌ ولا تنفرج شفاة إلا بإذن الله.

بينما حمل آخرون من أهل العلم هذا الضحك وذاك البكاء على الضحك يوم القيامة، والبكاء يوم القيامة، فقال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار، بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى، فلا فاعل إلا هو؛ وفي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لا والله ما قال رسول الله قطُّ إنّ الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: (إنّ الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابًا وإن الله لهو أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخري).

وعنها قالت: مرَّ النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقول لك: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾.

فرجع إليهم فقال: «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: إيتِ

هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ أي: قضى أسباب الضحك والبكاء.

ـ وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء.

ـ وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. وقد تقدّم هذا المعنى في «النمل» و «التوبة».

ـ قال الحسن: أضحك الله أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.

ـ وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سرَّه وأبكى من شاء بأن غَمَّه.

ـ الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر.

ـ وقيل: أضحك الأشجار بالنَّوَّار، وأبكى السحاب بالأمطار.

ـ وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته.

ـ وقال سهل بن عبدالله: أضحك الله المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط.

ـ وقال محمد بن علي الترمذيِّ: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا.

ـ وقال بسام بن عبدالله: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

السِّنُّ تَضحَكُ والأحشاءُ تحترقُ وإنما ضحْكُها زَورٌ ومُختَلَقُ
يا رُبَّ باكٍ بعَينٍ لا دموعَ لها وربَّ ضاحك سِنٍّ ما به رَمَقُ

وقيل: إن الله تعالى خصّ الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان. من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

ـ وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما

ضحكوا ولا كلّ من دون العرش منذ خلقت جهنم.

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير، والشر، والفرح، والسرور، والهم، والحزن، وهو سبحانه، له الحكمة البالغة في ذلك.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله عزَّ وجل هو الذي جعل الحياة تدب في الأجساد، فهو الذي نفخ الروح فيه أو أمر الملك بنفخ الروح فيها ـ فدبت فيها الحياة وأمر ملك الموت ـ إذا أراد إماتتها ـ بقبض تلك الأرواح عن الأجساد.

فلا يموت ميت إلا بإذن الله، ولا تحيا نفس زمنًا أكثر من الذي قدره الله لها.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: يقول تعالى ذكره: وأنه هو أمات من مات من خلقه، وهو أحيا من حيي منهم. وعني بقوله: ﴿وَأَحْيَا ﴾ نفخ الروح في النطفة الميتة، فجعلها حية بتصييره الروح فيها.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ أي: قضى أسباب الموت والحياة.

ـ وقيل: خلق الموت والحياة كما قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [الملك:٢] قاله ابن بحر.

ـ وقيل: أمات الكافر بالكفر وأحيا المؤمن بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ الآية [الأنعام:١٢٢].

ـ وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام:٣٦] على ما تقدّم، وإليه يرجع قول عطاء: أمات بعدله وأحيا بفضله.

ـ وقول من قال: أمات بالمنع والبخل وأحيا بالجود والبذل.

ـ وقيل: أمات النطفة وأحيا النَّسَمة.

ـ وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء.

ـ وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب.

ـ وقيل: أنام وأيقظ.

ـ وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث.

❁❁❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾؟

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة:٣٦ـ٣٩].

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق:٧].

❁❁❁

س: على أي شيء يستدل بخلق الزوجين الذكر والأنثى؟

ج: استدل بذلك على أمرين:

الأول: الاستدلال بذلك على البعث، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ ثم قوله بعد ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾.

الثاني: الاستدلال بذلك على أن الإنسان خلق للتكليف، ومن ثمّ للعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة:٣٦ـ٣٩].

❁❁❁

س: لماذا خُصَّت الشعرى بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ مع أن الله عزَّ وجل رب كل شيءٍ؟

ج: قال بعض العلماء، ذلك، والله أعلم، لأن هذا النجم كان مما يعبد من دون الله في الجاهلية، فأخبر الله تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مخلوق، فكيف بمن يتخذ مع الله آلهة أخرى.

❀❀❀

س: هل هناك عادٌ أولى وعادٌ أخرى؟

ج: قال ذلك بعض العلماء، وإليه جنح الطبري إذ قال:

وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ يعني تعالى ذكره بعاد الأولى: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عني بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٧].

ثم قال: وإنما قيل لعاد بن إرم: عاد الأولى، لأن بني لُقَيم بن هَزَّال بن هُزَيل بن عَبيل بن ضِدِّ بن عاد الأكبر، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكانًا بمكة مع إخوانهم من العمالقة، وَلَدِ عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم، وهم عاد الآخرة، ثم هلكوا بعد.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه أُطلق على عادٍ (عادًا الأُولى) لكونها من أوائل الأمم. والله أعلم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يَبق الله ثمود فيتركها على طغيانها وتمرّدها على ربها مقيمة، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوّها فأهلكها.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله عزَّ وجل أهلك قبل عادٍ وثمود قومَ نوح فقد كان قوم نوح أشد ظلمًا وطغيانًا من قوم عاد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إنهم كانوا هم أشدّ ظلمًا لأنفسهم، وأعظم كفرًا بربهم، وأشدّ طغيانًا وتمرُّدًا على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانًا من غيرهم من الأمم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة [١] قال:

قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله ﷺ نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبي الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بني إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذٍ؛ تتابعًا في الضلالة، وتكذيبًا بأمر الله.

---

(١) (٣٢٦٤٣).

قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون قوم نوح أظلم وأطغى، أي: أشد ظلمًا وطغيانًا من غيرهم، قد بينه تعالى في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح:٢١، ٢٢] إلى قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٧].

وقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود:٣٨].

ومن أعظم الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤] لأن قومًا لم يتأثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل، لا شك أنهم أظلم الناس وأطغاهم.

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾؟

ج: المعنى: أن مدائن قوم لوط، وهي المُسماة بالمؤتفكات أهلكها الله، وصورة الإهلاك أنها رفعت إلى السماء ثم هويت إلى الأرض، وقد قُلب أعلاها فأصبح أسفلها.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: في كتابه «أضواء البيان» قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

المؤتفكة، مفتعلة من الإفك، وهو القلب والصرف، والمراد بها: قرى قوم لوط بدليل قوله في غير هذا الموضع: والمؤتفكات. بالجمع؛ فهومن إطلاق المفرد وإرادة الجمع كما أوضحناه مرارًا، وأكثرنا من أمثلته في القرآن وفي كلام العرب وأحلنا عليه مرارًا، وإنما قيل لها: مؤتفكة، لأن جبريل أفكها فأتفكت، ومعنى أفكها: أنه رفعها نحو

السماء ثم قلبها جاعلًا أعلاها أسفلها، وجَعْلُ عاليها أسفلها، هو ائتفاكها وإفكها.

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة هود في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ الآية [هود:٨٢].

وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:٧٤].

وقد بينا قصة قوم لوط في هود والحجر، وقوله في هذه الآية الكريمة: أهوى. تقول العرب: هوى الشيء إذا انحدر من عال إلى أسفل.

وأهواه: غيره إذا ألقاه من العلو إلى السفل، لأن الملك رفع قراهم ثم أهواها أي: ألقاها تهوى إلى الأرض، منقلبة أعلاها أسفلها.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فأصابها الذي أصابها وذلك أنها أُتبعت بحجارةٍ من سجيل منضود.

والتنكير في قوله تعالى ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ لبيان عظيم العذاب الذي قد حلَّ بها، فإنه لا يمكن وصفه.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله في تفسيرها:

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: فبأيّ نعم الله وفضله، تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة، لا تقبل الشك، بوجه من الوجوه. فما بالعباد من نعمة، إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم، إلا هو.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: هذا رسول الله ﷺ نذير من النذر الأولى، منذرٌ محذرٌ كما أنذرت الرسلُ من قبله، أي: من جنس النذر الأولى.

أخرج الطبري[1] بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: إنما بعث محمد كما بعث الرسل قبله.

وفي رواية عن قتادة قال: أنذر محمدٌ كما أنذرت الرسل من قبله، هذا وثَمَّ قول آخر ألا وهو: هذا (الذي بينته لكم في هذه السورة المباركة) نذير مما أنذرت بمثله الأمم من قبلكم وحذرتهم منه كذلك.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقال آخرون: معنى ذلك غير هذا كله، وقالوا: معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أني أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي، محمد بن عبدالله، ليس ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه.

فلأي شيء تنكر رسالته؟ وبأي حجة تبطل دعوته؟ أليست أخلاقه أعلى أخلاق الرسل الكرام؟ أليس يدعو إلى كل خير، وينهى عن كل شر؟ ألم يأت بالقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟ ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟

❀❀❀

---

(١) الطبري (٣٢٦٥٦)، (٣٢٦٥٧١).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن الساعة التي هي يوم القيامة قد اقتربت واقترب موعدها، وليس هناك صارف يصرفها ولا دافعٌ يدفعها.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس للآزفة التي قد أزفت، وهي الساعة التي قد دنت من دون الله كاشف، يقول: ليس تنكشف فتقوم إلا بإقامة الله إياها، وكشفها دون من سواه من خلقه، لأنه لم يطلع عليها مَلَكًا مقربًا، ولا نبيا مرسلًا.

وقيل: كاشفة، فأنثت، وهي بمعنى الانكشاف؛ كما قيل: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨] بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء؛ وكما قيل: العاقبة وما له من ناهية، وكما قيل: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢] بمعنى تكذيب، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣] بمعنى خيانة.

وقيل في معناها: لا يطلع على علمها أحدٌ سواه.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون؟ أن نزل على محمد ﷺ، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ يقول: وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر، معرضون عن آياته؛ يقال للرجل: دع عنا سمودك، يراد به: دع عنا لهوك؛ يقال

منه: سَمَد فلانٌ يَسْمُد سُمُودًا.

❀❀❀

س: هل يجوز البكاء عند قراءة القرآن؟

ج:نعم يجوز البكاء عند قراءة القرآن.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء:١٠٩].

وقد تقدم بعض ذلك في تفسير سورة المائدة.

❀❀❀

س: أهل الكفر كانوا دائمًا يشوشون على الناس حتى لا يستمعون القرآن دلِّل على ذلك؟

ج:من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَت:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾، وبين لماذا خُصَّ السجود دون غيره من أركان الصلاة؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ :

وقوله ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ يقول تعالى ذكره: فاسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكًا في عبادتكم إياه.

قال السعديُّ ـ رحمه الله ـ:

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ الأمر بالسجود لله خصوصًا، يدل على فضله وأنه سر العبادة ولُبها.

فإن روحها، الخشوع له، والخضوع له.والسجود أعظم حالة يخضع بها العبد، فإنه يُخْضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف أعضائه على الأرض المهينة، موضع وطء الأقدام.

ثم أمر بالعبادة عمومًا، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال، والأقوال الظاهرة، والباطنة.

❁❁❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ سجد عند هذه الآية؟

ج: نعم قد ثبت ذلك، وثبت أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ولم يسجد كذلك أما عن سجوده فيها.

❁❁❁

سورة القمر

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ
۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ
جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَسِرٌ ۝٨ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى
مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا
فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا
جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى
وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١ ـ ١٧].

س: اذكر معنى ما يلي: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ـ ٱلسَّاعَةُ ـ وَٱنشَقَّ ـ ءَايَةً ـ مُّسْتَمِرٌّ ـ مُّسْتَقِرٌّ ـ ٱلْأَنۢبَآءِ ـ مُزْدَجَرٌ ـ بَٰلِغَةٌ ـ ٱلنُّذُرُ ـ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ـ شَىْءٍ نُّكُرٍ ـ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ـ ٱلْأَجْدَاثِ ـ مُّهْطِعِينَ ـ عَسِرٌ ـ وَٱزْدُجِرَ ـ مُّنْهَمِرٍ ـ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ـ قُدِرَ ـ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ـ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ـ كُفِرَ ـ مُّدَّكِرٍ ـ لِلذِّكْرِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾	دَنَتْ ـ قربت.
﴿ٱلسَّاعَةُ﴾	الساعة التي تقوم فيها القيامة.
﴿وَٱنشَقَّ﴾	انفلق ـ انقسم، وقد انشق.
﴿ءَايَةً﴾	معجزةً.
﴿مُّسۡتَمِرّٞ﴾	ذاهبٌ ـ متواصلٌ ـ باطل مضمحل لا دوام له.
﴿مُّسۡتَقِرّٞ﴾	له منتهى واستقرار.
﴿ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾	الأخبار.
﴿مُزۡدَجَرٌ﴾	زاجر ـ رادع.
﴿بَٰلِغَةٞ﴾	واصلة ـ كاملة.
﴿ٱلنُّذُرُ﴾	جمع نذير.
﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾	فأعرض عنهم.
﴿شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾	شيء منكر وفظيع، وهو يوم القيامة وموقف الحساب.
﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾	ذليلة أبصارهم.
﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾	القبور.
﴿مُّهۡطِعِينَ﴾	مسرعين ـ عامدين ـ ناظرين مسرعين بنظرهم.
﴿عَسِرٞ﴾	شاق ـ شديد الأهوال ـ عبوس قمطرير.
﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾	انتُهر ـ زُجِرْ ـ زجره قومه.
﴿مُّنۡهَمِرٖ﴾	متدفق.
﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾	أسلنا الأرض عيونًا فجَّرناها كلها فكانت عيونًا تتدفق منها المياه.
﴿قُدِرَ﴾	قدَّره الله عزَّ وجل.

﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾	سفينة لها ألواح.
﴿وَدُسُرٍ﴾	مسامير ـ قيل جوانب السفينة وقيل: مقدمتها.
﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾	تجري بمرأى منا ـ وقيل: بحفظنا ـ وقيل: (بأمرنا) والأول أولى.
﴿كُفِرَ﴾	جُحد.
﴿مُّدَّكِرٍ﴾	معْتبر ـ متذكر.
﴿لِلذِّكْرِ﴾	للتذكر ـ لاعتبار ـ للاتعاظ.

❀❀❀

س: اذكر باختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الطيبة؟

ج: افتتحت هذه السورة الكريمة بالإخبار باقتراب الساعة، والإنباء بمعجزة حدثت زمن رسول الله ﷺ ألا وهي انشقاق القمر، ومع اقتراب الساعة وانشقاق القمر فأهل الكفر في إدبار وإعراض مستمر مع مجيء الأنباء ووصول أخبار الأمم المتقدمة إليهم، ثم يحث الله عز وجل نبيه ﷺ على الإعراض عنهم وعدم المبالاة بهم ما داموا على كفرهم ما داموا لم يستجيبوا ولم يقبلوا والتذكير بمجيء يوم القيامة وبيان لأحوال الناس فيه.

ثم مواساة رسولنا محمد ﷺ بتذكيره بإخوانه من الأنبياء من قبله وما حدث لهم مع أممهم وكيف وأن الله عزَّ وجل انتقم من الظالمين وأحلَّ بهم بأسه ونقمته، وكيف وأن العاقبة دومًا للتقوى!

فسيقت لذلك قصصٌ، وضُربت لذلك أمثلة ثم بيان أن ما حل بهؤلاء الظلمة ليس ببعيد أن يحلَّ أيضًا بكفار قريش المعرضين المكذبين ولكن ذلك بقدر وأجل، وكل عملٍ يعمله العاملون محسوب ومكتوب ومسطر، ثم ختام السورة الكريمة ببيان مآل المتقين، وأنهم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر جعلنا الله منهم.

❀❀❀

س: ورد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسورة القمر في بعض المواطن، اذكر الحديث الوارد في ذلك.

ج: الحديث بذلك أخرجه مسلم(١) في صحيحه من حديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ في الأَضْحَى وَالفِطْرِ بـ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق:١] و ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ..﴾.

❀❀❀

س: اذكر بعض الأدلة على اقتراب يوم القيامة؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١].

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].

وقوله ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**».

❀❀❀

س: كيف قيل اقتربت الساعة، وذلك من قبل ألف وأربعمائة عام وأكثر، وللآن لم تقم الساعة؟

ج: وجه الجواب أن يقال: إن هذه المدة الزمنية من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن لا تكاد تُذكر بالنسبة لما قد مضى قبلها من الزمان. والله تعالى أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: أي: ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريبة، ويمكن أن يقال: أنها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة، فكل آتٍ قريب.

❀❀❀

---

(١) مسلم (حديث ٨٩١).

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الترمذي[١] بسندٍ صحيح عن أنس قال: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً: فَانْشَقَّ القَمْرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزلَتْ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذَاهِبٌ.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت (مصطفى): ولكني في ريبٍ من سبب النزول هذه فالحديث في الصحاح وغيرها من حديث أنس بدون قول فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

❀❀❀

س: وضح المراد بانشقاق القمر، ومتى كان هذا الانشقاق؟

ج: المراد بذلك انفلاقه إلى قطعتين، وكان هذا الانشقاق زمن رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: قد كان هذا في زمان رسول الله، ﷺ، كما ثبت ذلك[٢] في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «**خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر**».

وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

ومن العلماء من قال: إن انشقاق القمر سيأتي مع مجيء الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية، قلت: ولا دليل على هذا القول.

قال السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى أن الساعة وهي: القيامة، ٱقْتَرَبَتِ، وآن أوانها، وحان وقت مجيئها.

---

(١) الترمذي (حديث ٣٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٠).

ومع هذا، فهؤلاء المكذبون، لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها. ويريهم الله، من الآيات العظيمة، الدالة على وقوعها، ما يؤمِنُ على مثله، البشر.

فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبدالله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات، ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار ﷺ، إلى القمر، فانشق بإذن الله، فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان. والمشركون وغيرهم، يشاهدون هذه الآية العظيمة، الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها، والتخييل. فشاهدوا أمرًا، ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره. فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرًا. ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم وقالوا: سحرنا محمد. ولكن علامة ذلك، أنكم تسألوان من ورد عليكم من السفر، فإنه إن قدر على سحركم، لم يقدر أن يسحر من ليس مشاهدًا مثلكم. فسألوا كل من قدم، فأخبروهم بوقوع ذلك فقالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. سحرنا محمد، وسحر غيرنا. وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل.

❁❁❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في انشقاق القمر؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقتين فقال رسول الله ﷺ: **«اشهدوا»**[(١)].

* وحديث أنس[(٢)] ـ رضي الله عنه ـ قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية: فأراهم انشقاق القمر مرتين.

---

(١) البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

وحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[1]: «إنّ القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا.

❀❀❀

س: ما وجه الربط بين اقتراب الساعة وانشقاق القمر؟

ج:

قال بعض العلماء: إن الآية فيها تقديمٌ وتأخير فالمعنى: انشق القمر و﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾ الساعة، وذلك لأن انشقاق القمر يكون في عهد النبي ﷺ وزمن بعثته، وعهدُهُ وزمنُ بعثته دليلان على اقتراب الساعة.

وقال آخرون: إن الآية على ظاهرها بلا تقديم ولا تأخير والمعنى: أن الساعة ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾، ودليلٌ على اقترابها انشقاق القمر، فالله أعلم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: أن هؤلاء المشركين الذين طلبوا معجزة من رسول الله ﷺ، ما انتفعوا بالمعجزات لما أتتهم فهاهم قد سألوا رسول الله ﷺ آيةً فأراهم انشقاق القمر، فما انتفعوا بذلك، بل تمادوا في غيهم وكفرهم وتكذيبهم، وقالوا سحرنا محمد، وقالوا أيضًا هذا الذي يصنعه محمد ﷺ ويأتي به من المعجزات إنما هو سحر ذاهب، وسيئول أمره إلى زوال.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوّة محمد ﷺ، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم، يعرضوا

(١) البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٣٨٠٣).

عنها، فيولوا مكذّبين بها مُنكرين أن يكون حقًّا يقينًا، ويقولوا تكذيبًا منهم بها، وإنكارًا لها أن تكون حقًّا: هذا سحر سحَرَنا به محمد حين خيل إلينا أنا نرى القمر منفلقًا باثنين بسحره، وهو سحر مستمرّ، يعني يقول: سحر مستمرّ ذاهب، من قولهم قد مرّ هذا السحر إذا ذهب.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: أن أهل الكفر كذبوا الرسل، وكذَّبوا بالآيات والمعجزات ووصفوها بأنها سحرٌ ذاهب باطل مضمحل، واتبعوا في ذلك ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم. وضلالاتهم واختياراتهم .

قال السعدي رحمه الله:

﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص:٥٠] فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعًا، واتبعوا محمد ﷺ، لأن الله أراهم على يديه، من البينات والبراهين، والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم: وكل أمرٌ له نهايةٌ واستقزار فالأمور مهما بلغت يأتيها وقت تركد فيه وتنتهي إليه والخير ينتهي بأهله إلى الجنة، والشر ينتهي بأهله إلى النار أيضًا وقد صح عن قتادة أنه قال قوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ أي: بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر[1].

---

(١) الطبري بسند حسن (٢٣٧٢٥).

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره، ومتناه نهايته، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشرّ مستقرّ بأهله في النار.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

وقرأ شيبة «مُسْتَقَر» بفتح القاف؛ أي: لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدّم وتأخر.

وقد روي عن أبي جعفر بن القَعْقَاع «وَكُلُّ أَمْرٍ مَسْتَقِرٍّ» بكسر القاف والراء جعله نعتًا لأمر «وكُلُّ» على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أمّ الكتاب كائن.

ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة؛ المعنى: ٱقْتَرَبَتِ الساعة وكل أمرٍ مستقر؛ أي: اقترب استقرار الأمور يوم القيامة. ومن رفعه جعله خبرًا عن «كلّ».

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم: ولقد جاء هؤلاء المشركين المكذبين لنبينا محمد ﷺ من أنباء الأمم السابقة أنباء كافيه لزجرهم ولوعظهم ولنهيهم عما هم فيه من الشرك والكفر والغي والضلال، فقد ذُكِّروا بقوم عادٍ وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين والمؤتفكات، وقوم فرعون، وغيرهم ممن طغوا وبغوا، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال والدمار.

ووجه آخر: ولقد جاء هؤلاء القوم من الأنباء أصدقها وأحسنها وأجملها، وهو القرآن الذي يحمل أصدق الأنباء، وأجمل المواعظ، وأروع القصص.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذي كذّبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، يزجرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهم مفْتَعلٌ من الزّجْر.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، ما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾، أي: من الأنباء؛ فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأن لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنما اقتص علينا ما علم أن بنا إليه حاجة وسكت عما سوى ذلك؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه.

وأصله مُزْتَجَر فقلبت التاء دالًا؛ لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالًا توافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر.

و«مُزْدَجر» من الزجر وهو الانتهاء، يقال: زجره وازدجره فانزجر وازدجر،

وزجرته أنا فانزجر أي: كففته فكف، كما قال:

فأصبح ما يطلبُ الغانيا ... تُ مُزْدَجَرًا عن هواه ازدجارا

وقريء «مُزّجرٌ» بقلب تاء الافتعال زايًا وإدغام الزاي فيها؛ حكاه الزمخشري.

أما قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ فالمراد بالحكمة البالغة القرآن.

أما ابن كثير رحمه الله فقد قال: وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ أي في هدايته تعالى لمن هداه، وإضلاله لمن أضله ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ يعني القرآن وهو بدل من «ما» من قوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف؛ أي: هو حكمة. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ إذا كذّبوا وخالفوا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١] فـ «ما» نفي أي: ليست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى التوبيخ؛ أي: فأي شيء تغني النذر عنه وهم معرضون عنها و «النُّذُرُ» يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان»: وهنا جمع النذر في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾، وللعلماء عن هذا أجوبة:

أحدها: أن أقل الجمع اثنان كما هو المقرر في أصول مالك بن أنس رحمه الله، وعقده صاحب مراقي السعود بقوله:

أقل معنى الجمع في المشتهر لاثنان في رأى الإمام الحمير

قالوا: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤] ولهما قلبان فقط وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١] والمراد بالإخوة اثنان فصاعدًا كما عليه الصحابة فمن بعدهم خلافًا لابن عباس، وقوله: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ وله طرفان ومنها: ما ذكره الزمخشري وغيره من أن المراد بالنذر موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء، لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. ومنها أن النذر مصدر بمعنى الإنذار.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له:

التحقيق في الجواب: أن من كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيرًا واحدًا فقد كذب جميع النذر، لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله كما أوضحه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف:٤٥].

وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميعهم في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ الآية [النساء:١٥٠، ١٥١].

وأشار إلى ذلك في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء:١٥٢] الآية.

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء: أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] ثم بيّن أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحًا وحده، حيث فرد ذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٠٦] إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء:١١٧] وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، ثم بيّن أن ذلك بتكذيب هود وحده، حيث فرده بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٢٤] ونحو ذلك. في قوله تعالى في قصة صالح وقومه، ولوط وقومه، وشعيب وأصحاب الأيكة، كما هو معلوم، وهو واضح لا خفاء فيه، ويزيده إيضاحًا قوله ﷺ: «**إنا معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» يعني: أنهم كلهم متفقون في الأصول وإن اختلفت شرائعهم في بعض الفروع.

❁❁❁

س: أهل الكفر الذين كُتبت عليهم الشقاوة لا تنفعهم الآيات ولا تُجدي معهم المعجزات دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

* وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩].

* وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣].

❁❁❁

س: هل قوله تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخ؟

ج: قال بذلك بعض أهل العلم، وقالوا إنه منسوخ بآية السيف.

وقال آخرون: بل هو محكم، قالوا: وهو من تمام الكلام.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم.

قيل: هذا منسوخ بآية السيف.

وقيل: هو تمام الكلام.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المكذبين المعاندين الذين تمادوا بالكفر ولم ينتفعوا بالآيات والمعجزات، ووصفوها بأنها سحرٌ مستمر، وانتظر بهم إلى أن يأتي يوم يدع فيه الداع إلى شيء نُكر.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحْر مستمرّ، فإنهم يوم يدعو داعي الله إلى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النُّكُر ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: ذليلة أبصارُهم خاشعة، لا ضرر بها ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع جدَث، وهي القبور، وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصارَ دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع.

قال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: قد بان أن المكذبين، لا حيلة في هداهم، فلم يبق، إلا الإعراض عنهم فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ وانتظر بهم يومًا عظيمًا وَهَوْلاً جسيمًا.

وذلك ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ وهو: إسرافيل عليه السلام ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: إلى أمر فظيع، تنكره الخليقة، فلم تر منظرًا أفظع ولا أوجع منه.

فينفخ إسرافيل، نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة.

❀❀❀

س: وصف الناس عند خروجهم من القبور بأنهم كالجراد المنتشر وفي آيات أُخر وصفوا بغير ذلك، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ فكيف الجمع؟

ج:

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤] فهما صفتان في وقتين مختلفين.

أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزِعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض؛ فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها.

الثاني: فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها.

❀❀❀

س: هل العُسر في هذا اليوم على الكافرين فقط أم أنه عام؟

ج: قال بعض العلماء: عسيرٌ على الجميع لكن عسره وشدته تزول عن المؤمنين وتتواصل على الكافرين كما قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:١٠].

❀❀❀

س: ما فائدة التذكير بقوم نوح وما حلَّ بهم؟

ج: ذلك لأمور، منها: تصبير النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وكذلك تذكير القرشيين المشركين بما حلَّ بالأمم المكذبة من قبلهم.

قال الطبري رحمه الله:

هذا وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسل إليه رسوله محمدًا ﷺ على تكذيبهم إياه، وتقدم منه إليهم إن هم لم يُنيبوا من تكذيبهم إياه، أنه مُحِلٌّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصَّ قصصهم في هذه السورة من الهلاك والعذاب، ومنجٍ نبيه محمدًا والمؤمنين به، كما نجّى من قبله الرسل وأتباعهم من نقمه التي أحلَّها بأممهم، فقال جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: «**كذّبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذّبوك من قومك، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ، قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحًا إذ أرسلناه إليهم، كما كذبتك قريش إذ أتيتهم بالحق من عندنا وقالوا: هو مجنون وازدجر، وهو افْتُعِل من زجرت، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوّله زايًا صيروا تاء الافتعال منه دالًا؛ من ذلك قولهم: ازدجر من زجرت، وازدلف من زلفت، وازديد من زدت.**



س: ما وجه التكرير في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ بعد قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: أي كذبوه تكذيبًا عقب تكذيب، وقيل لما كانوا مكذبين للرسالات جاحدين للنبوات كذبوا نوحًا لأنه من جملة المرسلين.

❀❀❀

س: هل من دعاء آخر دعا به نوح على قومه؟

ج: نعم فقد دعا فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

❀❀❀

س: ما صور الزجر الذي زجر به قومُ نوحٍ نبيهم ﷺ؟

ج: من صور الزجر التي زُجر بها نوحٌ عليه السلام ما يلي:

قولهم عنه مجنون.

تهديدهم له بالرجم والشتم، وذلك كما قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ يقول تعالى ذكره: فدعا نوح ربه: إن قومي قد غلبوني، تمرّدًا وعتوًّا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: إني ضعيفٌ عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿فَانتَصِرْ﴾ أنت لدينك.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وإنما قيل: فالتقى الماء على أمر قد قدر، والالتقاء لا يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعدا، لأن الماء قد يكون جمعًا وواحدًا، وأريد به في هذا الموضع: مياه السماء ومياه الأرض، فخرج بلفظ الواحد ومعناه الجمع.

وقيل: التقى الماء على أمر قد قدر، لأن ذلك كان أمرًا قد قضاه الله في اللوح المحفوظ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾.

قال السدى هو الكثير. ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾، أي نبعت جميع أرجاء الأرض، حتى التنانير التي هي محالٌ النيران نبعت عيونًا، ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ أي: من السماء ومن الأرض ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾، أي: أمر مقدر.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾؟

ج: المعنى والله تعالى أعلم: وحملنا نوحًا عليه السلام ومن آمن به ـ على سفينة صنعت من الألواح (ألواح الخشب) وربطت تلك الألواح وضُمت إلى بعضها بالدُّسر.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فعلنا بهم ما فعلنا انتصارًا لنبينا نوحٍ عليه السلام، الذي جُحد وجُحدت نبوته وكُذِّب.

الثاني: فعلنا بهم ما فعلناه لكفرهم بالله عزَّ وجل وجحودهم إلهيته ووحدانيته.

الثالث: فعلنا بهم ذلك جزاءً لهم على كفرهم بالله وانتصارًا لنوحٍ عليه السلاح وهذا الأخير قول الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أما الطبري رحمه الله فقال:

والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد، وهو أن معناه: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجَّرنا الأرض عيونًا، فغرَّقنا قوم نوح ونجينا نوحًا، عقابًا من الله وثوابًا للذي جُحِد وكُفِر، لأن معنى الكفر: الجحود، والذي جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح، فقال بعضهم لبعض: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣] ومن ذهب به إلى هذا التأويل، كانت من الله، كأنه قيل: عوقبوا لله ولكفرهم به.

ولو وجّه مُوَجّه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه في الفلك، كأنه قيل: غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جعلنا ذلك ثوابًا وجزاءً لنوح على صبره على أذى قومه وهو المكفور به؛ فاللام في «لِمَنْ» لام المفعول له؛ وقيل: «كُفِرَ» أي: جحد؛ فـ «من» كناية عن نوح.

وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب؛ أي: عقابًا لكفرهم بالله تعالى.

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كَفَرَ﴾ بفتح الكاف والفاء بمعنى: كان الغرق جزاءً وعقابًا لمن كفر بالله.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد تركنا سفينة نوح عليه السلام التي أنجيناه عليها هو ومن معه دون تلفٍ زمنًا طويلاً كدلالة على قدرتنا وعلى إنجائنا لعبادنا المؤمنين وانتقامنا من أهل الكفر والعناد.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي حملنا فيها نوحًا ومن كان معه آية، يعني: عِبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، فيصيبهم مثل ما أصابهم من العقوبة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾، قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة.

والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس:٤١، ٤٢].

وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١١، ١٢]. ولهذا قال هاهنا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أي: فهل من يتذكر ويتعظ؟

❀❀❀

س: كثيرًا ما تترك للظالمين الهالكين آثار كي يتعظ بها من اتعظ ويعتبر بها من اعتبر، ويتذكر بها من تذكر دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن سفينة نوح التي أنجى الله عليها أهل الإيمان، وأغرق من سواهم: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقوله تعالى في شأن جسد فرعون بعد أن أهلكه الله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس:٩٢].

وقوله تعالى في شأن ديار ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل:٥٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وديارهم: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات:١٣٧، ١٣٨].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى في معنى ذلك:

وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ يقول تعالى ذكره: فكيف كان عذابي لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح، وكذّبوا رسوله نوحًا، إذ تمادوا في غيِّهم وضلالهم، وكيف كان إنذاري بما فعلت بهم من العقوبة التي أحللت بهم بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسوله نوحًا، صلوات الله عليه.

وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحلّ بهم على تماديهم في غيهم، مثل الذي حلّ بقوم نوح من العذاب.

وقوله: ﴿وَنُذُرِ﴾ يعني: وإنذاري، وهو مصدر.

وقال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يقول: فهل من ذي تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التي كفرت بربها، وعصت رسوله نوحًا، وكذّبته فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة، فيعتبر بهم، ويحذر أن يحلّ به من عذاب الله بكفره بربه، وتكذيبه رسوله محمدًا ﷺ، مثل الذي حلّ بهم، فينيب إلى التوبة، ويراجع الطاعة.

وأصل مدّكر: مفتعل من ذكر، اجتمعت فاء الفعل، وهي ذال وتاء، وهي بعد

الذال، فصيرتا دالًا مشدّدة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوّله ذالًا يتبعها تاء الافتعال يجعلونها جميعًا دالًا مشدّدة، فيقولون: ادّكرت ادّكارًا، وإنما هو اذتكرت اذتكارًا، وفهل من مذتكر، ولكن قيل: ادّكرت ومدّكر لما قد وصفت، قد ذُكر عن بعض بني أسد أنهم يقولون في ذلك: مذّكر، فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالًا مشددة.

وذُكر عن الأسود بن يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود: فهل من مدّكر، أو مذّكر، فقال: أقرأني رسول الله ﷺ: «مُدّكر» يعني بذال مشددة.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد سهلنا القرآن على من أراد تلاوته وحفظه، وسهلناه لمن أراد الاتعاظ به والاعتبار، وبيناه وفصلناه.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾، أي: سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده، ليتذكر الناس.

كما قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧].

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مُتَّعظ خائف، وأصله مُذْتَكِر مُفْتَعِل من الذكر، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالًا لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الذال فيها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري؛ قال الفرّاء: إنذاري؛ قال: مصدران: وقيل: «نُذُر» جمع نذير ونذير بمعنى الإنذار كنكير بمعنى الإنكار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر مأخوذ من يسَّر ناقته للسفر: إذا رَحَلها ويَسَّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه؛ قال:

وقُمْتُ إليْـه باللّجـام ميسـرًا هُنَالك يجْزِيني الذي كنتُ أصْـنَعُ

وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهرًا إلا القرآن؛ وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل: ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرًا، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت؛ على ما تقدّم بيانه في سورة «**التوبة**» فيسرّ الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذّكروا ما فيه؛ أي يفتعلوا الذّكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب. فيهم: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قارئ يقرؤه.

وقال أبو بكر الوراق وابن شوْذب: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرّر في هذه السورة للتنبيه والإفهام.

وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عُقبى أمورهم وأمور المرسلين؛ فكان في كل قصة ونبأ ذكْرٌ للمستمع أن لو ادّكر، وإنما كرّر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ لأن «هَلْ» كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم؛ فاللام من «هَلْ» للاستعراض والهاء للاستخراج.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: ولقد يسرنا وسلهنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظًا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرًا.

فكل من أقبل عليه، يسَّر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه.

والذكر، شامل لكل ما يتذكر به العاملون، من الحلال، والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ، والعبر، والعقائد النافعة، والأخبار الصادقة.

ولهذا كان علم القرآن، حفظًا وتفسيرًا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق. وهو العلم النافع، الذي إذا طلبه العبد، أُعِينَ عليه.

وقال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فَيعَانَ عليه؟

ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

❀❀❀

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٨ ـ ٢٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿عَادٌ ـ وَنُذُرِ ـ صَرْصَرًا ـ يَوْمِ نَحْسٍ ـ مُّسْتَمِرٍّ ـ تَنزِعُ ـ أَعْجَازُ ـ مُّنقَعِرٍ ـ يَسَّرْنَا ـ لِلذِّكْرِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَادٌ﴾	هي قبيلة نبي الله هود عليه السلام، وقومه الذين أُرسل إليهم.
﴿وَنُذُرِ﴾	إنذاري.
﴿صَرْصَرًا﴾	شديدة الهبوب والعصوف[1] ـ شديدة البرد[2] بردها شديد مُحرق ـ مسموعٌ لها صوت.
﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾	يوم شؤم ـ يوم شرٍّ وقيل: يوم شديد[3].

(١) قال بعض العلماء: لشدتها سُمع لها صرير، فقال لها صَرْصَرٌ، كما في قوله تعالى ﴿فكبكبوا﴾ أي: فكبوا.

(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿ريح فيها صرٌّ﴾، وأخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: ﴿صرصر﴾ الصرصر الباردة.

(٣) وهذا الأخير مبنيٌّ على قراءة ﴿يومٍ﴾ أي: بتنوين يوم مع خفضها، وقد قيل إن هذا اليوم هو يوم الأربعاء، وقال بعضهم إنه يوم نحس، وقد ورد بذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لا يصح.

﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾	متواصل - متمادى بهم - مستمرٌ بهم إلى نار جهنم[1] وقيل: مستمر بهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا.
﴿تَنزِعُ﴾	تقتلع.
﴿أَعْجَازُ﴾	بقايا - فِلَق.
﴿مُّنقَعِرٍ﴾	منقلعٌ من أصله، ومنه: قعر الشيء أي: أصله وقعر الإناء أي: قاعه.
﴿يَسَّرْنَا﴾	سهَّلنا - هوَّنا.
﴿لِلذِّكْرِ﴾	للتذكُّر - للاتعاظ.

❁❁❁

س: ما وجه التذكير بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]؟

ج: لذلك وجوه:

أحدها: تذكير القرشيين بما حدث للأمم المكذبة من قبلهم، وتحذيرهم من أن يحلَّ بهم مثلُ ما حلَّ بالأمم من قبلهم من العقاب والبلاء والنكال، إذا هم فعلوا مثل فعلهم واستمروا على التكذيب والعناد كما استمر أولئك.

الثاني: تصبير أهل الإيمان وتذكيرهم بأن العاقبة للتقوى، وبأن الله ينتقم من أهل الظلم والشرك.

الثالث: مواساة النبي محمد ﷺ، فإن كنت كُذبت، فقد كُذب من هو قبلك من إخوانك الأنبياء والمرسلين، فاصبر كما صبروا فإن الله سينتقم ممن عاداك وخالفك. والله أعلم.

❁❁❁

(١) صح ذلك عن الطبري عن قتادة.

س: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ على عذاب القبر فما وجه الدلالة؟

ج: وجه الدلالة أن قوله (مستمر) معناه. كما تقدم يتواصل أي: أن عذاب الدنيا تواصل بعذاب الآخره، فمنذ أن حلَّ بهم العذاب لم يفارقهم لا في قبورهم ولا في أُخراهم، وذلك كما قال تعالى في شأن قوم نوحٍ عليه السلام ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[نوح:٢٥] والله أعلم.

❀❀❀

س: كيف وصف اليوم بأنه (يوم نحس) وقد نهينا عن سبِّ الدهر في حديث رسول الله ﷺ؟

ج: هذا (أي قوله تعالى ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ ليس بسبٍ للدهر، إنما هو وصف لذلك اليوم كما قال تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فُصِّلَت:١٦].

هذا، وقد أورد القرطبي كلامًا لا تعويل عليه لعدم ثبوت الخبر فيه فقال:

فإن قيل فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر.

وقد مضى في «**البقرة**» حديث جابر بذلك.

فالجواب ـ والله أعلم ـ ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنه قال: (أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر)[1] ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين، بل أراد أنه نحس على الفجار والمفسدين؛ كما كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن؛ نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أوّل يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة

---

(١) هذا ضعيف لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسًا على الظالم؛ ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه: «**لم ينزل بي أمر غليظ**» إشارة إلى هذا. والله أعلم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾؟

ح: قال الطبري رحمه الله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رءوسهم فتندق رقابهم وتبين من أجسامهم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، ولهذا قال: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ .

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح أي: تَقْلعهم من مواضعهم.

قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصبحون ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم، مثل جذوع النخل الخاوي الذي اقتلعته الريح فسقط على الأرض. فما أهون الخلق على الله، إذا عصوا أمره!.

❀❀❀

س: لماذا قيل ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ ولم يقل منقعرة؟

ج: قال القرطبي رحمه الله: للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكَّر ويؤنث، وأورد القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري قال: سُئل المبرِّد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، فقيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء:٨١] و ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس:٢٢]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧] و ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾؟ فقال: كُلّ ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرًا، أو إلى المعنى تأنيثًا.

وقيل: إن النخل بمعنىً يذكّر ويؤنث كما ذكرنا. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدّم.

❀❀❀

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾
أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ
شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٣ـ٣٢].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿ثَمُودُ ـ ضَلَٰلٍ ـ وَسُعُرٍ ـ أَءُلْقِىَ ـ ٱلذِّكْرُ ـ أَشِرٌ ـ مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ـ فِتْنَةً ـ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ـ وَنَبِّئْهُمْ ـ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ـ فَتَعَاطَىٰ ـ فَعَقَرَ ـ كَهَشِيمِ ـ ٱلْمُحْتَظِرِ ـ مُّدَّكِرٍ﴾:

ج:

الكلمة	معناها
﴿ثَمُودُ﴾	قبيلة نبي الله صالح عليه السلام، وقومه الذين أُرسل إليهم.
﴿ضَلَٰلٍ﴾	بُعدٌ عن الحق والصواب ـ ذهاب عن الحق بعيد.
﴿وَسُعُرٍ﴾	جمع سعير ـ عناءٌ وتعبٌ ومشقةٌ وعذاب. وقيل: جنون، من قولهم ناقة سعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونه.
﴿أَءُلْقِىَ﴾	أأُنزل.
﴿ٱلذِّكْرُ﴾	الوحي ـ النبوة.

﴿ أَشِرٌ ﴾	فرح ـ ذا تجبرٍ وكبرياء ـ متكبر متجبرٌ نشطٌ في دعواه ـ لا يبالي بما قال ـ يكذب ولا يبالي.
﴿ مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾	باعثوا الناقة.
﴿ فِتۡنَةً لَّهُمۡ ﴾	ابتلاءً واختبارًا.
﴿ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ ﴾	فانتظرهم، وانظر ماذا سيصنع بهم وماذا سيحلُّ بهم.
﴿ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾	اصطبر على ارتقابهم ولا تعجل.
﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ ﴾	أخبرهم.
﴿ شِرۡبٍ ﴾	الشيء المشروب، إما اللبن وإما الماء، (فإذا غابت حضروا الماء) وإذا جآءت حضروا اللبن.
﴿ مُّحۡتَضَرٌ ﴾	محضورٌ ـ مشهودٌ (يحضرون الماء إذا غابت الناقة، وإذاجاءت حضروا اللبن.
﴿ فَتَعَاطَىٰ ﴾	تناول الناقة بيده، وقيل: انقاد لما أمروه به
﴿ فَعَقَرَ ﴾	عقر الناقة.
﴿ كَهَشِيمِ ﴾	اليابس من ورق الشجر، ومن النبات وقيل الهشيم كلُّ شيءٍ كان رطبًا فيبس. وقيل: الذي ادخر في الحظيرة كالتبن ونحوه وقيل الشوك الذي يحظر به العرب حول مواشيها. وقيل: الورق المتناثر من خشب الحطب.
﴿ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾	صاحب الحظيرة ـ المُحترق وقيل: التراب الذي يتناثر من الحائط.
﴿ مُّدَّكِرٍ ﴾	[illegible] متعظ ـ معتبر.

❁❁❁

س: ما النذر التي كذبت بها ثمود؟

ج: هي العقوبات التي أحلَّها الله بقوم نوحٍ وقوم عاد.

وقيل: المراد رسول الله صالح الذي أنذرهم وخوفهم.

❀❀❀

س: وضح معنى قولهم ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾؟

ج: المعنى والله أعلم: أن قوم صالح عليه السلام استنكروا ما يدعوهم إليه من وجهين:

أولهما: كونه بشرٌ مثلهم، وهذا الاستنكار مطردٌ من أمثالهم، فمن أمثالهم من قال ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن:٦] وقول الآخرين ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون:٤٧].

الثاني: كونه فردٌ واحد وهم جماعةٌ كبيره أي وكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس بجماعة.

قال ابن كثير رحمه الله:

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾، يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلنا قيادنا لواحد منا! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله ﷺ «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن من مات ولم يكن دخل في جماعة المسلمين وانقاد لإمامهم مات كما يموت أهل الجاهلية، فقد كانوا يستنكفون أن ينقادوا لشخصٍ واحد وإمام واحدٍ.

وقد يستل هذا المعنى من قول قوم ثمود ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ والله أعلم.

❁❁❁

س: وضح المراد بقولهم ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله:

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصولون ويردون به دعوة الرسل.

وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم:١١].

فالرسل منَّ الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم، والاختصاص بوحيه.

ومن رحمته وحكمته، أن كانوا من البشر. فلو كانوا من الملائكة، لم يكن البشر أن يتلقوا عنهم. ولو جعلهم من الملائكة، لعَاجَل المكذبين لهم بالعقاب العاجل.

والمقصود من هذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: كثير الكذب والشر.

قلت: (مصطفى): وهذا الذي قاله المشركون ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ يتضمن حسدًا منهم لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

❁❁❁

س: ما وجه قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾؟

ج: هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لهؤلاء القوم الذين عاندوا رسولهم ووصفوه

بأنه كذاب أشر.

وكذلك فهو تصبير للنبي ﷺ أي: لا يحزنك ما قالوه لك فستستبين الأمور غدًا، وسيعلم المحقُّ من المبطل، والمصيب من المخطئ.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى ﴿غَدًا﴾:

ج: المراد يوم القيامة، وقيل: المراد بغدٍ اليوم الذي سينزل فيه عليهم العذاب في الدنيا.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، إنا مجيبون هؤلاء القوم، قوم ثمود إلى ما سألوه وطلبوه، فقد سألوا نبيهم صالحًا أن يخرج لهم ناقةً عظيمة من بطن صخرةٍ يكفيهم لبنها كحجةٍ ودليلٍ وبرهان على صدق نبوته فسنجيبهم إلى ما سألوه وطلبوه لنعلم أيتبعون نبيهم ويصدقون نبوته أم لا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قوله: مرسلوا الناقة: أي: مخرجوها من الهضبة، فتنة لهم أي: ابتلاء واختبارًا، وهو مفعول من أجله، لأنهم اقترحوا على صالح إخراج ناقة من صخرة، وأنها إن خرجت لهم منها آمنوا به واتبعوه، فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتنة لهم أي: ابتلاء واختبارًا، وذلك أن تلك الناقة معجزة عاينوها، وأن الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله بعذابه.

والمفسرون يقولون: إنهم قالوا له: إن أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء

عشراء اتبعناك.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله أرسل لهم هذه الناقة امتحانًا واختبارًا، وأنهم إن تعرضوا لآية الله هذه، التي هي الناقة بسوء أهلكهم، جاء موضحًا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣]، وقوله تعالى في سورة هود عن صالح: ﴿وَيَا وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٤، ٦٥]، وقوله تعالى في الشعراء: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٥٥،١٥٦].

وقد بين تعالى: أنهم عقروا الناقة فجاءهم العذاب المستأصل في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأعراف: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف:٧٧] إلى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨]، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ الآية [الشمس:١٤].

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، وأخبر قومك يا نبي الله، يا صالح عليك السلام، أن (ماء البئر) قسمةٌ بينهم.

قيل في ذلك قولان:

أحدهما: أن قبيلة ثمود تقسم الماء فيما بينها، وذلك في اليوم المخصص لهم، فلا يعتدي قومٌ منهم على آخرين، بل لكل منهم قدرٌ معين من الماء.

والوجه الثاني: أن الماء قسمةٌ بين القبيلة وبين الناقة فللناقة يومٌ، ولهم يومٌ كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥].

وقد يَرِدُ على هذا القول تعقب حاصله: إن كلمة (بينهم) تعني أبناء القبيلة والقوم فما الذي جعلكم تحملونه على القبيلة والناقة، فجواب ذلك: أن هذا أطلق تغليبًا كما تقول بين كل أذانين صلاة، وتريد بذلك الأذان والإقامة، وكما تقول الشمسان، وتريد الشمس والقمر وتقول العُمَران، وتريد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: أخبر يا صالح ثمود أن الماء ـ وهو ماء البئر التي كانت تشرب منها الناقة ـ قسمة بينهم، فيوم للناقة ويوم لثمود، فقوله: بينهم أي: بين الناقة وثمود، وغلب العقلاء على الناقة.

كل شرب محتضر أي: يحضره صاحبه، فتحضر الناقة شرب يومها وتحضر ثمود شرب يومها.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في آية أخرى وهي قوله تعالى في الشعراء: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥] وشرب الناقة هو الذي حذرهم منه صالح لئلا يتعرضوا له في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس:١٣].

قال القرطبي رحمه الله: وإنما قال (بينهم) لأن العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلبوا بني آدم.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم فنادت قبيلة ثمود صاحبها (الذي هو عاقر الناقة)، وهو أشقى رجل في قبيلة ثمود، وكما قال رسول الله ﷺ «**انبعث لها رجلٌ شرير عارمٌ**».

وقد قيل إن اسمه قِدار بن سالف، فدعته قبيلته وحرَّضته على هذا الفعل الإجرامي الذي هو قتل الناقة ـ.

(فتعاطى) قيل: تناول الناقة بيده فعرقها.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى:

قوله: فتعاطى، قال أبو حيان في البحر: فتعاطى هو مطاوع عاطا، وكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطلها بعضهم بعضًا، فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده. انتهى محل الغرض منه.

والعرب تقول: تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله، وعاطاه إذا تناوله، ومنه قول حسان رضي الله عنه:

كلْتَاهُما حَلَبَ العَصيرَ فَعـاطني ... بِزُجاجَـةٍ أرْخَاهمـا لِلْمِفْصَـلِ

وقوله: فعقر أي: تعاطى عقر الناقة فعقرها، فمفعولا الفعلين محذوفان تقديرهما كما ذكرنا، وعبر عن عاقر الناقة هنا بأنه صاحبهم، وعبر عنه في الشمس بأنه أشقاهم وذلك في قوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس:١٢].

❀❀❀

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فدلَّ ذلك على أن العاقر واحدٌ، وقوله تعالى:﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ فدلَّ هذا على أن العاقرين القبيلة كلها؟

ج: ذلك بأن يقال: إن القبيلة لما كانت متواطئة مع العاقر، ومقرّةً له على فعله وصنيعه نُسب إليها جميعها الفعل.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى (في «أضواء البيان»):

وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروف في الآية، وإيضاح ذلك أن الله

تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة، لأنه قال: فتعاطى فعقر، بالإفراد مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم كقوله في سورة الأعراف: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الآية، وقوله تعالى في هود: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥] وقوله في الشعراء: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء:١٥٧]، وقوله في الشمس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤].

ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة، فنادوا واحدًا منهم لينفذ ما اتفقوا عليه، أصالة عن نفسه ونيابة عن غيره.

ومعلوم أن المتمالئين على العقر كلهم عاقرون، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر، وصحت نسبته أيضًا إلى الجميع، لأنهم متمالئون كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء في قوله: فتعاطى فعقر على ندائهم صاحبهم لينوب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى: فنادوا صاحبهم أي: نادوه ليعقرها.

وجمع بعض العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر، وهو أن إطلاق المجموع مرادًا به بعضه أسلوب عربي مشهور، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب.

وقد قدمنا في سورة الحجرات أن منه قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة:١٩١] بصيغة المجرد في الفعلين، لأن من قتل ومات لا يمكن أن يؤمر بقتل قاتله، بل المراد في إن قتلوا بعضكم فليقتلهم بعضكم الآخر، ونظيره قول ابن مطيع:

فَإِنْ تَقْتُلونَا عِنْدَ حَرَّةِ وَاقُمٍ فَإِنَّا عَلَى الإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ

أي: فإن تقتلوا بعضنا، وأن منه أيضًا: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الحُجُرات:١٤] لأن هذا في بعضهم دون بعض.

بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إلى

قوله: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩].

وقد قدمنا في الحجرات وغيرها، أن من أصرح الشواهد العربية في ذلك قول الشاعر:

فَسيفُ بَني عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بِيَدي وَرْقَاء عَن رَأسِ خَالِدِ

وقوله تعالى: فعقر: أي قتلها. والعرب تطلق العقر على القتل والنحر والجرح.

ومنه قول امرئ القيس:

تَقُول وَقَد مَالَ الغَبِيطُ بِنَا مَعًا عَقَرتَ بَعيْرِي يَامرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

ومن إطلاق العقر على نحر الإبل لقرى الضيف قول جرير:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرا لولا الكمي المقنعا

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، انظروا كيف كانت عقوبتي لمن عاند رسلي وكذَّب أنبيائي، لقد كانت عقوبة شديدة، ولقد كان عذابًا أليمًا.

أما قوله تعالى: ﴿وَنُذُرِ﴾ فالمعنى أيضًا، وكذا فانظروا كيف كان إنذاري لمن سلك طريقتهم، لقد أنذرت من سلك طريقتهم إنذارًا واضحًا لا غموض فيه وذلك ببيان ما حلَّ بمن كان قبله.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ يقول جل ثناؤه لقريش: فكيف كان عذابي إياهم معشر قريش حين عذبتهم ألم أهلكهم بالرجفة؟

ونُذر: يقول: فكيف كان إنذاري من أنذرت من الأمم بعدهم بما فعلت بهم وأحللت بهم من العقوبة؟

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤)
نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ
(٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ
صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٣ـ ٤٠].

س: وضح معنى ما يلي:
حَاصِبًا ـ آلَ لُوطٍ ـ بِسَحَرٍ ـ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ـ أَنذَرَهُم ـ بَطْشَتَنَا ـ فَتَمَارَوْا ـ بِالنُّذُرِ ـ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ ـ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ـ بُكْرَةً ـ مُّسْتَقِرٌّ :

ج:

الكلمة	معناها
﴿حَاصِبًا﴾	حجارة ـ ريحًا شديدة ترميهم بالحصباء وهي الحصا .
﴿آلَ لُوطٍ﴾	الذين صدقوه واتبعوه على دينه ممن هم (وقيل لم يؤمن به إلا بناته) على دينه وطريقته.
﴿بِسَحَرٍ﴾	آخر الليل إلى طلوع الفجر.
﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾	كرامة أكرمناهم بها ـ نعمةً أنعمناها عليهم
﴿أَنذَرَهُم﴾	خوَّفهم.
﴿بَطْشَتَنَا﴾	انتقامنا الذي انتقمنا ـ عقوبتنا
﴿فَتَمَارَوْا﴾	فكذبوا ـ تشككوا ـ تجادلوا.
﴿بِالنُّذُرِ﴾	بالرسل ـ بالآيات ـ بصور العذاب.

﴿رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾	طلبوا منه فعل الفاحشة مع أضيافه والمراودة من الإرادة.
﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾	أعميناهم ـ صيَّرنا أعينهم كسائر الوجه لا يُرى لها شِقٌّ[1]، وليس لها فتحات.
﴿بُكۡرَةً﴾	صباحًا ـ عند البكور ـ عند الفجر.
﴿مُّسۡتَقِرّٞ﴾	ملازمٌ لهم لا يفارقهم ـ استقر بهم إلى نار جهنم.

❀❀❀

س: ما النذر التي كذبت بها قومُ لوط؟

ج: هذه النذر منها: الآيات التي خوفهم بها وذكَّرهم بها ومنها: صور العذاب التي حلَّت بالأمم من قبلهم ومنها: نبي الله لوط عليه السلام، وجمعت النذر لأن من كذب نبيًّا فقد كذب الأنبياء جميعًا لأن دعوتهم واحدة.

❀❀❀

(١) قال الطبري: ومنه طمست الريح الأعلام إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب، وقد أورد أثر قتادة وفيه (بإسناد حسن) قال: وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطًا وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه فصفعهم بجناحه وتركهم عميًا يترددون.

وأثر ابن زيد (٣٢٨٠٧) بسند صحيح، وفيه أن ابن زيد قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تُنزل أحدًا أو تضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنه لا نتركه ولا نترك عملنا. قال: فلما جاءه المرسلون، خرجت امرأته الشقية من الشقّ، فأتتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أر قط أحسن وجوهًا منهم، ولا أحسن ثيابًا، ولا أطيب أرواحًا منهم، قال: فجاءوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا وبينك؟ قال: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم. فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعنّ هذا الأمر سرًّا، وليكوننّ فيه بلاء؛ قال: فنشر جبريل عليه السلام جناحًا من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يجول بعضهم في بعض، فذلك قول الله: ﴿فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾.

س: اذكر باختصار أمر قوم لوط؟

ج: أوجز الحافظ ابن كثير القول في ذلك فقال:

يقول تعالى مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يهلكْه أمةً من الأمم. فإنه تعالى أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾، وهي: الحجارة، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾، أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسسه سوء.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾، أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به، ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾، وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شباب مرد حسان محنةً من الله بهم، فأضافهم لوط وبعثت امرأته العجوزُ السوءُ إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط - عليه السلام - يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ [هود:٧٨] يعني: نساءهم، ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١] ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ [هود:٧٩]، أي: ليس لنا فيهن إرَبٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩]، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم.

يقال: إنها غارت من وجوههم.

وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾، أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقال السعدي رحمه الله:

أي: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة، التي ما سبقهم بها أحد من العالمين.

فكذبوه، واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف، حين سمع بهم قومه، جاءوا مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم.

فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين.

ونجى الله لوطًا وأهله، من الكرب العظيم، جزاءً لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:١٠] مفهوم ذلك، أنه يسير سهل على المؤمنين.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وكما أنجينا لوطًا ومن معه فدومًا ننجي من شكر نِعَمَنَا عليه، وَحَمِدَنَا على ما مننا به عليه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ يقول: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا.

وأجرى قوله بسحر، لأنه نكرة، وإذا قالوا: فعلت هذا سحر بغير باء لم يجروه.

❁❁❁

س: في كثير من الأحيان يخرج الخبر من حيزّ الخصوص إلى العموم، وذلك لتعميم الأحكام والجزاءات حتى لا تفهم القصص أنها خاصة بمن حدثت لهم، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾. أي: وكما جازينا آل لوط بالإنجاء فكل من شكر نعمنا نجازيه أيضًا.

وقوله تعالى: بعد ذكر نبيين كريمين، يوسف وموسى عليهما السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[الأنعام:٨٤].

وقوله تعالى في شأن نبيه أيوب وما حلَّ به ثم ما مَنَّ الله عليه بها من الشفاء ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٤] أي: ذِكرى يتذكرها العباد.

❁❁❁

س: ما البطشة التي أنذر لوطٌ قومه بها؟

ج: قيل: هي البطشة التي أحلَّها الله عزَّ وجل بمن هم قبل قوم لوط كعادٍ وثمود.

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن البطشة هي طمس أعين فريق منهم، وهم الذين راودوا

لوطًا عليه السلام عن ضيفه فلم يرتدع الباقون، ولم يتوبوا، ولم يقلعوا عن ذنوبهم، بل تمادوا في الغيِّ والضلال.

❀❀❀

س: كيف طُمِست أعينهم؟

ج: قيل: إن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، فذوقوا عذابي الذي حلَّ بكم ونزل عليكم ثم إني جعلتكم عبرةً يعتبر بها غيركم، وموعظةً يتعظ بها غيركم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمثلات.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فقلنا لهم ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر؛ أي: فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط.

❀❀❀

س: لماذا تكرر قوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: قال القرطبي رحمه الله تعالى: العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير العذاب الذي أهلكوا به فلذلك حسن التكرير.

❀❀❀

س: هل النذر يذاق، إذ الله قال: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟

ج: وجه ذلك، والله أعلم، أن الشخص إذا جُعل عبرةً لغيره ومُثِّل به لغيره، فإنه يتألم بذلك التمثيل بلا شك فإن قيل: إنهم قد ماتوا، فجواب ذلك أن العذاب مازال يلازمهم حتى بعد موتهم، سواء في القبر أو في الآخرة والله أعلم.

❀❀❀

س: العذاب إذا حلَّ بالكفار فماتوا تمادى بهم بلا انقطاع دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:٢٥].

قوله تعالى في شأن قوم عاد: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾.

قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

قوله تعالى في شأن قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

❀❀❀

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ
(٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ
(٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
(٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ
سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ
(٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ
صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٤١ـ٥٥].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿آلَ فِرْعَوْنَ - بِآيَاتِنَا - مُّقْتَدِرٍ - أُولَٰئِكُمْ - بَرَاءَةٌ - الزُّبُرِ - نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ - الْجَمْعُ - وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ - السَّاعَةُ - أَدْهَىٰ - وَأَمَرُّ - ضَلَالٍ - وَسُعُرٍ - سَقَرَ - بِقَدَرٍ - إِلَّا وَاحِدَةٌ - أَشْيَاعَكُمْ - الزُّبُرِ - مُّسْتَطَرٌ - وَنَهَرٍ - مَقْعَدِ صِدْقٍ - مَلِيكٍ - مُّقْتَدِرٍ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ آلَ فِرْعَوْنَ ﴾	أتباع فرعون.
﴿بِآيَاتِنَا﴾	بحججنا الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا.
﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾	قادر على فعل ما يشاء، غير عاجزٍ ولا ضعيف. شديدٌ لا يُغلب ـ

	عزيزٌ في نقمته إذا انتقم.
﴿أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾	يعني الكفار الذين ذهبوا ومضوا وهلكوا.
﴿بَرَآءَةٞ﴾	نجاة من النار.
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب المنزلة من عند الله.
﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾	نحن مجتمعون لن نغلب ولن نُهزم، بل سننتصر على من يريد بنا سوءًا.
﴿ٱلۡجَمۡعُ﴾	جمع كفار قريش ـ كفار مكة.
﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾	يفرون (أمام المؤمنين) ويهربون .
﴿ٱلسَّاعَةُ﴾	الساعة التي تقوم فيها القيامة.
﴿أَدۡهَىٰ﴾	أعظم، والداهية هي الأمر العظيم ـ أشق.
﴿وَأَمَرُّ﴾	أشق عليهم من الهزيمة التي هُزموها يوم بدر.
﴿ضَلَٰلٖ﴾	ذهاب عن الحق ـ بُعدٌ عن الحق.
﴿وَسُعُرٖ﴾	احتراق من شدة العناء ـ جنون.
﴿سَقَرَ﴾	جهنم ـ وقيل: اسم باب من أبوابها.
﴿بِقَدَرٖ﴾	بمقدار قدرناه وقضيناه.
﴿إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾	إلا قولةٌ واحدة (كن فيكون) [١] ـ لا مراجعة فيها.
﴿أَشۡيَاعَكُمۡ﴾	أمثالكم وأشباهكم فيما أنتم عليه من الكفر من الأمم الماضية.
﴿ٱلزُّبُرِ﴾	الكتب التي كتبتها الملائكة الحفظة وقيل: المراد (اللوح المحفوظ).
﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾	مُسطرٌ ـ مكتوبٌ ـ محفوظ [٢] .

(١) كقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

(٢) أخرج الطبري بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ قال: مكتوب، وقرأ: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود:٦] وقرأ ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨] إنما هو مفتعل من سطرت: إذا كتبت سطرًا.

﴿وَنَهَرٍ﴾	أنهار، وقيل: (في سعةٍ وضوءٍ يوم القيامة)[١].
﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾	مجلس حقٍ لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة دار كرامة الله عزَّ وجل ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه[٢].
﴿مَلِيكٍ﴾	ذي مُلك ـ الملك العظيم الخالق.
﴿مُقْتَدِرٍ﴾	قادر على فعل ما يشاء.

❀❀❀

س: ما المراد بالنذر التي أتت قوم فرعون؟

ج: هذه النذر نبي الله موسى وأخوه هارون عليهما السلام ومن النذر أيضًا التذكير بمصارع الغابرين ومنها: ما ذكره الله إذ قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[الأعراف:١٣٣].

ومنها ما ذكره الله تعالى إذ قال: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١٣٠] أي: بسنوات الشدة.

ولقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ﴾ [الإسراء:١٠١].

ومن العلماء من قال: النذر موسى وهارون عليهما السلام أما ما ذكر فهو الآيات التي عناها الله بقوله ﴿كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾.

❀❀❀

---

(١) قال الطبري رحمه الله: ووحد النهر في اللفظ ومعناه الجمع كما وحد الدبر ومعناه الأدبار في قوله: ﴿ويولون الدبر﴾.

(٢) وقد أورد بعض المفسرين عند تفسير الآية الكريمة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين».

س: اذكر من الأدلة ما يدل على أن قوم فرعون كذبوا بكل الآيات؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه:٥٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات:٢٠، ٢١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٣-١٤].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أكفاركم يا معشر قريش خير من الكفار السابقين الذين أحللتُ بهم نقمتي وأنزلت بهم عقوبتي، بل كلكم يا أهل الكفر سواء في حلول العقوبات عليكم على كفركم وشرككم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وآل فرعون، فهم يأملون أن ينجوا من عذابي، ونقمي على كفرهم بي، وتكذيبهم رسولي؟ يقول: إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبكم رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفت لكم أمرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾، أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب: أأنتم خير أم أولئك؟

والمفاد: أن قريشًا كانوا لا يتوقعون عذابًا فقيل لهم لِمَ لا تتوقعون هذا العذاب. أأنتم خيرٌ ممن نزل عليهم العذاب، أم أن عندكم كتاب من عند الله مكتوبٌ فيه أن النار لن تمسكم، أو ستنجون من عذاب الله إن أراد بكم العذاب؟

أم أنكم تظنون أنكم ستنصرون ممن يريدكم بسوء ومكروه؟

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها:

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ أي: أم أعطاكم الله عهدًا وميثاقًا، في الكتب التي أنزلها على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ، أنكم الناجون بأخبار الله ووعده؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن، عقلًا وشرعًا، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية، المتضمنة للعدل والحكمة.

فليس من الحكمة، نجاة أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها فأخبر تعالى، أنهم يقولون: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾.

❀❀❀

س: متى هُزِمَ الجمع وولوا الأدبار؟

ج: كانت هذه الهزيمة يوم بدر.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: أيقول هؤلاء الكفار من قريش: نحن جميعٌ منتصر ممن قصدنا بسوءٍ ومكروه، وأراد حربنا وتفريق جمعنا. فقال الله جلّ ثناؤه: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ يعني: جمع كفار قريش ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ يقول: ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه.

وقيل: الدبر فوحَّد والمراد به الجمع كما يقال ضربنا منهم الرأس: أي ضربنا منهم الرءوس؛ إذ كان الواحد يؤدي عن معنى جمعه.

ثم إن الله ـ تعالى ذكره ـ صدّق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدُّبر.

وأورد الطبري جملة آثار عن السلف أن هذا الجمع ـ جمع المشركين ـ هزم يوم بدر وولوا الأدبار.

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: وهو في قُبَّة له يوم بدر: «**أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا**».

فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك. فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

❀❀❀

س: أين نزلت هذه الآيات: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾؟

ج: نزلت بمكة، وذلك لما أخرجه البخاري[1] من حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذِكرُ الجنة والنار، حتى إذا ثاب

---

(١) البخاري (حديث ٤٩٩٣).

الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندَعُ الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لاندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعبُ: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرُّ.

وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السُّور.

❁❁❁

س: هل لذكر السَّحْبِ على الوجه في النار من فائدة؟

ج: نعم ذلك يفيد بيان الإهانة التي يتعرضون لها والذل الذي هم فيه.

قال السعدي رحمه الله:

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ التي هي أشرف ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من غيرها، فيهانون بذلك، ويخزون ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: ذوقوا ألم النار وأسفها، وغيظها ولهبها.

❁❁❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه مسلم[1].

من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

❁❁❁

(١) مسلم (٢٦٥٦).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله سبحانه وتعالى يخبر بأن قدر الأشياء عند خلقها، فهذا ابن آدم له طول معين ولكل عضو من أعضاءه طول مثلًا، فهذا الطول قدَّره الله.

وهذا الماء من السماء لا ينزل إلا بقدر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون:١٨].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر:٢١] وهكذا كل الأشياء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] وكقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:١-٣] أي: قدَّر قدرًا، وهدى الخلائق إليه.

ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفِرْقة القَدَرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة.

قال القرطبي رحمه الله:

الذي عليه أهل السنة أن الله سبحانه قدّر الأشياء؛ أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره؛ كما نص عليه القرآن والسنة، لا كما قالت

القدريّة وغيرهم من أن الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، أن أمر الله لا يرد، بل ينفذ في الحال، وكذا فإذا أراد الله أمرًا نُفِّذ هذا الأمر بقولةٍ واحدة لا تتكرر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ . وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قَدره فيهم، فقال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾، أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعرآء:

إِذَا مَـــا أَرَادَ الله أمْـــرًا فَإِنَّمَـــا يقُـــولُ لَـــهُ: كُـــنْ، قَولَـــةً فَيَكُـــونُ

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ أي: إلا مرةً واحدة.

﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ أي: قضائي في خلْقي أسرع من لَمح البصر.

❁❁❁

س: اذكر بعض ما يدل على أن الأمور مقدرة؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [الحشر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٨] .

ونحوها من الآيات التي ذُكر فيها أن الأمور مقدرة مكتوبة.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وقوله ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[١] .

وقوله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[٢] .

وقول آدم عليه السلام لموسى عليه السلام: «أتلومني على أمرٍ قد قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلق»[٣].

وقوله ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة...»[٤].

وقوله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[٥] .

وقوله ﷺ[٦] «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

---

(١) مسلم (٢٦٥٥).
(٢) مسلم (٢٦٥٣).
(٣) البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).
(٤) البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).
مسلم (حديث ٨).
(٦) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

وقول النبي ﷺ(١) : «**وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا و كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل**» والأحاديث في هذا كثيرة جدًا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾؟

ج: هذا والله أعلم يحتمل معنيين:

أحدهما: وكل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة الكتبة عليهم السلام.

الثانية: وكل شيء فعله الناس مكتوب عليهم اللوح المحفوظ قبل أن يفعلوه.

قال الشنقيطي «في أضواء البيان»:

الصحيح في معنى الآية أن كل شيء فعله الناس مكتوب عليهم في الزبر، التي هي صحف الأعمال، وكل صغير و كبير مستطر، أي: مكتوب عليهم لا يترك منه شيء.

وهذا المعنى جاء موضحًا في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف:٤٩] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

والزبر: جمع زبور، وهو الكتاب. والمستطر معناه المسطور، أي: المكتوب، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

❁❁❁

(١) مسلم (٢٦٦٤).

س: اذكر ما يدل على أن الأعمال تكتب وتُسطر على ابن آدم؟

ج: على ذلك جملة أدلة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩].

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار اليانعة، والأنهار الجارية، والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيقة، والمآكل والمشارب اللذيذة والحور الحسان، والروضات البهية في الجنان ورضا الملك الديان، والفوز بقربه، ولهذا قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .

فلا تسأل بعد هذا، عما يعطيهم ربهم من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته.

جعلنا الله منهم، ولا حرمنا خير ما عنده، بشر ما عندنا.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾.

أي: في جنات وأنهار كما أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد:١٢].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

❀❀❀

تفسير سورة الرحمن

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا
تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ
ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾
خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن
نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ
عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

س : وضّح معنى مايلي :

(ٱلۡبَيَانَ - بِحُسۡبَانٖ - وَٱلنَّجۡمُ - ٱلۡمِيزَانَ - أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ - وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ - وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ - وَضَعَهَا - لِلۡأَنَامِ - ٱلۡأَكۡمَامِ - وَٱلۡحَبُّ - ذُو ٱلۡعَصۡفِ - وَٱلرَّيۡحَانُ - ءَالَآءِ - صَلۡصَٰلٖ - مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ - مَرَجَ - بَرۡزَخٞ - لَّا يَبۡغِيَانِ - ٱللُّؤۡلُؤُ - وَٱلۡمَرۡجَانُ - ٱلۡجَوَارِ - ٱلۡمُنشَـَٔاتُ - كَٱلۡأَعۡلَٰمِ - فَانٖ - ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) .

ج :

الكلمة	معناها
﴿ٱلْبَيَانَ﴾	بيان الحلال والحرام ، بيان الخير والشر بيان ما يفعل وما يترك ـ الكلام ـ النطق [١] ـ وقيل من البيان أيضًا تعليم الكتابة .
﴿بِحُسْبَانٍ﴾	بحساب ومنازل لهما يجريان ولايعدوانها يمشيان في مسارات لا يتخطيانها ـ بحساب وأجل [٢] يمشيان بأجل ، ويسيران إلى أجل لا يتعدياه .
﴿وَٱلنَّجْمُ﴾	قيل : النجم الذي في السماء [٣] ـ وقيل : النبات الذي ليس له ساق [٤] ، والشجر ماله ساق .
﴿ٱلْمِيزَانَ﴾	العدل بين الخلق [٥]
﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾	لا تتجاوزوا الحد ـ لا تظلموا ولا تبخسوا .
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾	أقيموا لسان الميزان بالعدل .

---

(١) وهذا اختيار الحافظ ابن كثير فقال : هذا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها

(٢) الطبري (٢٣٨٦٢) بإسنادٍ حسن عن قتادة .

(٣) بإسناد حسن عن قتادة عند الطبري (٣٢٨٧٤)

(٤) هذا اختيار الطبري فقد قال :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عُنِي بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه ، فكان بأن يكون معناه لذلك : ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله ، بمعنى : أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه ، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره . وأما قوله ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل .

وهذا ، وإن رجحه الطبري لا يمنع من كون النجوم تسجد لله ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ [الحج:١٨].

(٥) كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾	ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس ولاتظلموهم .
﴿وَضَعَهَا﴾	وطأها ـ سهلها ـ بسطها .
﴿لِلْأَنَامِ﴾	للخلق ـ كل شيء فيه روح ـ للإنس والجن .
﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾	الليف الذي يكون عليها ـ الرُّفات ـ الطلع المتكمم في كمامه [١] .
﴿وَٱلْحَبُّ﴾	حب الشعير ، وحب البُر .
﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾	ذو الورق ومنه(فجعلهم كعصف مأكول) ، وقيل: ذو التبن، وهو ورق الزرع الأخضر [٢] إذا يبس . وقيل: العصف هو الحب نفسه .
﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾	الرزق [٣]ـ وقيل: الريحان الذي يشمُّ [٤]وقيل: خضرة الزرع .
﴿ءَالَآءِ﴾	نِعم
﴿صَلْصَـٰلٍ﴾	الصلصال الطين الذي لم يطبخ (أي: لم يدخل النار) وأطلق عليه

(١)أورد الطبري بإسناد صحيح(٣٢٩٠٣) عن ابن زيد قال :
في قوله : ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ وقيل له : هو الطلع ؟ قال نعم ، وهو في كم منه حتى ينفتق عنه ؛ قال : والحبّ أيضًا في أكمام . وقرأ ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : ٤٧] .
قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام ، وهي متكممة في ليفها ، وطلعها متكمم في جُفِّهِ ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفه ، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام.

(٢)قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :
ومعنى هذا ، والله أعلم ، أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف ، وهو ما على السنبلة، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها .

(٣) ومنه الحديث عن الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقول النبي ﷺ فيهما: «هما ريحانتان من الدنيا» ، وقال الطبري : وأولى الأقوال قول من قال عُني به الرزق ، وهو الحب الذي يؤكل منه .

(٤)وفي الحديث: من عُرض عليه ريحان فلا يردّه .

(٥)قال الطبري رحمه الله : فإنه من يبسه له صلصلة إذا حُرِّك ونقر كالفخار يعني أنه من يبسه ، وإن لم يكن مطبوخًا كالذي قد طبخ بالنار فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار هو الذي قد طبخ من الطين

	صلصال لسماع صلصلةٍ له إذا احتك ببعضه (٥) ، وقيل: الصلصال التراب المدقق وقيل: ما عُصر فخرج من بين الأصابع .
﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾	الطين الذي أدخل النار .
﴿مَّارِجٍ﴾	المارج المختلط بعضه ببعض (١) والمارج من النار هو النار التي اختلط بعضها ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر ، من قولهم: مرج أمر القوم إذا اختلط . وقيل: المارج من النار هو طرف النار ولسانها وهذا اللهب من أحسن النار وأخلصها وأصفاها .
﴿مَرَجَ﴾	أرسل ـ خلّى ـ أهمل .
﴿بَرْزَخٌ﴾	حاجز .
﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾	لا يبغي أحدهما على الآخر ـ لا يختلطان (٢) لا يبغيان على اليبس .
﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾	ما عَظُم من الدُّر (الدر الكبير)
﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾	ما صغر من الدر . وقيل: المرجان أجود اللؤلؤ وقيل: المرجان حجرٌ ، وقيل: نوع من الجواهر أحمر اللون .
﴿ٱلْجَوَارِ﴾	السفن العظيمة الجارية في البحار .
﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾	الظاهرات في مسيرها ، السائرات مرفوعات القلاع، وقيل: المنشآت يعني المخلوقات للجري .
﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾	كالجبال الطويلة .
﴿فَانٍ﴾	هالك .

بالنار .
(١) وفي الحديث: «مرجت عهودهم».
(٢) قال القرطبي رحمه الله : وقيل: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة أي: بينهما مدةٌ قدَّرها الله ، وهي مدة الدنيا فيها لايبغيان ، فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئًا واحدًا ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار:٣].

﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾	قيل: ذو العظمة والكبرياء ـ صاحب الجلال (أهلٌ لأن يُجلّ فلا يُعصَ، وأن يُطاع فلا يُخالف فالجلال اسمٌ من جلّ أي: عَظُم ، ومنه أجللته أي: عَظَّمته .
﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾	الإكرام عما لا يليق به من الشرك ـ أهلٌ لأن يكرم عما يليق به .

❀❀❀

س: اذكر إجمالًا ما تضمنته هذه السورة المباركة .

ج : افتتحت هذه السورة المباركة بالتذكير بـ (اسم الله) الرحمن ، ثم ببيان بعض منته ونعمه على خلقه ومن أعظمها تعليمه القرآن ثم ببيان سائر النعم والمنن وإشارة إلى قدرة الله عزَّ وجلَّ على الخلق ، والتذكير بأن الخلق سيفنى ، ويبقى وجه ربنا عزَّ وجلَّ ذو الجلال والإكرام .

ثم يبين في السورة الكريمة ضعف الإنسان وكذا الجآن وعجزهما عن الخروج عن سلطان الله وملكه ثم بيان سريع لبعض العقوبات التي يُعاقب بها المجرمون ، ثم بيانٌ لبعض ما أعده الله عزَّ وجلَّ من فسيح الجنان لأهل الإيمان ، للمقربين الذين هم في الدرجات العلى ثم الذين يلونهم وهم أصحاب اليمين، جعلنا الله والقارئين من السابقين المقربين. والحمد لله رب العالمين.

❀❀❀

س : اذكر بعض الوارد في اسم الله الرحمن.

ج : وردت في هذا الاسم جملة من الآيات والأحاديث ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥] . وقال تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وقال تعالى : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ: « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبد الرحمن»[١] .

س: هناك من أهل الشرك من كان يثبت اسم (الرحمن) لله عزَّ وجلَّ ومنهم من كان ينكره ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج : أما الذين أنكروه، فقد قال تعالى في شأنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠].

ومن ذلك أيضًا قول سهيل بن عمرو ـ يوم الحديبية ، وكان يومها كافرـ لرسول الله ﷺ لما قال رسول الله ﷺ: «اكتب باسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما (الرحمن) فوالله ماأدري ما هي [٢].

أما الذين أثبتوه ، فقد قال تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ .

❀❀❀

س: ما وجه التذكير باسم الله (الرحمن) في هذا المقام ؟

ج : قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره : الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن . فأنعم بذلك عليكم ، إذ بصَّركم به ما فيه رضا ربكم ، وعرّفكم ما فيه سخطه ، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم ، وعملكم بها أمركم به ، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم ، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه ، وتنجوا من أليم عقابه .

قال القرطبي رحمه الله:

فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الأسماء ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله ومن ملكه وقدرته خرج إليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾.

---

(١) مسلم (٢١٣٢)

(٢) البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) وانظر مسلم كذلك (١٢ / ١٣٨ مع النووي) .

وقال السعدي رحمه الله:

هذه السورة الكريمة الجليلة ، افتتحها باسمه « الرحمن » الدال على سعة رحمته ، وعموم إحسانه ، وجزيل بره وواسع فضله . ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها ، الذي أوصله الله إلى عباده، من النعم الدينية والدنيوية والأخروية .

❀❀❀

س : قوله تعالى: ﴿علَّم القرآن﴾ فيه ردٌّ على الكفار وضّح هذا الرد.

ج : هذا الرد يتمثل في نفي التهمة عن رسول الله ﷺ فقد كان الكفار يزعمون أن هذا القرآن من تعليم بشرٍ للنبي محمد ﷺ ، ويقول : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

فمن ثمَّ قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ .

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : « في كتابه أضواء البيان »:

وقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾:

أي: علَّم نبيه ﷺ القرآن فتلقته أمته عنه ، وهذه الآية الكريمة تتضمن رد الله على الكفار في قولهم: إنه تعلم هذا القرآن من بشر كما تقدم في قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يرويه محمد عن غيره.

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٤ ـ ٥].

فقوله تعالى هنا ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: ليس الأمر كما ذكرتم من أنه تعلم القرآن من بشر ، بل الرحمن جل وعلا هو الذي علمه إياه ، والآيات الدالة على هذا كثيرة جدًّا ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١].

وقوله تعالى : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فُصِّلَت:١ ـ ٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢] .

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه:١١٣].

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣] .

وقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧ ـ ١٨] .

وقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] .

وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:٣].

وقوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣] ومن أعظم ذلك هذا القرآن العظيم .

❀❀❀

س : ذكر بعض أهل العلم أن أول المُفصل في مصحف ابن مسعود (سورة الرحمن) اذكر ما يدل لهم على ذلك .

ج : الدليل على ذلك ما أخرجه [1] أحمد بسندٍ حسن عن زرٍّ أن رجلًا قال لابن مسعود : كيف تعرف هذا الحرف : (ماء غير ياسن) أو آسن ؟ فقال : كل القرآن قد قرأتُ . قال : إني لأقرأ المفصل أجمعُ في ركعة واحدة . فقال : أهذا كهذا الشعر . لا أبًا لك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقْرُنُ قرينتين قرينتين من أول المُفصل ،

---

(١) أحمد (١ / ٤١٢) .

وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

❁❁❁

س : قوله تعالى : (علَّم القرآن) علَّم من ؟ وما المراد بقوله : ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؟

ج : علَّم من شاء من خلقه.

وقوله علَّم القرآن أي: سهله لأن يُذكر ويُقرأ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] .

قال السعدي رحِمه الله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: علم عباده ، ألفاظه ومعانيه، ويسرها على عباده . وهذا أعظم منة ورحمة ، رحم بها العباد، حيث أنزل عليهم قرآنًا عربيًّا، بأحسن الألفاظ ، وأوضح المعاني، مشتمل على كل خيرٍ زاجر عن كل شر.

❁❁❁

س : من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ؟

ج : قيل: المراد بالإنسان آدم عليه السلام وقيل: المراد الناس عمومًا .

قال الطبري رحِمه الله: والقولان كلاهما غير بعيدٍ عن الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما .

❁❁❁

س : اذكر أطوار خلق الإنسان .

ج : اتضحت تلك الأطوار من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢ـ١٤].

فبين الله عزَّ وجلَّ أصل خلق الإنسان ، وهو آدم عليه السلام ثم خلق سائر الخلق .

❁❁❁

س : هل من وجهٍ للتذكير بقوله تعالى :﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ عقب قوله : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾؟

ج : نعم ، وجه ذلك نهي الإنسان الذي خلقه الله عن الجدل في آيات الله، والإلحاد في أسماء الله. فأنت أيها الإنسان قد خلقك الله عزَّ وجلَّ وسوَّاك ثم علمك النطق شيئًا فشيئًا ثم لما اكتمل معك النطق إذا أنت تخاصم وتجادل أفلا ذكرت خلقك وأصل منشئك قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:٤] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:٧٧].

❀❀❀

س : اذكر بعض صور البيان .

ج : من صور البيان بيان باللسان ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد:٨]، ومنه بيان بالقلم (أي: بالكتاب) قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ [العلق:١ ـ ٤].

ومنه بيان بالإشارة ، قال تعالى: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران:٤١].

وقال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم:٢٩].

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى:﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾.

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ ، أي : يجريان متعاقبين بحساب مُقَنَّن لا يختلف ولا يضطرب، ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس:٤٠] وقال تعالى : ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام:٩٦].

❀❀❀

س: كيف يسجد النجم؟ وكيف يسجد الشجر ؟

ج : قيل: ذلك سجود لا يعلم كيفيته إلا الله، كما قال تعالى : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

وقيل: الذي يسجد ظلهما، كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥] أي: وظلالهم تسجد .

قال الطبري رحمه الله:

وأما قوله: ﴿يَسْجُدَانِ﴾ فإنه عُني به سجود ظلهما ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥].

❀❀❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ .

ج : **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:** أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل .

أما السعدي رحمه الله فقال : ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي : العدل بين العباد ، في الأقوال والأفعال . وليس المراد به ، الميزان المعروف وحده ، بل هو كما ذكرنا ، يدخل فيه الميزان المعروف، والمكيال الذي تكال به الأشياء، والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات ، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات ويقام بها العدل بينهم.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِي ٱلْمِيزَانِ ﴾ .

ج : قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها :

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِي ٱلْمِيزَانِ ﴾ أي : أنزل الله الميزان ، لئلا تتجاوزوا الحد في الحقوق والأمور . فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم لحصل من الخلل ما الله به عليم . ولفسدت السموات والأرض ومن فيهن .

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ، أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومَهَدها، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات ، لتستقر لما على وجهها من الأنام ، وهم : الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها .

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾.

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ : أفرده بالذكر لشرفه ونفعه ، رطبًا ويابسًا . والأكمام

قال ابن جريج: عن ابن عباس ـ: هي أوعية الطلع .

وهكذا قال غير واحد من المفسرين ، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود ، فيكون بسرًا ، ثم رطبًا ، ثم ينضج ويتناهى نفعه واستواؤه .

قال السعدي رحمه الله :

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ : أي: ذات الوعاء ، الذي ينفلق عن القنوان ، التي تخرج شيئًا فشيئًا حتى تتم ، فتكون قوتا يدخر، ويؤكل ، ويتزود منه المقيم والمسافر ، وفاكهة لذيذة من أحسن الفواكه .

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى الريحان .

ج : قال السعدي رحمه الله :

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ يحتمل أن المراد به جميع الأرزاق التي يأكلها الآدميون . فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص ، ويكون الله، قد امتن على عباده بالقوت

والرزق، عمومًا وخصوصًا . ويحتمل أن المراد بالريحان المعروف ، وأن الله امتن على عباده ، بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة ،والمشام الفاخرة ، التي تسر الأرواح ، وتنشرح لها النفوس .

❀❀❀

س : اذكر بعض ما ورد في الريحان من السنة .

ج : من ذلك مايلي :

قول النبي ﷺ :« **مثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ** [١] » . وقول النبي ﷺ : «**من عُرض عليه ريحان فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل** [٢] ». وقول النبي ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما: «**هما ريحانتان من الدنيا**» [٣].

❀❀❀

س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، أي : فبأي الآلاء ـ يامعشر الثقلين ، من الإنس والجن ـ تكذبان ؟ قاله مجاهد ، وغير واحد . ويدل عليه السياق بعده ، أي : النِّعَمُ ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها ، لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها ، فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون : اللَّهم ؛ ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد. وكان ابن عباس يقول : لا بأيها يارب . أي : لانكذب بشيء منها .

❀❀❀

(١) البخاري (حديث ٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧).
(٢) مسلم (حديث ٢٢٥٣)
(٣) البخاري (٥٩٩٤)

س : هل ورد عن رسول الله ﷺ ذِكرٌ يقال عند تلاوة أو سماع قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

ج : لا أعلم في ذلك خبرًا ثابتًا عن رسول الله ﷺ وقد ورد عن ابن عباس عند الطبري من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال : لا بأيتها يارب [1]

وأخرج الطبري بسنده إلى عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال :

إن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن ، أو قُرئت عنده ، فقال : « ما لِي أسمع الجن أحسن جوابًا لربها منكم »؟ قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « ما أتيت على قول الله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلَّا قالت الجن : لا بشيء من نعمة ربنا نكذب » .

وأخرج الترمذي من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ:

عن جابر؛ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم : «سورة الرحمن»، من أولها إلى أخرها، فسكتوا فقال : « **لقد قرأتها على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مَردُودًا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قالوا: لا بشيء من نعمك ـ رَبَّنا ـ نكذب، فلك الحمد**».

❀❀❀

س: لماذا ثنى الخطاب في قوله تعالى : ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟

ج: قيل: لأن الخطاب موجه للجن والإنس [2] .

قال الطبري رحمه الله:

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فخاطب اثنين ، وإنما ذكر في أول الكلام واحد، وهو الإنسان ؟ قيل : عاد بالخطاب في قوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلى الإنسان والجانّ.

---

(١) الطبري (٣٢٩٢٨) .

(٢) روى الطبري (٣٢٩٣٠) بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول للجن والإنس . بأي نعم الله تكذبان؟

ويدلّ على أن ذلك كذلك ما بعد هذا الكلام ، وهو قوله : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ .

وقد قيل : إنما جعل الكلام خطابًا لاثنين ، وقد ابتدئ الخبر عن واحد ، لما قد جرى من فعل العرب ، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الإثنين، فيقولون : خلياها ياغلام ، وما أشبه ذلك مما قد بيناه في كتابنا هذا في غير موضع .

❀❀❀

س: من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾؟

ج : قال الطبري رحمه الله:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ باتفاق من أهل التأويل يعني: آدم عليه السلام .

❀❀❀

س : لماذا وصف الصلصال بأنه كالفخار ؟

ج : قال الطبري رحمه الله :

فإنه من يبسه له صلصلة إذا حُرِّك ونقر كالفخار .

❀❀❀

س: استدل بعض العلماء على فضيلة آدم على الحجة بهاتين الآيتين : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ...﴾ ما وجه الدلالة في ذلك ؟

ج : وجه الدلالة عند من ذهبوا إلى ذلك أن الطين أفضل من النار .

قال السعدي رحمه الله : ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ أي : من لهب النار الصافي ، أو الذي قد خالطه الدخان . هذا يدل على شرف عنصر الآدمي المخلوق من الطين والتراب ، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع . بخلاف عنصر الجان ، وهو النار ، التي هي محل الخفة والطيش ، والشر والفساد .

❀❀❀

س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ وبين ما ورد من خلق الإنسان من طين لازب ومن حمأ مسنون ؟

ج : وجه الجمع بأن يقال: هذه مراحل الطين ، فالتراب يخلط بالماء فيصبح طينًا ثم يترك فيصبح طينًا لازبًا أي منتنًا متغيرًا ثم يترك فينشف ويتجمد ويصبح كالفخار والله أعلم .

وأحب أن أنقل هنا ما أورده الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى : «في أضواء البيان» إذ قال :

الصلصال : الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة ، أي: صوت إذا قرع بشيء ، وقيل: الصلصال المنتن ، والفخار الطين المطبوخ ، وهذه الآية بيَّن الله فيها طورًا من أطوار التراب الذي خلق منه آدم ، فبين في آيات أنه خلقه من تراب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج:٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم:٢٠]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [غافر:٦٧] وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه:٥٥].

وقد بينا في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وقوله : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها ، لأنه أصلهم وهم فروعه ، ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالماء فصار طينًا ، ولذا قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] وقال تعالى : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]. وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ﴾ [الصافات:١١]. وقال تعالى : ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١] .

ثم خمر هذا الطين فصار حمأً مسنونًا ، أي طينًا أسود متغير الريح ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦] الآية .

قال تعالى: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ .

وقال عن إبليس : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحِجر:٣٣] والمسنون قيل: المتغير وقيل: المصور وقيل: الأملس، ثم يبس هذا الطين فصار صلصالا. كما قال هنا : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ وقال : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.

فالآيات يصدق بعضها بعضًا، ويتبين فيها أطوار ذلك التراب كما لا يخفى .

❀❀❀

س: اذكر ما ورد من الحديث عن رسول الله ﷺ في شأن خلق آدم عليه السلام.

ج : من ذلك مايلي :

قول رسول الله ﷺ : «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجآن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم**» [١]. ومن ذلك قوله ﷺ : « **خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا...** » [٢]. وقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وتقدمت بعض الأمور المتعلقة به وذُكر ﷺ في سورة البقرة.

❀❀❀

س : ما المراد بالجآن الذي خلق من مارج من نار ؟

ج : قال بعض العلماء: هو إبليس ، وقال آخرون: إبليس وذريته وهو الصواب، والله أعلم .

❀❀❀

س: في بعض الآيات ذكرت المشارق ، وفي بعضها ذُكر المشرقين وفي أخرى ذكر المشرق فما المعنى ؟ وما المراد ؟

ج : ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالمشرق والمغرب مشرق الشمس ومغربها.

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٩٦).

(٢) البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) .

والمشرقين والمغربين للشمس والقمر.

والمشارق والمغارب للشمس والقمر والنجوم.

وقال آخرون: تلك مشارق الشمس ومغاربها ففي كل يوم تشرق من مشرق غير الذي أشرقت منه وكذا الغروب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾، يعني مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء.

وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠]، وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس.

وقال في الآية الأخرى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزّمل:٩]، وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب.

❀❀❀

س: ما المراد بالمشرقين والمغربين؟

ج: قال بعض أهل العلم: مشرق الشمس في الشتاء ومشرقها في الصيف.

ومغرب الشمس في الشتاء ومغربها في الصيف.

❀❀❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في هذا المقام.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأي نعم ربكما معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التي أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم في هذين المشرقين والمغربين تجري لكما دائبة بمرافقكما، ومصالح دنياكما ومعايشكما تكذبان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

❀❀❀

س: ما المراد بالبحرين ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : بحر في السماء ، وبحر في الأرض يلتقيان (والله أعلم أين يلتقيان؟) .

الثاني : أن المراد بحر فارس والروم .

الثالث : البحر المالح والنهر العذب ، وأطلق البحر على النهر تغليبًا، واختار ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ الرأي الأول .

لكن تعقبه الحافظ ابن كثير بقوله :

والمراد بقوله : ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: الملح والحلو ، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس. وقد قدمنا الكلام على ذلك في « سورة الفرقان » عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان:٥٣]. وقد اختار ابن جرير هاهنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض. وهو يروى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، وابن أبزى.

قال ابن جرير : لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض.

وهذا وإن كان هكذا ليس المراد ما ذهب إليه ؛ فإنه لايساعده اللفظ ، فإنه تعالى قد قال : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ، أي : وجعل بينهما برزخًا ، وهو : الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا على هذا ، وهذا على هذا ، فيُفسد كل واحد منهما الآخر ، ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخًا وحجرًا محجورًا .

❀❀❀

س : ما المراد بالبرزخ ؟

ج : البرزخ: هو الحاجز ، وقيل: المراد به هذه الأرض التي بين البحرين ، قال نحوه قتادة [1].

(١)أخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: والبرزخ هذه الجزيرة ، هذا اليبس .

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : بينهما حاجز وبعدٌ ، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغي بذلك عليه . وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ .

ونقل قول من قال: لا يبغيان على اليبس .

وقول آخرين : لا يبغيان أن يلتقيا .

ثم قال وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان ، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء ، بل عمّ الخبر عنهما بذلك ، فالصواب أن يعَمَّ كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : إنهما لا يبغيان على شيء ، ولا يبغي أحدهما على صاحبه ، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما ؟

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس تكذّبان من هذه النعم التي أنعم عليكم من مَرْجه البحرين ، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك .

❀❀❀

س: كيف قيل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، وقد ذكر البعض أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من المالح فقط؟!

ج : أولًا ذهب بعض أهل العلم إلى أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من العذب والمالح، وإن لم يكتشف الناس ذلك الآن.

أما الذين ذهبوا إلى أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من المالح فقط ، فقد أجابوا على ذلك بما حاصله أن هذا الإطلاق في قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ إطلاق أغلبي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ، أي : من مجموعهما ، فإذا وُجِدَ ذلك لأحدهما كفى، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠]. والرسل إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن ، وقد صح هذا الإطلاق .

وقال أيضًا : وأما قوله : ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:١٢] فاللحم من كلٍّ من الأجاج والعذب ، والحلية إنما هي من الملح دون العذب.

قال الشنقيطي رحمه الله : اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن المراد بقوله في هذه الآية يخرج منهما أي: من مجموعهما الصادق بالبحر الملح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب. وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه ، لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر ، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر:١٢] فالتنوين في قوله: من كل تنوين عوض أي: من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان ، وهذا مما لا نزاع فيه.

وقد أوضحنا هذا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠] الآية واللؤلؤ الدر ، والمرجان الخرز الأحمر . وقال بعضهم : المرجّان صغار الدر واللؤلؤ كباره.

❀❀❀

س : وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعمها عليكم بإجرائه الجواري المنشآت في البحر جارية بمنافعكم تكذّبان.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ يعني : السفن التي تجري في البحر ، قال مجاهد : ما رفع قلعه من السفن فهي مُنْشأة ، وما لم يرفع قلعه

فليس بمنشأة . وقال قتادة : ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ : يعني المخلوقات . وقال غيره : المنشآت ـ بكسر الشين ـ : يعني البادئات.

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ ، أي : كالجبال في كبرها ، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم ، مما فيه صلاح للناس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ، ولهذا قال : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

❀❀❀

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله: كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك .

قلت : ومن المعنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

❀❀❀

س : اذكر بعض الفوائد من الإخبار بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ .

ج : في ذلك من الفوائد ما يلي:

ـ الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بما فيها ، وذلك لكونها زائلةٌ وفانية .

ـ الصبر على الضرّ في الأبدان والأموال والأولاد .

ـ الحث على فعل الباقيات الصالحات ، والحث على العبادة عمومًا

ـ الحث على التوحيد وإخلاص العمل لله ، فكل ما خلا الله باطل وهذه الآلهة المعبودة مع الله عزَّ وجل ستزول وتنتهي وتفنى .

❀❀❀

س : قوله تعالى : ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ **هل هي وصف للوجه أم ماذا ؟**

ج : نعم هي هنا وصف للوجه ، فلذلك قيل (ذو)..

. **وبنحوه قال الطبري :** قال : وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه ، فلذلك رفع (ذو).

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨].

وكقوله إخبارًا عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٩].

قال السعدي رحمه الله: ويبقى الحي الذي لا يموت: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي: ذو العظمة والكبرياء، والمجد الذي يعظم ويُبجل، ويُجل لأجله.

والإكرام، الذي هو سعة الفضل، والجود، الذي يكرم أولياءه، وخواصِ خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه.

❀❀❀

س: ما مدى صحة هذا الحديث: «ألظّوا بـ: يا ذا الجلال والإكرام»؟[1] **وما معناه؟**

ج: الحديث ثابت صحيح.

ومعنى ألظوا أي: ألحُّوا، والإلظاظ الإلحاح والمعنى: قولوا داعين الله، وسائلين: ياذا الجلال والإكرام. والله أعلم.

❀❀❀

س: وضح وجه إيراد قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ **عقب قوله:** ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ...﴾

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة، فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

❀❀❀

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أحمد (٤ / ١٧٧) وغيره. وانظر كذلك الترمذي (٣٥٢٣).

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ
ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ
(٣٣) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ
(٣٥) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
(٣٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩)
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى
وَٱلْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣)
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

س : وضح معنى ما يلي :
(﴿سَنَفْرُغُ ـ ٱلثَّقَلَانِ ـ يَـٰمَعْشَرَ ـ أَقْطَارِ ـ بِسُلْطَـٰنٍ ـ شُوَاظٌ ـ وَنُحَاسٌ ـ فَلَا تَنتَصِرَانِ ـ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ـ بِسِيمَـٰهُمْ ـ بِٱلنَّوَٰصِى ـ وَٱلْأَقْدَامِ ـ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا ـ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾)

ج :

الكلمة	معناها
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾	سنحاسبكم.
﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾	الجن والإنس.
﴿يَـٰمَعْشَرَ﴾	المعشر؛ أي : الأهل، الجماعة، القوم.وقيل: كل جماعة أمرهم واحد.

﴿أَقْطَارِ﴾	أطراف
﴿بِسُلْطَانٍ﴾	بحجةٍ ـ ببينةٍ ـ مُلك
﴿شُوَاظٌ﴾	لهبٌ ، وقيل: هو اللهب الأخضر المتقطع.
﴿وَنُحَاسٌ﴾	وقيل: النحاس المعروف (يصهر ويصب فوق الرءوس) ـ وقيل: الدخان .
﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾	فلا تستنقذان .
﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	وردةً كلون الدهن ـ مشرقة لونها صافية يتغير لونها كما يتغير لون الدهن إذا سخُن .
﴿بِسِيمَاهُمْ﴾	بعلاماتهم.
﴿بِالنَّوَاصِي﴾	جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس (شعر الرأس) .
﴿وَالْأَقْدَامِ﴾	جمع قدم.
﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾	أي تارة يُعَذَّبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم.
﴿حَمِيمٍ آنٍ﴾	ماء سُخِّن وبلغ منتهى الغليان ، وبلغ أعلى درجات غليانه ـ بلغ نضجه واستواءه [1] ـ. وقيل: آن بمعنى حاضر مُعدٌّ جاهز.

❀❀❀

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

ج : المعنى، والله تعالى أعلم أن كلَّ من في السموات والأرض من إنسٍ وجنٍ وملائكة ، وسائر المخلوقات من دواب وطيور وحشرات وحيتان ، وسباع ، وكل ماله نفس يسأل ربه أن يقضي حاجته لا يستغنون عنه، بل كلهم في احتياج إليه، وهو يسمعهم جميعًا ويجيبهم إن شاء، ويقضي حاجة من أراد أن يقضي حاجته ، لا يملُّ من

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: غير منتظرين نضجه واستواءه .

سؤالهم ولا يعجز عن إجابة دعائهم .

وهذا بلا شك دالٌ على عظمة الله عزَّ وجل وقدرته وكرمه وواسع عطائه ، ودالٌّ على احتياج العباد إليه . فالفقير يسأله سعة الرزق ، والمريض يسأله العافية والشفاء ، والمبتلى يسأله العافية ، وذو الحاجة يسأله قضاء حاجته .

قال السعدي رحمه الله :

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يغني فقيرًا ، ويجبر كسيرًا ، ويعطي قومًا ، ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين . فسبحان الكريم الوهاب ، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسموات . وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات . وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه .

وهذه الشئون التي أخبر أنه كل يوم هو في شأن ، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها ، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها ، التي اقتضتها حكمته . وهي أحكامه الدينية ، التي هي الأمر والنهي . والقدرية ، التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار . حتى إذا تمت هذه الخليقة وأفناهم الله تعالى، وأراد أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء ، ويريهم من عدله وفضله ، وكثرة إحسانه ، ما به يعرفونه ، ويوحدونه ، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان ، إلى دار الحيوان .

❀❀❀

س : ما الذي يسأله أهل السموات ربهم عزَّ وجل ؟

ج : قال بعض أهل العلم: أهل السموات يسألون ربهم المغفرة والعون على العبادة ، ويسألونه أيضًا للصالحين من بني آدم المغفرة ، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا

وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر:٧-٩]. وكذلك يسألونه كلَّ ما يحتاجون إليه.

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

ج : **قال كثير من العلماء:** أي: في تدبير شئون خلقه ، يفرج كرب ذي الكرب، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين يفك عانيًا (أي: أسيرًا وسجينًا) ويجيب داعيًا ومضطرًا ، يحيي ويميت ـ يعز ويذل ، يرفع ويخفض ـ يهين ويكرم.

أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يُحيي حَيًّا، ويُميت ميتًا ويربي صغيرًا ، ويذلّ كبيرًا ، وهو مَسْأل حاجات الصالحين ، ومنتهى شكواهم ، وصريخ الأخيار .

❁❁❁

س : ما مدى صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قالوا يا رسول الله ، وما ذلك الشأن قال : « يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع أقوامًا ويخفض آخرين» ؟

ج : أخرج ذلك الطبري [١] في تفسيره من طريق عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا : يا رسول الله، وما ذلك الشأن ؟ قال : « يغْفِرُ ذَنْبًا ، وَيفَرِّجُ كَرْبًا ، وَيرْفَعُ أَقْوَامًا ، وَيضَعُ آخَرِينَ» [٢] .

❁❁❁

---

(١) الطبري (٣٣٠١٢).
(٢) إسناده ضعيف جدًا .

س: كيف قيل يرفع أقوامًا ويخفض آخرين ، وقد قُدِّرت المقادير من قبل ؟

ج : قيل في الإجابة على ذلك أنه سبحانه قدر الأمور من قبل بلا شك ، ولكن يفعل ما قدره في الوقت الذي أراد فيه وقوع الشيء ، والله أعلم .

❀❀❀

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الوارد عقب قوله : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى :

وقوله : ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره : فبأي نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس التي أنعم عليكم من صرفه إياكم في مصالحكم ، وما هو أعلم به منكم من تقليبه إياكم فيما هو أنفع لكم تكذبان .

❀❀❀

س: هل هناك قراءات في قوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾؟

ج : هناك قراءتان ، ذكرهما العلماء **إحداهما** (سَنَفْرُغُ) **والأخرى** (سَيفْرُغُ) أي: إحداهما بالنون ، والأخرى بالياء .

قال الطبري رحمه الله :

اختلفت القرّاء في قراءة قوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ بالنون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة « سَيفْرُغُ لَكُمْ » بالياء وفتحها ردًّا على قوله : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يقل : يسألنا من في السموات، فأتبعوا الخبر الخبر .

والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

❀❀❀

س : هل الله عزَّ وجل مشغول عن خلقه حتى قيل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾؟

ج : ورد بسندٍ(١) فيه ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ قال: وعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغلٌ ، وهو فارغ .

أما الطبري رحمه الله تعالى فقد قال :

وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدّد ، كقول القائل الذي يتهدّد غيره ويتوعده ، ولا شغل له يشغله عن عقابه: لأتفرغن لك، وسأتفرّغ لك، بمعنى: سأجدّ في أمرك وأعاقبك، وقد يقول القائل الذي لا شغل له: قد فرغت لي، وقد فرغت لشتمي، أي: أخذت فيه وأقبلت عليه، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنحاسبكم ، ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجنّ ، فنعاقب أهل المعاصي ، ونثيب أهل الطاعة .

❀❀❀

س : لماذا أطلق على الجن والإنس ثقلان ؟

ج: نقل القرطبي عن جعفر الصادق قوله : سُمِّيَا ثقلان لأنهما مثقلان بالذنوب، والله أعلم.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾.

ج : هذا الخطاب للجن والإنس يتضمن تهديدًا لهم ويتضمن أيضًا تحديا ، وإظهارًا لضعفهم وعجزهم .

أما عن معناه فللعلماء فيه وجوه :

أحدهما: أن ذلك يوم القيامة ، يقال لهم: هذا أمر الله قد حلَّ بكم فإن كان لكم

(١) أخرجه الطبري (٣٣٠١٤) ، وفي سنده أبو صالح وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وهو ضعيف ، وفيه أيضًا الخلاف في سماع علي بن أبي طلحة من ابن عباس.

سبيل إلى الفرار والهروب من أية ناحية من السماء والأرض كي تهربوا من عذاب الله وحسابه فاهربوا وفروا إن استطعتم .

وحجة أصحاب هذا القول أن الآية الكريمة سُبقت بقوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ .

الثاني: أن المراد بقوله : ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في الدنيا إذا حلَّ بكم الموت فإن استطعتم الفرارمنه والهرب ففروا واهربوا فإن الموت مُدركُكم ولن تستطيعوا الفرار منه ، وكما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨] فلو هربتم إلى أي مكانٍ كان لكنتم في سلطان الله.

الثالث : قال بعض العلماء: إن المعنى إن استطعتم أن تتجاوزوا أطراف السموات والأرض فتعلموا ما في السموات والأرض وما ورائها من علم فانفدوا واعلموا ، ولن تستطيعوا علم ذلك إلا بإذن الله ، وببينةٍ من الله عزَّ وجل .

ولخص الطبري هذا المعنى فقال: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ ، أي : لا تستطيعون هربًا من أمر الله وقدره ، بل هو محيط بكم ، لا تقدرون على التخلص من حكمه ، ولا النفوذ عن حكمه فيكم ، أينما ذهبتم أحيط بكم .

وهذا في مقام المحشر ؛ الملائكة مُحدقةٌ بالخلائق ، سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب. ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ ، أي : إلا بأمر الله، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة:١٠].

وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧]؛ ولهذا قال : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ الآية . ذكر ابن المبارك : وأخبرنا جويبر عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ، فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب، فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفًّا من خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ، فينزل الملَك الأعلى في بهائه وملكه ومجنّبته اليسرى جهنم ، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قُطْرًا من أقطارها إلا وجدوا صفوفًا من الملائكة ، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ والسلطان العذر. وقال الضحاك أيضًا: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء ، ونزلت الملائكة، فتهرب الجنّ والإنس ، فتحدق بهم الملائكة ، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ ذكره النحاس .

قلت: فعلى هذا يكون في الدنيا ، وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الآخرة ، وعن الضحاك أيضًا : إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا .

وقال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض فاعلموه ، ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله تعالى. وعنه أيضًا أن معنى: ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم.

قتادة: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك. وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطان ، الباء بمعنى إلى، كقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ ﴾ [يوسف : ١٠٠] أي: إلي . قال الشاعر :

أسيئي بنــا أو أحســني لا ملولــةٌ   لـــدَينا ولا مَقْليـــةٌ إن تَقَلَّـــتِ

وقوله : ﴿فَٱنفُذُواْ ﴾ أمر تعجيز .

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ:

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي : لاتجدون مسلكًا ومنفذًا ، تخرجون به عن ملك الله وسلطانه.

﴿فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ أي : لا تخرجون منه إلا بقوة ، وتسلط منكم، وكمال قدرة ، وأنَّى لهم ذلك ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ، ولا موتًا ولا حياة ، ولا نشورًا ؟!.

ففي ذلك الموقف، لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسًا. وفي ذلك الموقف ، يستوي الملوك والماليك ، والرؤساء والمرءوسون ، والأغنياء والفقراء .

❀❀❀

س : **وضح معنى قوله تعالى :** ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾

ج:قيل المعنى: لن تعلموا ما في السموات والأرض إلا ببينةٍ من الله ـ عزَّ وجل ـ.

وقيل المعنى : لا تنفذون إلا بمُلكٍ منكم وليس لكم ملك وقيل: إلا بقدرة وقوة ولا قدرة ولا قوة لكم إلا بالله .

وقيل المعنى : لا تخرجوني من سلطاني . وانظر ماتقدم أيضًا .

قال الرازي في تفسيره :

ما معنى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ ؟

نقول: ذلك يحتمل وجوهًا (**أحدها**) أن يكون بيانًا بخلاف ما تقدم أي: ما تنفذون ولا تنفذون إلا بقوة وليس لكم قوة على ذلك .

(**ثانيها**) أن يكون على تقدير وقوع الأمر الأول ، وبيان أن ذلك لا ينفعكم ، وتقديره ما تنفذوا وإن نفذتم ما تنفذون إلا ومعكم سلطان الله . كما بقول خرج القوم بأهلهم أي معهم .

(**ثالثها**) أن المراد من النفوذ ما هو المقصود منه ؟ وذلك لأن نفوذهم إشارة إلى طلب خلاصهم فقال : لا تنفذون من أقطار السموات . لاتتخلصون من العذاب ولا تجدون ما تطلبون من النفوذ وهو الخلاص من العذاب إلا بسلطان من الله يجيركم وإلا فلا مجير لكم ، كما تقول لا ينفعك البكاء إلا إذا صدقت وتريد به أن الصدق وحده ينفعك . لا إنك إن صدقت فينفعك البكاء.

(رابعها) أن هذا إشارة إلى تقرير التوحيد ، ووجهه هو كأنه ـ تعالى ـ قال : يا أيها الغافل لا يمكنك أن تخرج بذهنك عن أقطار السموات والأرض فإذا أنت أبدًا تشاهد دليلًا من دلائل الوحدانية ، ثم هب أنك تنفذ من أقطار السموات والأرض ، فاعلم أنك لا تنفذ إلا بسلطان تجده خارج السموات والأرض قاطع دال على وحدانيته تعالى والسلطان هو القوة الكاملة .

❀❀❀

س : متى هذا الإرسال للشواظ والنحاس ؟

ح : قيل هذا يوم القيامة، وقد قيل: إنه في الدنيا ، واستدل له بقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [ص:١٠ ـ ١١].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

والمعنى على كل قول : لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللَّهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال : ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

❀❀❀

س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ ؟

ح : قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

يقول: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ يوم القيامة ، كما دلت عليه هذه الآية مع ما شاكلها من الآيات الواردة في معناه؛ كقوله : ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان:٢٥]. وقوله : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:١ ـ ٢] .

وقوله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، أي : تذوب كما يذوب الدّرْدي والفضة في

السبك ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

ذكر ـ جلا وعلا ـ في هذه الآية الكريمة أن السماء ستنشق يوم القيامة ، وأنها إذا انشقت صارت وردة كالدهان، وقوله : وردة: أي حمراء كلون الورد ، وقوله كالدهان: فيه قولان معروفان للعلماء:

الأول منهما : أن الدهان هو الجلد الأحمر ، وعليه فالمعنى: أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه .

والثاني : أن الدهان هو ما يدهن به ، وعليه ، فالدهان ، قيل : هو جمع دهن ، وقيل : هو مفرد ، لأن العرب تسمي ما يدهن به دهانًا ، وهو مفرد ، ومنه قول امرئ القيس :

كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنى بدهان

وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر ، يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الورد . وحمرة الأديم الأحمر .

قال بعض أهل العلم : إنها يصل إليها حُرُّ النار فتحمر من شدة الحرارة .

وقال بعض أهل العلم : أصل السماء حمراء إلا أنها ـ لشدة بعدها وما دونها من الحواجز ـ لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته ، وأنها يوم القيامة ترى على حقيقة لونها.

وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به ، فإن الله وقد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما: حمرة لونها ، والثاني: أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن .

أما على القول الأول ، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية ، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر .

وأما على القول الثاني ـ الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة ـ فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع، وذلك في قوله تعالى في «المعارج»: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ ، والمهل شيء ذائب على كلا القولين سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره ، أو قلنا: إنه الذائب من حديد أو نحاس أو نحوهما .

وقد أوضح تعالى في «الكهف» أن المهل شيء ذائب يشبه الماء شديد الحرارة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

والقول بأن الوردة تشبيه بالفرس الكميت وهو الأحمر لأن حمرته تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرتها في فصل ، وتميل إلى الصفرة في فصل ، وإلى الغبرة في فصل .

وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند انشقاقها تتلون بألوان مختلفة واضح البعد عن ظاهر الآية ، وقول من قال : إنها تذهب وتجيء معناه له شاهد في كتاب الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ الآية ، ولكنه لا يخلو عندي من بعد .

وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من انشقاق السماء يوم القيامة ، جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١] وقوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان:٢٥] الآية، وقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة «ق» في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾؟

ج : في ذلك أقوال لأهل العلم :

الأول : لا تسأل الملائكةُ المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله قد حفظها عليهم وأحصاها ، كما قال : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨].

الثاني : لا يسأل الله سبحانه بعضهم عن ذنوب بعض، إنما يسأل كل شخص عن ذنبه الذي اقترف.

الثالث : أنهم لايسألون عن ذنوبهم لأنها ظاهرة بادية على وجوههم ، كما قال تعالى : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي بالعلامات التي عُلّموا بها ووسموا بها، وكما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [1] وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقيل: لأن الأيدي تتكلم ، وكذا الجوارح تتكلم، وكذا فقد أحصاها الله.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وهذه كقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٥] فهذا في حال ، وثم حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم ، قال الله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢]. ولهذا قال قتادة : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ ، قال: قد كانت مسألة ، ثم ختم على أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ هذا مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص : ٧٨] وأن القيامة مواطن لطول ذلك اليوم ، فيسأل في بعض ولا يسأل في بعض ، وهذا قول عكرمة . وقيل : المعنى لا يسألون إذا استقروا في النار . وقال الحسن وقتادة : لا يسألون عن ذنوبهم ، لأن الله حفظها عليهم، وكتبتها عليهم الملائكة ، رواه العوفي عن ابن عباس . وعن الحسن ومجاهد أيضًا : المعنى لا تسأل الملائكة عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم ، دليله ما بعده . وقاله مجاهد عن ابن عباس ، وعنه أيضًا في قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٩٢] وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وقال : لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ . وقال أبو العالية : لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم . وقال قتادة : كانت المسألة قبل ، ثم ختم على أفواه

---

(١) زرق العيون سود الوجوه .

القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله تعالى ـ:

ذكر ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة ، أنه يوم القيامة لا يسأل إنسًا ولا جانًّا عن ذنبه، وبين هذا المعنى في قوله تعالى في «القصص»: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ .

وقد ذكر جل وعلا ـ في آيات أخر ـ أنه يسأل جميع الناس يوم القيامة الرسل والمرسل إليهم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٦]، وقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

وقد جاءت آيات من كتاب الله مبينة لوجه الجمع بين هذه الآيات ، التي قد يظن غير العالم أن بينها اختلافًا، اعلم أولًا أن للسؤال المنفي في قوله هنا: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أخص من السؤال المثبت في قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، لأن هذه فيها تعميم السؤال في كل عمل ، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة ، وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء.

الأول منها: وهو الذي دل عليه القرآن ، وهو محل الشاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا ، هو أن السؤال نوعان: **أحدهما**: سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب ، **والثاني**: هو سؤال الاستخبار والاستعلام .

فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام ، لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم كما قال تعالى : ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة:٦].

وعليه فالمعنى لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، سؤال استخبار واستعلام، لأن الله أعلم بذنبه منه.

والسؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع ، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب ، ومثال سؤالهم عن الذنوب سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا

ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ ﴾ [الطور:١٣ - ١٥] الآية، قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام:١٣٠].

أما سؤال الموءودة في قوله : ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير:٨] فلا يعارض الآيات النافية السؤال عن الندب ، لأنها سئلت عن أي ذنب قتلت وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه ، لأنها هي تقول لا ذنب لي ، فيرجع اللوم على من قتلها ظلمًا.

وكذلك سؤال الرسل ، فإن المراد به توبيخ من كذبهم وتقريعه ، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلّغته، وباقي أوجه الجمع بين الآيات لا يدل عليه قرآن ، وموضوع هذا الكتاب بيان القرآن بالقرآن، وقد بيَّنا بقيتها في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» في أول سورة «الأعراف».

وقد قدمنا طرفًا من هذا الكتاب المبارك في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٦].

وذكر الرازي - رحمه الله - وجهين في هذه الآية فقال:

(أحدهما) لايسأله أحد عن ذنبه ، فلا يقال له أنت المذنب أو غيرك ، ولا يقال من المذنب منكم بل يعرفونه بسواد وجوههم وغيره ، وعلى هذا فالضمير في ذنبه عائد إلى مضمر مفسر بما يعده ، وتقديره لا يسأل إنس عن ذنبه ولا جان يسأل ، أي عن ذنبه.

(وثانيهما) معناه قريب من المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء:١٥] كأنه يقول : لا يسأل عن ذنبه مذنب إنس ولا جان . وفيه إشكال لفظي ، لأن الضمير في ذنبه إن عاد إلى أمر قبله يلزم استحالة ما ذكرت من المعنى بل يلزم فساد المعنى رأسًا لأنك إذا قلت لا يسأل مسئول واحد أو إنسي مثلًا عن ذنبه فقولك بعد إنس ولا جان ، يقتضي تعلق فعل بفاعلين وإنه محال.

والجواب عنه من وجهين:

(أحدهما) أن لايفرض عائدًا وإنما يجعل بمعنى المظهر لا غير ويجعل عن ذنبه كأنه قال عن ذنب مذنب .

(ثانيهما) وهو أدق وبالقبول أحق أن يجعل ما يعود إليه الضمير قبل الفعل فيقال تقديره فالمذنب يومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان.

❀❀❀

س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾؟

ج : أجاب على ذلك الرازي بقوله :

كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وبينه وبين قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾؟[الصافات:٢٤] نقول على الوجه المشهور جوابان:

(أحدهما) أن للآخرة مواطن . فلا يسأل في موطن ، ويسأل في موطن.

(وثانيهما) وهو أحسن لا يسأل عن فعله أحد منكم ، ولكن يسأل بقوله لم فعل الفاعل فلا يسأل سؤال استعلام ، بل يسأل سؤال توبيخ ، وأما على الوجه الثاني، فلا يرد السؤال ، فلا حاجة إلى بيان الجمع.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن أهل الإجرام يعرفون بالعلامات التي عُلِّموا بها والتي رُسموا بها ، وذلك لكونهم زرق العيون سود الوجوه ، وعلى وجوههم غبرة، وترهق وجوههم قترة فتأخذ الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى جهنم وتقذفهم فيها .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

قوله بسيماهم: أي بعلامتهم المميزة لهم ، وقد دَلَّ القرآن على أنها هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾، وقال تعالى : ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس:٤٠ـ٤٢]؛ لأن معنى قوله ترهقها قترة أي يعلوها ويغشاها سواد كالدخان الأسود .

وقال تعالى في زرقة عيونهم: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه:١٠٢] ولا شيء أقبح وأشوه من سواد الوجوه وزرقة العيون ، ولذا لما أراد الشاعر أن يقبح علل البخيل بأسوأ الأوصاف وأقبحها ، فوصفها بسواد الوجوه وزرقة العيون حيث قال:

وللبخيلِ على أموالِه عللٌ زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ

ولا سيما إذا اجتمع مع سواد الوجه اغبراره ، كما في قوله : ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس:٤٠-٤١] فإن ذلك يزيده قبحًا على قبح .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، وقد قدمنا تفسيره والآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور:١٣].

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ ؟

ج : قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ: يطوف هؤلاء المجرمون ـ الذين وصف صفتهم ـ في جهنم بين أطباقها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ يقول : وبين ماء قد أسخن وأغلي حتى انتهى حرّه وأنى طبخه، وكل شيء قد أدرك وبلغ فقد أنى، ومنه قول: ﴿غَيْرَ

نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني: إدراكه وبلوغه، كما قال نابغة بني ذبيان:

وَيَخْضَبْ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ بِأَحْمَرَ مِنْ نَجيعِ الجَوْفِ آنِي

يعني: مدرك.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقال قتادة: قد أنى طبخه منذ خلق الله السماوات والأرض. وقال محمد بن كعب القرظي: يؤخذ العبد فيحرّكُ بناصيته في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحمُ ويبقى العظمُ والعينان في الرأس، وهي كالتي يقول الله تعالى: ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر:٧٢]. والحميم الآن: يعني: الحار. وعن القرظي رواية أخرى: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، أي: حاضر. وهو قول ابن زيد أيضًا، والحاضر، لا ينافي ما روي عن القرظي أولًا أنه الحار، كقوله تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٥]، أي: حارّة شديدة الحر لا تستطاع، وكقوله: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾؛ يعني استواءه ونضجه. فقوله: ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، أي: حميم حار جدًّا.

❁❁❁

بحثٌ موسع عن النار وأهلها الأشرار

س : اذكر بمزيد من التفصيل أوصاف النار وأهلها الأشرار، وما أعد لهم من أليم العقاب ، وكذا شيئًا كثيرًا مما يتعلق بها والتحذير منها ؟

ج : ابتداءً فقد حذر الله ـ عزَّ وجل ـ من النار أشد التحذير وأمر نبيه ﷺ أن يحذر منها ، ويذَكِّر ، وتوالت النصوص المحذرة من هذا الخطر العظيم ـ خطر النار ـ حذَّر اللهُ من النار ، وأنذر ، فقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦]، وقال تعالى : ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل : ١٤]

وحذَّرَ النبي ﷺ منها وكرَّر التحذير :

فقد أخرج الإمام أحمد(١) بسند حسن عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**» حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مَقَامِي هذا .

قال : حتى وقعت خَمِيصَةٌ كانت على عَاتِقِهِ عند رجليه .

وقال رسول الله ﷺ: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »(٢) .

وفي الحديث: « **ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار** »(٣) .

وفي الصحيح(٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : لما أُنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء :٢١٤] دعا رسولُ الله ﷺ قُريشًا. فاجتمعوا. فعمَّ وخصَّ، فقال: « **يابني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار . يابني مرة بن كعب ! أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس ! أنقذوا أنفسكم من النار . يابني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار. يابني هاشم! أنقذوا أنفسكم من**

(١) أحمد (٤ / ٢٧٢)

(٢) البخاري (٦٥٦٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٣) البخاري (٦٤٦٩) .

(٤) مسلم (حديث ٢٠٤) .

النار . يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة ! أنقذي نفسك من النار . فإني لا أملك لكم [(١)] من الله شيئًا . غير أن لكم رحمًا يأبلها ببلالها» [(٢)] .

أما عن أسماء النار. أعاذنا الله منها

للنار عدة أسماء ، منها :

جَهَنَّمُ : قال تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [عم : ٢١]

الجَحِيمُ : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير : ١٢].

السَّعِيرُ: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

سَقَرُ: قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢].

الحُطَمَةُ: قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة:٤ ـ ٦].

الهَاوِيَةُ: قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة:٩ ـ ١١].

سِجِّينُ: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧، ٨].

لَظَى: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج:١٥].

ولقد وُصف عذابها بأنه: أليمٌ، وعظيم، ومهين، وكذلك وصف بأنه شديد!!

إن صبغةً في النار تُنسي الشخص كل نعيم الدنيا الذي تمتع به :

ففي الصحيح [(٣)] من حديث أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بأنعَم أهلِ الدُّنْيَا، مِن أهلِ النارِ، يومَ القِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ:

---

(١) فإني لا أملك لكم : معناها لا تتكلوا على قرابتي ، فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم .

(٢) (سأبلها ببلالها) : بفتح الباء الثانية وكسرها . وهما وجهان مشهوران ، ذكرهما جماعات من العلماء ، والبلال : الماء . ومعنى الحديث : سأصلها . شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة . ومنه : بلوا أرحامكم ، أي : صلوها . قاله النووي .

(٣) مسلم (٢٨٠٧).

يا بْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا والله يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا بنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقُول: لا، والله يَا ربِّ! ما مرَّ بِي بُؤْسٌ قطُّ. ولا رأيتُ شِدَّةً قطُّ».

وإذا أردت بعض الاطلاع على عظيم عذابها: فاقرأ قول رسول الله ﷺ: «نارُكم جُزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّم» قيل: يارسول الله، إن كانت لكافية، قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بتسعةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا كُلُّهُنَّ مِثلُ حَرِّهَا»[١].

وقال الله ـ عز وجل ـ عنها: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٢٥]. وقال عنها: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج:١٥، ١٦].

ولقد حُفَّت النارُ بالشَّهَوات

أخرج الترمذي[٢] بسندٍ حسنٍ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لمَّا خَلَقَ اللهُ الجنةَ والنَّارَ، أرسَلَ جبريلَ إلى الجنَّةِ، فَقَالَ: انظرُ إلَيْهَا وإلَى مَا أَعْدَدتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَجَاءَها، فنظرَ إليهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قال: «فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيْهَا» قال: «فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّت بالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إليهِ فَقَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا يَدْخُلُهَا أَحَد. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يركب بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُو مِنهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

وفي صحيح مسلم من حديث أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُفَّت الجنةُ بالمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ»[٣].

---

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(٢) الترمذي (٧/ ٢٨١).

(٣) مسلم (٢٨٢٢). قال النووي ـ رحمه الله ـ: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه، وجوامعه التي

ونحوه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا بلفظ: «حُجِبَت النارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَت الجنةُ بالمَكَارِهِ»[1].

أبواب النار

للنار أبواب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا..﴾ [الزمر:٧١].

أما عن عدد هذه الأبواب، فهي سَبْعَةٌ:

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر:١٥].

ولهذه الأبواب خزنة:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا...﴾ [الزمر:٧١]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [تبارك:٨].

وعدد هؤلاء الخزنة لا يعلمهم إلا الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

أما كبارهم وقادتهم فهم تسعة عشر:

قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠].

وكبير هؤلاء جميعًا هو مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧].

أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بالشهوات، وكذلك محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات.

(١) البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣).

ولقد رأى النبي ﷺ مالكًا خازن النار كَرِيهَ المرآةِ كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآة وإذا عنده نارٌ يحشها ويسعى حولها[١].

والنار دَرَكات

ثم إن هذه النار ـ أعاذنا الله منها ـ دركات:

فهناك قومٌ يعذبون عذابًا أشد من قوم آخرين:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وقال تعالى في شأن من يكفر بالمائدة بعد نزولها: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٨٥].

وهذه منازل الناس في النار، أعاذنا الله منها:

أخرج مسلم في صحيحه[٢] من حديث سَمُرَة بن جُنْدَب أن النبي ﷺ قال: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ».

وهذا أهون أهل النار عذابًا

في الصحيح[٣] من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ، لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله.

(٢) مسلم (٢٨٤٥).

(٣) مسلم (٢١٣).

وفي رواية: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلانِ وَشِرَاكَانِ مِن نارٍ. يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا».

وفي الصحيح[1]من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

وفي الصحيح[2] من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

أخرج مسلم[3]من حديث عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نَفَعْتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنَّه كان يحوطُك[4]ويغضب لك؟ قال: «نَعَم، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[5]من نارٍ، ولَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ[6] الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

أما عن سعة النار

أخرج الإمام أحمد[7]بسندٍ صحيح عن مجاهد قال: قال ابن عباس: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل، والله ما تدري، إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه، مسيرة سبعين خريفًا، تجري فيها أودية القيح والدم؟ قلت: أنهارًا؟ قال: لا بل أودية. ثم قال: أتدرون ما سعة جهنم؟ قلت: لا. قال: أجل، والله ما تدري، حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧] فأين الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّم».

---

(١) مسلم (حديث ٢١١).

(٢) مسلم (٢١٢).

(٣) مسلم (حديث ٢٠٩).

(٤) (يحوطك): قال أهل اللغة: يقال: حاطه يحوطه حوطًا وحياطة إذا صانه وحفظه وذب عنه وتوفر على مصالحه.

(٥) (ضحضاح) الضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار.

(٦) (الدرك) فقال جميع أهل اللغة والمعاني والغريب وجماهير المفسرين: الدرك الأسفل قعر جهنم، وأقصى أسفلها. قالوا: ولجهنم أدراك، فكل طبقة من أطباقها تسمى دركًا. نقلاً عن النووي.

(٧) أحمد (٦/ ١١٦).

امتلاء جهنم:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وفي «**الصحيحين**»(١) عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطُ.. قَطُ وعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**».

أما عن عمق نار جهنم:

فالنار عميقةٌ جدًّا!!

أخرجَ مسلم(٢) في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبَةً فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا. فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**».

ولقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٨، ٩].

وفي الصحيحين(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**».

أما عن وقودها:

فوقودها الناس والحجارة، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ

---

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٢) مسلم (٢٨٤٤).
(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٠].

أمورٌ في الدنيا تُذكِّر بنار الآخرة

ولقد جعل الله في الدنيا أمورًا تُذَكِّر بنار الآخرة.

فنار الدنيا تذكر بنار الآخرة:

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٣].

أي: جعلنا نار الدنيا تُذكر بنارالآخرة، مع أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة، ففي الصحيحين[١] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «نارُكُم جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قيل: يا رسول الله، إنْ كانت لَكَافِية؟! قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

وهذا الحر الشديد الذي نجده في الدنيا إنما هو من حر جهنم، ومن فَيْحِ جهنم، ففي الصحيح[٢] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «أَبْرِدُوا بِالصَّلاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِن فَيْحِ جَهَنَّم».

في الصحيح[٣] كذلك من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحرِّ، وأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

---

(١) البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٢) البخاري (٣٢٥٩) وله عدة طرق عن النبي ﷺ، ومسلم (حديث ٦١٥).

(٣) البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

وكذا الحمَّى التي يُصاب بها الناس في الدنيا، فإنها من فيح جهنم.

فقد ورد من عدة طرق[١] عن النبي ﷺ أنه قال: «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ».

وأهل النار يرون مقاعدهم فيها قبل دخولها

ففي الصحيحين[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وفي الصحيحين[٣] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال نبي الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ» قال: «يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ» قال: «فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله ورَسُولُهُ» قال: «فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ. قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ» قال نبي الله ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

وأخرج ابن ماجه[٤] بسندٍ حسنٍ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ المَيِّتَ يَصيرُ إلى القبرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ ولا مَشْعوف، ثم يُقَالُ لهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيقولُ: كنتُ في الإسلامِ. فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: محمد رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّم، جاءَنَا بالبيناتِ مِنْ عِندِ الله فصَدَّقْنَاهُ. فيقالُ لَهُ: هَلْ رأيتَ اللهَ؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لأحدٍ أنْ يَرَى اللهَ. فيفرجُ لَهُ فرجَةً قِبلَ النارِ، فينظرُ إليها يحطِّمُ بَعضُها بعضًا، فيقالُ له: انظر إلى ما وقاك اللهُ. ثم يُفرجُ له قِبَلَ الجنةِ، فينظرُ إلى زَهْرَتِهَا وما فيها، فيقالُ له: هَذَا مقعدكَ. ويُقَالُ: عَلَى اليقينِ كُنْتَ، وعليهِ مِتَّ، وعليهِ

---

(١) انظر البخاري (٣٢٦١-٣٢٦٢-٣٢٦٣-٣٢٦٤)، ومسلم (٢٢٠٩).

(٢) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) البخاري (حديث ٢٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٤).

(٤) ابن ماجه (٢/ ١٤٢٦).

تُبْعَثُ إنْ شَاءَ اللهُ. ويجلسُ الرَّجُلُ السُّوءِ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مشعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كنتَ؟ فيقولُ: لا أدْرِي. فيقالُ: ما هَذَا الرَّجُلِ؟ فيقولُ: سَمِعتُ النَّاسَ يَقولونَ قولًا فقُلْتُهُ. فيُفرجُ له قِبَلَ الجنةِ، فينظرُ إِلَى زَهْرَتِهَا ومَا فِيها، فيُقَالُ له: انظرْ إِلَى مَا صَرَفَهُ اللهُ عَنْكَ. ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةً قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقعدكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى».

وأخرج الإمام أحمد[1] في مسنده من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة... فذكر الحديث وقال: «وإنَّ العَبْدَ الكافرَ إِذَا كَانَ فِي انْقطاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّماءِ مَلَائكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ مَعَهُمْ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِندَ رَأسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إلى سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ» قال: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأرضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الملائكةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ، بِأَقْبَحِ أسمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا، فيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] فَيَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتُبُو كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الأرضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طرْحًا، ثم قرَأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، ويَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاأدْرِي، فيقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذي بُعِثَ فيكُم؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافرِشُوا لهُ مِنَ النَّارِ، وافْتَحُوا له بابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمومِهَا،

---

(١) أحمد (٣/ ٢٨٧) بسند حسن.

وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ، ويَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوجهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَومُكَ الَّذِي كُنتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وفي النار منازل ومقاعد فلكلٍ منزلٌ في النار ولكن!!

وأخرج الإمام ابن ماجه[1] بسندٍ صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلانِ: مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠]». وفي صحيح مسلم[2] من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ».

وهذا بعض العلم عن جهنم أيضًا

إنها تتكلم!!، إنها تتغيظ على أهلها!!

إنها تتوعد!!

يُسْمَعُ لَهَا شهيق!! يُسمع لها زفير!!

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان:١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك:٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج:١٥-١٧].

---

(١) ابن ماجه (٢/ ١٤٥٣).
(٢) مسلم (٢٧٦٧)

أما عن أهلها

فلقد أعدت للكافرين: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

أعدت للمكذبين بالآيات: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩].

أعدت للمرتدين عن دينهم أيضًا: قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

يدخلها أيضًا كفرة الجن: فقد قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ...﴾ [الأنعام:١٢٨].

بعث النار

في الصحيحين[١] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجَلَّ ـ: يا آدَمُ، فيقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ! والخيرُ في يَدَيْكَ! قال: يقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ[٢]. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ» قال: فاشتدَّ ذَلكَ عليهم. قالوا: يا رسول الله، أَيُّنا ذلك الرَّجُلُ؟ فقال: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ».

---

(١) البخاري (١٣٨، ١٦٩)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) أي المبعوثين الموجهين إلى النار، وقوله: «أخرج بعث النار» أي: ميز أهل النار عن غيرهم.

ومن أهل النار ، بل ومن أشدهم عذابًا فرعون وآله، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

منهم هامان وقارون، ومنهم أبو لهب وامرأته، وعاقر ناقة نبي الله صالح ـ عليه السلام ـ، وأبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي بن خلف، وأمية بن خلف، ورأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

وغير هؤلاء من أئمة الكفر والضلال.

والنساء أكثر أهل النار: ففي الصحيح[1] من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وأكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنِّي رأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ...» الحديث.

وهؤلاء أيضًا قوم رآهم النبي ﷺ في النار

أخرج مسلم[2] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال: كَسَفَت الشمس على عهد رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرِّ، فصلَّى رسول الله ﷺ بأصحابه، فأطال القيام، حتى جعلوا يخرُّون. ثم ركع فأطال. ثم رفع فأطال. ثم ركع فأطال. ثم رفع فأطال. ثم سجد سجدتين، ثم قام فصنع نحوًا من ذاك. فكانت أربع ركعات وأربع سجدات، ثم قال: «إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شيءٍ تُولَجُونَهُ. فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ حتَّى لو تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ[3] (أو قال: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا) فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ.وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ. فَرَأَيْتُ فِيهَا امرَأَةً مِنْ بَنِي إسرائيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا[4]. رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. وَلَمْ تَدَعْهَا تأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأرْضِ[5]. ورأيتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ[6] فِي

(١) مسلم (حديث ٧٩).

(٢) مسلم (حديث ٩٠٤).

(٣) (لو تناولت منها قطفًا لأخذته): معنى تناولت، مددت يدي لأخذه، والقطف العنقود، وهو فعل بمعنى مفعول. كالذبح بمعنى المذبوح.

(٤) (في هرة لها) أي:بسبب هرة لها.

(٥) (خشاش الأرض) هي هوامها وحشراتها،وقيل: صغار الطير، وحكى القاضي فتح الخاء وكسرها وضمها، والفتح هو المشهور.

(٦) (يجر قصبه) القصب هي الأمعاء.

النَّارِ. وإنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لا يَخْسِفَانِ إلَّا لِمَوْتِ عَظِيم. وَإنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله يُرِيكُمُوهُمَا فَإذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ».

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ شَيءٍ تُوعَدُونَهُ إلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ. لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ. وذلِكُم حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرتُ مَخَافَةَ أن يُصيبَنِي من لَفْحِهَا. وَحَتَّى رأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ. كَانَ يَسرِقُ الحاجَّ بِمِحْجَنِهِ[1] فَإنْ فُطِنَ لهُ قَالَ: إنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وإنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ. وحتَّى رأيتُ فِيها صاحبَةَ الهِرَّة التي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. ولَمْ تَدَعْهَا تأكُلْ مِنْ خَشَاشِ الأرضِ. حتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بالجنةِ، وذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تقَدَّمتُ حتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي. وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ. ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيءٍ تُوعَدُونَهُ إلَّا قد رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ».

وهذا رجلٌ حُرِّمت عليه الجنة

أخرج مسلم[2] من طريق جندب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ رَجُلًا مِمَّن كانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ[3]، فَلَمَّا آذَتْهُ انتَزَعَ سَهْمًا من كِنَانَتِهِ[4]، فَنَكَأَهَا[5]، فَلَمْ يرقأ الدَّمُ[6] حتَّى مات. قال ربُّكم: قَدْ حَرَّمتُ عَلَيْهِ الجنَّةَ» ثم مدَّ يده إلى المسجد فقال: إي والله لقد حدَّثني بهذا الحديث جُنْدَبٌ، عن رسول الله ﷺ في هذا المسجد.

يدخلها أيضًا مرتكبو الكبائر الذين لم تغفر لهم كبائرهم، ولكنهم إذا كانوا من أهل التوحيد فإنهم يخرجون بعد ذلك منها

فالقتلة، قال الله فيهم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[7] [النساء:٩٣].

---

(١) المحجن: عصا معقوفة الطرف.

(٢) مسلم (حديث ١١٣).

(٣) خَرَجَت به قرحة: القرحة واحدة القروح، وهي حبات تخرج في بدن الإنسان.

(٤) (كنانته): الكنانة هي جَعبة النشاب. سميت كنانة لأنها تكنّ السهام أي تسترها.

(٥) (فنكأها): أي قشرها وخرقها وفتحها.

(٦) (لم يرقأ الدم): أي لم ينقطع، يقال: رقأ الدم والدمع يرقأ رقوءًا، مثل ركع يركع ركوعًا، إذا سكن وانقطع.

(٧) وهذا في المستحلّ (أعني الخلود للمستحل) أما مجرد القتل فلقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

وأكلة الربا[1] كذلك إذا لم يغفر الله لهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١].

وكذلك الزناة والزواني والظلمة وأكلة أموال الناس بالباطل، والطاعنون في الأعراض، والمفلسون عمومًا الذين أخذت حسناتهم لغيرهم فلم تبق لهم حسنات، ثم قذفوا في النار، وكذلك الذين أُخذ من سيئات غيرهم فطرحت عليهم ثم طرحوا في النار.

يدخلها أيضًا تاركو الصلاة وتاركو الزكاة، والمطففون، وآكلو أموال الناس بالباطل، والكذبة على الله وعلى رسوله ﷺ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن حلف يمينًا فاجرةً عند منبر رسول الله ﷺ، ومن جر ثوبه خيلاء، والمتألي على الله[2].

إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم الله ورسوله أنهم من أهل النار، أو يدخلونها.

ولقد أوثرت النار بالمتكبرين والمتجبرين

أخرج البخاري ومسلم[3] في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ. فَقَالَتِ النارُ: أُوثِرْتُ بِالمُتَكَبِّرِينَ، والمُتَجَبِّرِينَ، وقالت الجنةُ: فَمَا لِي لا يَدْخُلُني إلَّا ضُعَفَاءُ الناسِ وسَقَطُهُم وَغِرَّتُهُم. قَالَ اللهُ للجنةِ: إنَّمَا أنتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِن عِبَادِي، وقَالَ للنَّارِ: إنَّمَا أنتِ عَذَابِي، أُعَذِّب بكِ مَنْ**

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

(١) وآكل الربا لا يخلد في النار إذا كان من أهل التوحيد.

(٢) أما المتألي على الله فيتضح بها أخرجه أبو داود (١٣/ ٢٤٣) بسندٍ حسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر. فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر. فقال خلني وربي، أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك» أو «لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

(٣) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم في طرق حديث (٢٨٤٦).

أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. ولكُلِّ واحدةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ. ويُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. وَلا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا. وَأَمَّا الجنةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

وفي صحيح مسلم(١) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: «وأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُم فِيكُم تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أهلًا ولا مالًا والخائِنُ الذِي لا يَخْفَى له طَمَعٌ - وَإِنْ دَقَّ - إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ ولا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وذَكَرَ البُخْلَ أوِ الكَذِبَ «والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ».

وفي صحيح مسلم(٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ من أهلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا. قومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ. رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا. وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وفي الصحيحين(٣) من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كلُّ ضَعِيفٍ(٤) مُتَضعَّفٍ لَو أقسَمَ عَلَى الله لأبرَّه، ألا أُخْبِركُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ(٥) جوَّاظ(٦) مُسْتَكبِر».

وينبغي التفطن إلى أمرٍ ألا وهو أن عصاة الموحدين سيخرجون من النار، وذلك لقول الله - عز وجل - في الحديث القدسي: «أَخْرِجوا مِنَ النَّارِ مَن قَالَ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وفي قلبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّة...» الحديث.

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).
(٢) مسلم (٢١٢٨).
(٣) البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).
(٤) يَبدو - والله أعلم - أن المراد به المتواضع، وإلا فالنبي ﷺ يقول المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.
(٥) العتل شديد الخصومة - المعرض عن الإيمان والخبر.
(٦) الجواظ: كثير اللحم، الفاجر المختال.

الحشر إلى النار وبعض مشاهده

إن النار تتربص بأهلها وتنتظرهم، وتتوعدهم وتتغيظ عليهم ويؤتى بها تعرض، وقد قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣].

وفي الحديث: «يُؤتَى بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١].

وفي الحديث(٢): «فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بعضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...».

إن النار ـ عياذًا بالله منها ـ تأتي مستقبلةأهلها متغيظة عليهم تقذف الشرر العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:٣٢، ٣٣] وهم الآخرون يدفعون إليها دفعًا شديدًا ويساقون إليها سوقًا عنيفًا فلا مفر، ولا محيص.

يدفعون إليها دفعًا شديدًا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور:١٣] أي يدفعون إليها دفعًا شديدًا.

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩].

يساقون إليها وقد حملوا أحمالًا ثقيلة على ظهورهم، وهي تلك الذنوب التي عملوها في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) وبه علةٌ، فقد زعم قوم أنه موقوف.
(٢) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٩-١٠١].

إنهم من ثِقل هذا الحمل الذي على ظهورهم ينادون من يظنونه سيساعدهم في حمل شيء عنهم فلا مجيب، قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر:١٨].

إن الأب ينادي ولده كي يحمل عنه شيئًا من وزره ولكن لا مجيب.

وكذا الولد ينادي والده، والأم تنادي ولدها، والبنت تناشد أباها أن يحمل عنها شيئًا من هذا الوزر، ولكن لا مجيب، فكلٌّ مُنشغلٌ بما هو فيه.

إن أهل النار يُساقون إليها عميًا وبكمًا وصمًّا، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾(١) [الإسراء:٩٧].

إنهم يساقون إليها عطاشًا كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦].

إنهم يُسحبون إليها سحبًا كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر:٧١].

بل ويسحبون على وجوههم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٣٤].

إنهم يصنفون كل صنف مع قرنائه ونظرائه وأمثاله، كل صنف وفريق يتقدمه إمامه في الضلال، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧١].

وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨].

---

(١) في الصحيحين [البخاري (٤٧٦)، ومسلم (٢٨٠٦)] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليسَ الذِي أمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيهِ فِي الدُّنيَا قَادِرًا عَلَى أنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَومَ القِيَامَةِ؟!!» قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يُنَادِي مُنادٍ يَومَ القِيامةِ لِتَتْبَعْ كُلُّ أمةٍ مَا كانتْ تَعْبُدُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، ويَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ..» الحديث(١).

إنهم يُحضرون حول النار جُثاةً على الركب، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨].

ويُبدأ بكبيرهم وإمامهم في الضلال فيلقى في النار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٦٩].

وهؤلاء أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة

وقد قيل: إنهم أول من تسعر بهم النار

أخرج مسلم(٢) في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمتَ العِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ القُرآنَ لِيُقَالُ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ فَعَلتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَّادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

وأهل النار يُلقون فيها أفواجًا بعد أئمتهم في الضلال قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ

---

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

(٢) مسلم (١٩٠٥).

فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:٨]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨].

وانظر إلى طريقة الإلقاء

قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٤٧].

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥].

وهنالك يُستقبلوا بأسوأ استقبال:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [ص:٥٥-٦٠]. وقوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ إلى شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مزدٍ يُردون إليه. وقوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغساق البارد أشد البرودة، فيتناولون هذا بعد ذاك، فتخيل ماذا يحدث لأسنانهم وأفواههم إذا تناولوا البارد بعد الحار. وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أي: وصور أخر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

أما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ..﴾ فأحاول تقريب المعنى بما يحدث في الدنيا بما حاصله أن الشخص في الدنيا قد يبتلى بسجن ضيق مظلم وهو فيه يكاد أن يختنق فينتظر من يفتح الباب كي يتنفسوا أو يخرجوا أو يخرج بعضهم ليخفف على الآخرين فإذا بالباب يفتح، وإذا بقوم آخرين يدخلون عليهم يزيدونهم ضيقًا إلى ما هم فيه من الضيق، وبلاءً إلى ما هم فيه من بلاء، فيقال لهم: هذا فوج مقتحم معكم، فيردون قائلين: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ فالسجناء الجدد ينتظرون مواساة ممن سبقهم، فإذا

بمن سبقهم يدعو عليهم وكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨] فيرد الداخلون الجدد على من سبقوهم إلى النار بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾. أي أنتم الذين تسببتم لنا في هذا العذاب، وفي هذا النكد فبئس المستقر تستقرون فيه.

فهنالك يدعو الجميع على من كان السبب، فيقولون ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص:٦١]. نعوذ بالله من النار، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

ضيافة أهل النار

إن ضيافتهم في جهنم مباشرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٢].

ضيافتهم الأكل من شجرة الزقوم، ثم شرب الحميم بعده.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة:٥١-٥٦].

أما عن أوصاف أهل النارفها هي بعض أوصافهم:

أما عن وجوه أهل النار:

فوجوهٌ سوداء مُظلمة علاها الغبارُ، وأرهقها الذلُّ، ملأتها البُسور والتجاعيد.

لقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس:٤٠-٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس:٢٧].

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٤، ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥].

إنها وجوه قد علاها الذلُّ، وأبصارٌ قد خشعت وذلَّت:

قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٢ـ٤].

إنها وجوه قد علاها الخزي وغشيها السوء:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك:٢٧].

فهكذا الوجوه.

أما الأعين فزرقاء قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه:١٠٢] أي: زرق العيون، وكأنها عيون لا ترى، فهم لا يرون إلا ما يسوءُهم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

فهذه الصفات المتقدمة صفات الوجوه والأعين.

وأما ما يحل بها من العذاب فاقرأ هذه الآيات

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦].

وكذا قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠].

وكذا قوله ـ جل ذكره ـ: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]. وكذا قوله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل:٩٠].

فهكذا يُصنع بتلك الوجوه.

إن العبد في الدنيا إذا قاتله آخر فإنه يحرص على دفع العذاب والضربات عن

وجهه، فكيف به يوم القيامة وهو يستقبل العذاب أسوأ العذاب.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٢٤]. وقال سبحانه: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء:٣٩].

فهكذا يصنع بالوجوه.

وكذلك الأنوف التي أبت أن تسجد لخالقها وباريها، توسم بمياسم من نار قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم:١٦].

وعموم مكارم الوجوه تُهان وتزل، فقد قال سبحانه عن سقر أنها: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٩].

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أنها تلفح الجلد فتدعه أسود كالليل البهيم، وقال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج:١٦].

أما عن الرقاب والأعناق:

ففيها الأغلال، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨].

فالطوق الذي في العنق طوق كبير بلغ الذقن، فلم يعد الشخص يستطيع أن يُنزل ذقنه إلى أسفل، فدومًا بصره شاخص إلى أعلى، وذلك بسبب الغلِّ الذي وُضع في رقبته.

ولقد قال تعالى في شأن امرأة أبي لهب: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد:٥] أي في عنقها حبل من نارٍ قد طُوِّقَتْ به.

ولقد قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الرعد:٥].

إن أمعاء أهل النار تتقطع، بل وبطون الكثير منهم تنفجر:

قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

وعند البخاري[١] من حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بالرَّجُل يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعَ أهلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهُ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيه».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمرو بنَ لُحَيٍّ بن قَمْعَة بِنِ خِندف أبا بَنِي كَعبٍ هَؤلاءِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ».

وفي رواية: «رأيتُ عمرو بن عامر الخُزاعي يجرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ وَكَانَ أَوَّل مَنْ سَيَّبَ السّيوب» وفي روايةٍ السوائب[٢].

وفي الصحيح من حديث[٣] أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إبراهيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أبوهُ: فاليومَ لا أعْصِيكَ. فَيَقُولُ إبراهيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِنِي يَومَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَد؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلتَطِخٍ، فَيُؤخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

وهذا مزيد من أوصاف أهل النار

أخرج مسلم[٤] في صحيحه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ضِرْسُ الكَافِرِ، أَوْ نَابُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ»[٥].

أخرج الإمام الترمذي[٦] بسندٍ صحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي

---

(١) البخاري (٣٢٦٧).
(٢) مسلم (٢٨٥٦)، والبخاري (٣٥٢١).
(٣) البخاري (٣٣٥٠).
(٤) مسلم (٢٨٥١).
(٥) قال بعض العلماء: وذلك حتى تنزل عليه صنوف العذاب ويزداد له في النكال.
(٦) الترمذي (مع التحفة ٧/ ٣٠١).

ﷺ قال: «إِنَّ غِلَظَ جِلدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرسَهُ مِثلُ أُحُدٍ، وإنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينةِ».

وفي الصحيحين(١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يرفعه ـ قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَي الكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ».

أما طعام أهل النار فمنه ما يلي:

الضريع: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ(٢) ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٦، ٧].

الغسلين: وهو صديد أهل النار، كذا قال بعض العلماء، قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٦].

شجر الزقوم: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة:٥١-٥٥].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة بقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥].

إن من طعام أهل النار طعامٌ يَنشَبُ بالحلوق، يتعلق بها فلا يدخل إلى الجوف، ولا يخرج خارج الفم، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل:١٢، ١٣].

أما شرابهم:

فالماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

---

(١) البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٢) أي أنهم في وقت من الأوقات طعامهم طعام واحد لا يتغير، وهو الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وفي أوقات آخر يثبتون على طعام واحد آخر وهو الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم:١٦، ١٧]. وقال تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٥] أي: من عين حارة شديدة الحرارة، قد بلغت أعلى درجات غليانها.

ثم إن هذا الماء الذي يشربونه من شدة حرارته يخرج منه بخار، هذا البخار يشوي الوجوه قبل أن يصل الماء إلى الشفاه.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

أما عن طريقة شربهم: فإنهم يشربون بكثرة وشراهة، قال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة:٥٥] أي: شرب كما تشرب الإبل العطاش الظماء، المصابة أيضًا بمرض يجعلها تشرب ولا تروى فتشرب وتشرب وقيل كما يوضع الماء في الرمال، فإن الرمال تمتصه ولا يثبت عليها، بل تبتلع وتبتلع.

فإن قال قائل: ولماذا يُقدمون على هذا الشراب مع كونه يقطع الأمعاء ويشوي بخاره الوجوه؟

فجواب ذلك أن ما يدور في بطونهم من الألم وما يعتصرها من سيئ الطعام يدفعهم إلى هذا الشراب ظانِّين أنه يغني عنهم شيئًا.

ثم إنهم بعد هذا الشراب الحار الشديد الحرارة يشربون شرابًا باردًا شديد البرودة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص:٥٧، ٥٨].

فالشخص في دنيانا إذا شرب كوبًا من الشاي الساخن، ثم أعقبه بكوب من الماء البارد تكاد أسنانه أن تتساقط ولسانه أن يحترق، فما ظنك بعذاب الآخرة: حميم وغساق!!

أما عن ثياب أهل النار: فثيابهم من نار، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ...﴾ [الحج:١٩].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ[(١)] وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:١٤].

وقال النبي ﷺ: «والنَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يومَ القِيَامةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَب»[(٢)].

أما عن غُسل أهل النار:

قال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:١٩-٢١].

أما عن فراش أهل النار:

ففراشهم من نارٍ وغطاؤهم من نار، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤١].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٥].

أما عن ظلِّهم الذي يستظلون به، فإنه ظلٌّ من دخان أسود شديد السواد، حار شديد الحرارة، فليس على الحقيقة بظلٍّ، بل نوع من أنواع العذاب هو الآخر، قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ۝ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات:٢٩-٣١].

وقال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة:٤٣، ٤٤].

شدة الحصار الذي فيه أهل النار

إن أهل النار في حصار شديد، لا يستطيعون بحالٍ الخروج منه، فإنهم أولًا مقيدون بقيود شديدة.

---

(١) القطران هو الزفت.

(٢) مسلم (حديث٩٣٤).

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٥، ٢٦].

فوثاقهم شديد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان:١٣]. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم:٤٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤]. ثم انظر إلى هذا القيد الغريب العجيب الفظيع المؤلم الشديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٢].

ثم قال بعض أهل العلم: إن هذه السلسلة تدخل من أنوفهم فتخرج من أدبارهم.

ثم إن هذه النار على أهلها مغلقة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [البلد:٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة:٨، ٩].

قال بعض العلماء في تفسير العمد الممددة ما حاصله: إن أهل الكفر موضوعون في أعمدة محيطة بهم، كما تسقط شخصًا في عمود يحيط به من كل جانب.

وقال آخرون: إنهم في النار التي أغلقت أبوابها بعمدٍ ممددة، كما كانوا يغلقون المحلات في الدنيا بأعمدة طويلة تأتي على الباب بكامله حتى لا ينفتح ، مع الفارق بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ومع ذلك كله فالنار قد أحاطت بهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٤٩، والعنكبوت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩].

فنعوذ بالله من النار، ومن حرِّ النارِ، ومن عذابِ النارِ.

ومن صور العذاب

الكي بالنار: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤، ٣٥].

الحر الشديد جدًّا، وكذا السموم:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

وقال أهل الإيمان: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧].

ومن ذلك إرهاق أهل النار بالصعود:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

قال بعض العلماء: هذا جبل يكلف بصعوده، وقيل غير ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٧].

وفيها أيضًا الذلُّ، والخزي والمهانة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:٤٧].

وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢].

وكم من آية فيها وصف للعذاب بأنه مهين، وأليم وعظيم:

وقال تعالى في شأن بعض أهل النار: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٩].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت:٢٩].

ولقد توعد الله قومًا بالويل، وتوعد أقوامًا بالغي، فكم من آية فيها (ويلٌ)... (للمطففين ـ لكل همزة لمزة ـ يومئذ للمكذبين).

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقد قيل في الويل: إنها توعدٌ بالعذاب الشديد، وقيل: إنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار.

إن أهل النار يهملون فيها ويُنسون فيها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

الشجاع الأقرع[١] يوم القيامة

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن آتاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يومَ القِيامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُه يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـ يَعْني: شِدْقَيهِ ـ ثُمَّ يقولُ: أَنَا مَالُكَ، وَأَنَا كَنْزُكَ» ثُم تَلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ...﴾ [آل عمران:١٨٠].

وهؤلاء قوم لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم:

أخرج مسلم[٣] في صحيحه من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ[٤] وَلَا يُزَكِّيهِمْ[٥] وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٦]» قال: فقرأها رسولُ الله ثلاثَ مِرارٍ. قال أبو ذرٍّ: خابُوا وخسروا، مَنْ هُمْ يَا رَسولَ الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ[٧]، والمَنّانُ، والمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ».

---

(١) هو حية غظيمة ضخمة، تساقط شعر رأسها من شدة السم الذي بها.
(٢) البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨).
(٣) مسلم (حديث١٠٦).
(٤) (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم): معناه: الإعراض عنهم.
(٥) (ولا يزكيهم): لا يطهرهم من دنس ذنوبهم.
(٦) (ولهم عذاب أليم): أي: مؤلم. قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه.
(٧) (المسبل): هو المرخي إزاره، الجارّ طرفه خيلاء.

وفي الصحيح(١) من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ».

ومن أهوال النار أيضًا

إنهم في النار مقمحون جعلت في رقابهم أغلالٌ كبيرة بلغت إلى الأذقان، فدومًا أبصارهم شاخصة إلى أعلى ورقابهم منثنيةٌ.

إنهم جثاةٌ على الركب، قال تعالى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢].

وقبل ذلك فإنهم حضور حول النار، جثاةً على الركب كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٦٨، ٦٩].

لهم فيها زفير ولهم أيضًا شهيق، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٦].

يسمع لهم الجؤار والصياح:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۝ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٤، ٦٥].

إنهم يُسحبون في النار على وجوههم يُقال لهم ذوقوا مس سقر!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٧، ٤٨].

---

(١) مسلم (حديث ١٠٨).

إنهم يطوفون بين جهنم وبين الحميم الآن (الماء الحار الشديد).

قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٣، ٤٤].

إن النار من شدتها تقذف بهم أحيانًا إلى أعلى، فهنالك يطرقون بمطارق من حديد تردهم مرة ثانية إلى قاع الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج:٢١، ٢٢].

وهذا أيضًا مشهدٌ من المشاهد:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧].

أي: ولو ترى أهل النار وهم وقوف عليها لرأيت منظرًا عظيمًا وكربًا شديدًا، وهولًا فظيعًا، فكلهم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، والإيمان بالله وتصديق آياته.

ولكن ـ ومع رؤيتهم النار وما فيها ـ ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

وهذا حديث عظيم في رؤيا رآها النبي ﷺ يبين صورًا من العذاب:

أخرج البخاري[1] من حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هَلْ رَأَى أحدٌ مِنْكُم من رُؤيا؟» قَال: فيقصُّ عليه ما شاء الله أن يقص. وإنه قال لنا ذات غداة: «إِنَّه أَتَانِي الليلةَ آتِيانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انطَلَقتُ مَعَهُمَا، وَإِنَا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَاهُنَا، فيتبعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلا يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعودُ عَلَيْهِ فيفْعَلُ بِهِ مثلَ مَا فَعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأُولَى». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله، مَا هَذَانِ؟» قَالَ:

---

(١) البخاري (٧٠٤٧).

«قَالَا لِي: انطَلِقْ انطَلِق، فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَر قَائِمٌ عَلَيهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أحدَ شِقّي وَجههِ فيُشرشِر شِدقه إلى قَفَاهُ، ومِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وعَينَه إلى قَفَاهُ، قَالَ: وربَّما قال أبو رجاء فيشُقُّ. قال: ثمَّ يتحوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخرِ فيفعَلُ بِهِ مِثلَ مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الجانبِ حتَّى يَصحَّ ذَلِكَ الجانِبُ كَمَا كَانَ، ثمَّ يعودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مثلَ مَا فَعَلَ المرَّةَ الأُولَى». قَالَ: «قلتُ: سُبحانَ الله! مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثلِ التَّنُّورِ» قَالَ: وَأَحْسَبُ أَنَّه كانَ يقولُ: «فَإِذَا فيهِ لَغَطٌ وَأَصْواتٌ». قَالَ: «فاطَّلَعْنَا فِيهِ فإذَا فيهِ رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وَإِذَا هُم يأتيهم لَهَبٌ مِنْ أسفلَ مِنهُم، فإذَا أَتَاهُم ذلِكَ اللهبُ ضَوْضَوا». قَالَ: «قُلتُ لَهُما: مَا هؤلاءِ؟» قَال: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ انطَلِقْ». قَالَ: «فانطلَقْنَا فأَتَيْنَا على نَهَر حَسِبْتُ أَنَّه كَانَ يقولُ أحمرُ مِثلُ الدَّم، وإِذَا فِي النَّهرِ رجلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَط النَّهْرِ رجلٌ قد جَمَعَ عندَهُ حجارةً كثيرةً، وإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَد جَمَعَ عندَهُ الحِجَارةَ فَيَفغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فأَلْقَمَهُ حَجَرًا»، قَالَ: «قُلتُ لَهُما: مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انطَلِقْ انطَلِقْ». قَالَ: «فانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المِرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أنتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرآةً، وَإِذَا عندَهُ نار يَحُشُّها ويَسْعَى حَوْلَهَا». قَالَ: «قُلتُ لَهُما: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالا لِي: انطَلِقْ انطَلِق، فانطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوضَةٍ مُعْتِمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبيعِ، وَإِذَا بَينَ ظَهرَي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طولًا فِي السَّماءِ، وَإِذَا حَولَ الرَّجُلِ مِنْ أكثرِ ولدانٍ رَأَيْتُهُم قَطُّ»، قَالَ: «قلتُ لَهُما: مَا هَذَا؟ مَا هؤلاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِق. فانْطَلَقْنَا فانْتَهَيْنَا إِلَى روضَةٍ عَظِيمةٍ لَمْ أَرَ روضَةً قَطُّ أَعْظَمُ مِنْهَا وَلَا أحسَنَ». قَالَ: «قَالَا لِي: ارق، فارْتَقَيْتُ فِيهَا». قَالَ: «فارْتَقَيْنَا فِيهَا فانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّة، فَأَتَيْنَا بابَ المَدِينَةِ فاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فتَلَقَّانَا فِيهَا رِجالٌ، شَطرٌ مِنْ خَلْقِهِم كَأَحْسَنِ مَا أنتَ رَاءٍ وَشَطرٌ كأَقْبَحِ مَا أنتَ رَاءٍ»، قَالَ: «قَالَا لَهُم: اذْهَبُوا فَقَعُوا في ذَلِكَ النَّهرِ»، قَالَ: «وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ المَحْضُ مِنَ البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَد ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُم فَصَارُوا فِي أحسَنِ صورةٍ». قَالَ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جنةُ عَدْنٍ وهَذَاكَ مَنْزِلُكَ. قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فإذَا قَصْرٌ مِثلُ الرَّبَابَةِ البيضاءِ»، قَالَ: «قَالَا لِي:

هَذَاكَ مَنْزِلُكَ»، قَالَ: «قُلتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فأَدْخُلَه! قَالَا: أَمَّا الآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ». قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَد رأَيْتُ مُنذُ الليلةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذِي أتيتَ عليه يُثْلَغَ رأسُهُ بالحجرِ فإنَّه الرجلُ يأخُذُ بالقُرآنِ فيرفُضَهُ وينامُ عنِ الصلاةِ المَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أتيتَ عليهِ يشرشَرُ شِدقُه إلَى قَفَاهُ ومِنخَرُهُ إلى قَفَاهُ وعَينهُ إلى قَفَاهُ فإنَّه الرجلُ يَغْدو منْ بَيْتِهِ فيكذِبُ الكذبةَ تَبْلُغُ الآفاقَ. وأَمَّا الرجالُ والنِّساءُ العُراةُ الذين فِي مثلِ بناءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ والزَّوانِي. وأَمَّا الرَّجُلُ الذي أتيتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهرِ ويُلْقَمُ الحجرَ فإنَّه آكِلُ الرِّبَا. وأَمَّا الرجلُ الكريهُ المرآةِ الذِي عندَ النَّارِ يَحُشُّهَا ويَسْعَى حَوْلَهَا فإنَّه مَالكٌ خَازنُ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطويلُ الذي فِي الرَّوضةِ فإنَّه إبراهيمُ ﷺ، وأَمَّا الوِلْدانُ الذِين حَولَهُ فكلُّ مولودٍ مَاتَ علَى الفِطْرَةِ». قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولادُ المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. وأَمَّا القومُ الَّذينَ كَانُوا شَطرٌ مِنْهُم حَسَنًا وشطرٌ قَبِيحًا فإنَّهم قومٌ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وآخرَ سَيِّئًا تَجاوَزَ اللهُ عَنْهُم».

كلام أهل النار

إنهم أحيانًا يتكلمون، ولكن لا نفع من وراء هذا الكلام، كلامهم كله طلبًا للخروج أو تخفيف العذاب، أو الاعتذار.

يكلمون ربهم يسألونه الخروج مما هم فيه، ولكن هيهات هيهات.

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ

مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٦ـ١١٠].

وهذا أيضًا كلامٌ لأهل النار مع الخزنة، وكلام الخزنة معهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر:٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك:٨، ٩].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١].

أما عن خطاب أهل النار مع أهل الجنة:

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠].

كلامهم مع آلهتهم التي كانوا يعبدون:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٦ـ٩٨].

كلام الشيطان مع أهل النار:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

كلام أهل النار مع بعضهم:

إنهم يتلاعنون فيما بينهم ويتخاصمون أشد الخصومة ويتعادون أشد العداوة.

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت:٢٥].

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ص:٥٩، ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:٢١].

دعاء أهل النار على أنفسهم بالويل والهلاك:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان:١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١٠، ١١].

ومع كل نداءات أهل النار، ومع كل هذه الاستغاثات فلا مجيب، ولا نصير ولا شافع.

قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، وقال

تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٧، ١٨].

بل إن اللوم ينصب على أهل النار من كل جانب

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

إن الخزنة تقول لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك:٨].

إن الرجل من أهل الجنة ينادي من كان يحاول إغواءه في الدنيا قائلًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات:٥٦، ٥٧].

وكذلك لو افتدى بأي فديةٍ فلن تقبل منه:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام:٧٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:١٢٣].

ففي الصحيحين[١] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَنَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَم. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ ـ أحسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ ـ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ».

حرمان أهل النار من رؤية ربهم يوم القيامة:

إن أهل النار يحرمون من رؤية ربهم ـ عزَّ وجلَّ ـ، ويحرمون من تكليمه لهم، إلا

(١) مسلم (٢٨٠٥)، والبخاري (٣٣٣٤).

كلامًا يزيدهم عذابًا، ويحرمون من نظره إليهم، ومن تزكيته لهم وتطهيرهم، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧].

خلود أهل النار، وبقاؤهم فيها وعدم تخفيف العذاب عنهم، وبقاء النار وعدم فنائها:

قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٧].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج:٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]. وقال سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم:١٧]. وقال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [النحل:٨٥]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:٧٤]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١٢، ١٣]. وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]. وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٥].

ومن الدليل على خلود أهل النار فيها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاءُ بِالمَوْتِ يَومَ القِيامَةِ

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ - زاد أبو كُرَيب : فَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ (واتفقا في باقي الحديث) - فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوتُ» قال: «وَيُقَالُ: يَا أهلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟» قال: «فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الموتُ» قال: «فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ» قال: «ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلا مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوتَ» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وأشار بيده إلى الدُّنيا.

وفي الصحيحين[1] من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، ويُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُم فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، لَا مَوتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، لَا مَوتَ. كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ».

أما من احتج على فناء النار بقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣] وذلك أنه قال (أعني المستدل على فنائها): إنهم بعد هذه الأحقاب يخرجون أو أنها تفنى.

فذلك مردود بالنظر إلى الآيات التي تلتها، فإن الله قال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَآءً وِفَاقًا...﴾ إلى قوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٢٣ - ٣٠].

فليس بعد الأحقاب إلا زيادة في العذاب - عياذًا بالله من النار ومن كل عذاب.

وكذا الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦، ١٠٧].

فلا يتم الاستدلال بها على فناء النار؛ وذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - بيَّن في آيات أُخر مشيئته في عدم خروجهم، وذلك في الآيات التي أوردناها.

ثم إن من أهل العلم من قال: إن هذه الآيات في عصاة الموحدين الذين أدخلوا النار، فهؤلاء سيأتي عليهم يوم يخرجون منها في الوقت الذي قدَّره الله وقضاه.

وفي ذلك أقوال أُخر أيضًا لأهل العلم، ليس هذا موضعها.

---

(١) البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠).

وهذه طينة الخبال، عصارة أهل النار، لمن شرب المُسكر في الحياة الدنيا.

أخرج مسلم في صحيحه[١] من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللهِ ـ عَزَّ وجلَّ ـ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**» قَالُوا: يا رسولَ الله! ومَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**».

وفي الصحيح[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ[٣] فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا. وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ[٤] فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ[٥] خالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**».

قلت: وعمومًا فمن قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة كما ورد في الصحيح[٦] عن رسول الله ﷺ.

وهذا رجلٌ غَلَّ مِن الغنيمةِ (سرق من الغنيمة شيئًا قبل قسمتها) تشتعل عليه نارًا

أخرج مسلم[٧] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبرَ، ففتحَ الله علينا، فلم نغنم ذهبًا ولا وَرِقًا، غنمنا المتاع والطعامَ والثِّيابَ. ثم انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له، وَهَبَه رجلٌ من جُذام يُدعى رِفاعة بن زيد، من بني الضُّبيب، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحُلُّ رحلَهُ[٨]، فرُمِي بسهم، فكان فيه حَتفُه[٩]. فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله! قال رسول الله ﷺ: «**كَلَّا، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ**

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٠٢).
(٢) مسلم (حديث١٠٩).
(٣) يتوجأ: يطعن.
(٤) يتحساه: يشربه في تمهل ويتجرعه.
(٥) يتردى: ينزل، يسقط هاويًا.
(٦) مسلم (حديث١١٠).
(٧) مسلم (حديث١١٥).
(٨) يحل رحله: الرحل هو مركب الرجل على البعير.
(٩) فكان فيه حتفه: أي موته، وجمعه حتوف، ومات حتف أنفه أي من غير قتل ولا ضرب.

بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ[١] لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نارًا، أَخَذَهَا من الغَنَائِمِ يَومَ خَيْبَرَ. لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ» قال: ففزعَ الناسُ، فجاء رجلٌ بشراكٍ[٢] أو شِراكين، فقال: يا رسولَ الله، أصبتُ[٣] يومَ خيبر. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نارٍ أَوْ شِرَاكَينِ مِنْ نَارٍ».

وهذا مشهد مُروِّع[٤] من المشاهد

أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ النَّاسَ. فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ[٥] لَهُمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله. قَالَ: فَيَقُولُ إبرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ[٦]. اعمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ الله وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ[٧]، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ[٨] يمينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالبَرْقِ» قَالَ قُلْتُ: بأبي أنتَ وأمي! أي شيء كَمَرِّ البرقِ؟ قَال: «أَلَمْ تَرَوا إِلَى البرقِ كَيْفَ يَمُرُّ ويَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثم كَمَرِّ الريحِ. ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيرِ وشدِّ الرِّجَالِ[٩]. تجري بِهِم

---

(١) الشملة: كساء صغير يؤتزر به.

(٢) بشراك: الشراك هو السير المعروف الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

(٣) أصبت يوم خيبر: فيه حذف المفعول أي: أصبت هذا.

(٤) مسلم (حديث١٩٥).

(٥) تزلف: أي تقرب. كما قال الله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي: قربت.

(٦) من وراءَ وراءَ: قال الإمام النووي: قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه، وقال: الفتح صحيح. وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ، وشَغَرَ بَغَرَ، تَسَقطوا بَيْنَ بَيْنَ، فركبهما وبناهما على الفتح.

(٧) وترسل الأمانة والرحم: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما. فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.

(٨) جنبتي الصراط: معناهما جانباه، ناحيتاه اليمنى واليسرى.

(٩) وشد الرجال: الشد هو العدو البالغ والجري.

أَعْمَالُهم (١). ونَبِيُّكُم قائمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّم سَلِّم. حتَّى تَعْجزَ أَعْمَالُ العِبَادِ. حتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا». قَالَ: «وَفِي حَافَّتَي الصِّرَاطِ (٢) كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ. مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ. فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ (٣) فِي النَّارِ».

والذي نفسُ أبي هريرة بيده، إنَّ قعرَ جهنَّم لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

وفي هذا الخبر المتقدم أمرٌ مهم ألا وهو أن الرحم والأمانة تقفان بجنبتي الصراط، قال بعض العلماء: إنهما تستوقفان من قطعهما وخانهما، فالرحم إذا مرَّ بها قاطعٌ قالت: يا رب هذا قطعني، وإذا وصلها واصلٌ وشهدت له بذلك ودعت له بالسلامة والأمان.

وكذلك الأمانة تقف على جانب الصراط تستوقف من خانها، فتقول: يا رب هذا قد خان الأمانة فانتصر لي منه، وإذا كان قد أدى الأمانة شهدت له بخير، ودعت له بخير، وساعدته في المرور على الصراط.

وهذه أخبار في وصف الصراط والنار
وفيها بيان لخروج الموحدين من النار

وفي الصحيح (٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيئًا فَلْيَتْبَعهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، ويَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتُ (٥) الطَّوَاغِيتَ. وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا

(١) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.
(٢) حافتي الصراط: هما جانباه.
(٣) ومكدوس: قال في النهاية: أي مدفوع، وتكدَّس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائه فسقط.
(٤) مسلم (١٨٢)، والبخاري (٧٤٣٧)، ومطلعه أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب...».
(٥) الطواغيت جمع طاغوت، وهو كل مَن عُبد من دون الله ورضي بذلك.

رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم. فَيَقُولُونَ: أنتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ(١)، فأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ(٢). ولا يَتَكَلَّمُ يومَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ. ودَعْوَى الرُّسُلِ يومَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ(٣). هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قالوا: نعم، يا رسول الله. قَالَ: «إِنَّهَا مِثلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ» غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم. فَمِنهُمُ المُؤمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ(٤). ومِنْهُمُ المُجَازَى حتَّى يُنَجَّى، حتَّى إذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبادِ، وَأَرادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أهلِ النَّارِ، أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لا إِلَه إِلَّا اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُم فِي النَّارِ. يَعْرِفُونَهُم بِأَثَرِ السُّجودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِن ابنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ. حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا(٥). فَيُصَبُّ عَلَيْهِم مَاءُ الحياةِ. فَيَنْبُتُونَ مِنهُ(٦) كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ(٧). ثُمَّ يَفرُغُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، ويَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ. فَإِنَّهُ قَد قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا(٨)، فَيَدْعُو اللهَ مَا

---

(١) يُضرب: أي يُمد.

(٢) أكون أول من يمر عليه ويمضي عليه ويتجاوزه.

(٣) وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان: أما الكلاليب فجمع كلُّوب، وهي حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور، قال صاحب المطالع: هي خشبة في رأسها عُقَّافَةُ حديد، وقد تكون حديدًا كلها، ويُقال لها أيضًا: كلاب، وأما السعدان فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

(٤) بقي بعمله: ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه: أحدها المؤمن بقي، والثاني الموثق، والثالث الموبق يعني بعمله.

(٥) قد امتحشوا: معناه: احترقوا.

(٦) فينبتون منه: معناه ينبتون بسببه.

(٧) كما تنبت الحبة في حميل السيل: الحبة هي بذر البقول والعشب، تنبت في البراري وجوانب السيول، وجمعها حِبَب. وحميل السيل ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل. والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته.

(٨) قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها: قشبني معناه سمّني وآذاني وأهلكني، كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب، وقال الداودي: معناه غيَّر جلدي وصورتي. وأما «ذكاؤها» فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها. والأشهر في اللغة «ذكاها» مقصور. وذكر جماعات أن المد والقصر لغتان.

شاءَ اللهُ أن يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعالى ـ: هَلْ عَسَيْتَ[١] إن فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ! فَيقولُ: لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّهُ مِن عُهُودٍ وَمَواثِيقَ مَا شاءَ اللهُ. فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ. فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجنةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَي رَبِّ قَدِّمْنِي إلى بَابِ الجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَواثِيقَكَ لا تَسأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ. وَيْلَكَ يَابنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! ويَدْعُو اللهَ حتَّى يَقُولَ لَه: فَهَلْ عَسَيْتَ إنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أنْ تَسأَلَ غَيْرَهُ؟! فيقولُ: لا. وَعِزَّتِكَ! فيُعطِي ربهُ مَا شَاءَ اللهُ منْ عُهُودٍ ومواثِيقَ. فَيُقَدِّمُهُ إلى بَابِ الجنةِ. فَإذَا قامَ عَلَى بابِ الجَنَّةِ انْفَهَقَتْ[٢] لَهُ الجنةُ. فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الخَيرِ والسُّرُورِ. فيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يقولُ: أي ربِّ! أَدْخِلنِي الجنَّةَ. فيقولُ اللهُ ـ تبارَكَ وتَعَالَى ـ لَهُ: أليسَ قد أَعْطَيتَ عهودَكَ وَمَواثِيقَكَ أنْ لا تَسْأَلَ غيْرَ ما أُعطِيتَ؟. ويلَكَ يا بْنَ آدَمَ! ما أَغْدَرَكَ! فَيقُولُ: أيْ رَبِّ! لا أكونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حتَّى يَضْحَكَ اللهُ ـ تَبَارَك وَتَعَالَى ـ مِنْهُ. فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ له: تَمَنَّهْ. فَيَسأَلُ ربَّهُ ويَتَمَنَّى. حتَّى إنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وكَذَا[٣] حتى إذا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ ومِثْلُهُ مَعَهُ».

وفي الصحيحين[٤] من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذَا كانَ يَومُ القِيامةِ أَذَّنَ مؤذِّنٌ: لِيَتْبَعْ كُلُّ أمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ والأَنْصَابِ، إلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِن بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أهلِ الكِتَابِ[٥]. فيُدعَى اليهودُ فَيُقَالُ لَهُم: مَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ؟**

---

(١) هل عسيت: لغتان بفتح السين وكسرها. قال في الكشاف عند قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا. والشرط فاصل بينهما، والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا، يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون: أراد أن يقول: عسيتم أن لا تقاتلوا، بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل هل مستفهمًا عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه.

(٢) انفهقت: معناه انفتحت واتسعت.

(٣) ليذكره من كذا وكذا: معناه يقول له: تمنّ من الشيء الفلاني، ومن الشيء الآخر، يسمي له أجناس ما يتمنى.

(٤) مسلم (حديث ١٨٣).

(٥) وغبر أهل الكتاب: معناه بقاياهم، جمع غابر.

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بنَ الله. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ! مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا! فاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ(١) يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى. فَيُقَالُ لَهُم: مَا كُنْتُم تَعْبُدُون؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ بنَ الله. فَيُقَالُ لَهُم: كَذَبْتُم. مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يا رَبَّنَا فاسْقِنَا. قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِم: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا(٢)، فيتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أدنَى صُورَةٍ مِنَ التي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تنتَظِرونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كانت تعبدُ. قَالُوا: يا رَبَّنا، فارَقْنَا الناسَ في الدنيا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِم(٣) وَلَمْ نُصاحِبهُم. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُم . فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ. لا نُشْرِكُ بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتَّى إِنَّ بَعْضَهُم لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ(٤). فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُ وبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَم. فَيُكْشَفُ عن ساقٍ(٥)، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إلا أَذِنَ اللهُ لَهُ بالسُّجُودِ. وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً ورياءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً(٦) كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءوسَهُم، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ التي رَأَوْهُ فِيهَا

---

(١) كأنها سراب: السراب ما يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعًا مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

(٢) يحطم بعضها بعضًا: معناه لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها. والحطم الكسر والإهلاك، والحطمة اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها.

(٣) فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم:
معنى قولهم التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم، وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى، وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم.

(٤) لَيَكاد أن ينقلب: هكذا هو في الأصول بإثبات أن، وإثباتها مع كاد لغة، كما أن حذفها مع عسى لغة، ومعنى ينقلب: أن يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي جرى.

(٥) فيكشف عن ساق: ضبط يكشف بفتح الياء وضمها، وهما صحيحان، وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة، أي يُكشف عن شدة وأمر مهول.

(٦) طبقة واحدة: قال الهروي وغيره: الطبق فقار الظهر، أي صار فقارة واحدة كالصفيحة، فلا يقدر على السجود لله تعالى.

أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ[١] ، ويَقُولونَ: اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم» قيل: يا رسول الله، وما الجِسرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ[٢] فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكٌ[٣] ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانِ، فَيَمُرُّ المؤمِنُونَ كَطَرْفِ العينِ وكَالبَرْقِ وكالرِّيحِ، وكالطَّيرِ، وكأَجَاويدِ الخَيْلِ، والرِّكَابِ[٤] ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، ومَكْدوسٌ فِي نارِ جهنَّمَ[٥] ، حتّى إذَا خَلَصَ المؤمنينَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفسِي بيَدِهِ مَا مِنْكُم مِن أحدٍ بأشَدَّ مُناشدةً لله، في استقصَاءِ الحقِّ[٦] ، مِنَ المؤمنينَ لله يومَ القيامةِ لإخوانِهِمُ الذينَ فِي النَّارِ. يَقُولُونَ: ربَّنا، كانُوا يصُومُونَ مَعَنَا ويُصلُّونَ ويحجُّونَ. فيُقَالُ لهم: أخرِجُوا مَنْ عَرَفْتُم. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُم عَلَى النَّارِ. فَيُخرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا قد أخَذَتِ النَّارُ إلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثم يقولون: ربَّنا ما بَقِيَ فِيهَا أحدٌ ممنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارجِعُوا، فَمَن وَجَدْتُم فِي قلبِهِ مثقالَ دِينَارٍ مِن خيرٍ[٧] فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أحدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يقولُ: ارجِعُوا. فَمَنْ وَجَدتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ.

---

(١) ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة: الجسر بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان، وهو الصراط، ومعنى تحل الشفاعة: بكسر الحاء وقيل بضمها: أي تقع ويؤذن فيها.

(٢) دحض مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر. ومنه: دحضت الشمس أي مالت، وحجة داحضة أي: لا ثبات لها.

(٣) فيها خطاطيف وكلاليب وحسك: أما الخطاطيف فجمع خطاف، بضم الخاء في المفرد، والكلاليب بمعناه، وقد تقدم بيانهما، وأما الحسك فهو شوك صلب من حديد.

(٤) وكأجاويد الخيل والركاب: من إضافة الصفة إلى الموصوف، قال في النهاية: الأجاويد جمع أجواد، وهو جمع جواد، وهو الجيد الجري من المطيّ. والركاب أي: الإبل، واحدتها راحلة من غير لفظها، فهو عطف على الخيل، والخيل جمع الفرس من غير لفظه.

(٥) فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم: معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلًا، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم. قال في النهاية: وتكدس الإنسان إذا دُفِعَ من ورائه فسقط. ويروى بالشين المعجمة، من الكدش وهو السوق الشديد، والكدش: الطرد والجرح أحيانًا.

(٦) في استقصاء الحق: أي تحصيله من خصمه والمتعدي عليه.

(٧) من خير: قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: قيل : معنى الخير هنا اليقين. قال: والصحيح إن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، ونية صادقة.

فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُم فِي قَلْبِهِ مِثقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولونَ: رَبَّنا، لَنْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»(١).

وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] «فَيَقُولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: شَفَعَتِ المَلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ المؤمِنونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ(٢) فَيُخرِجُ مِنْهَا قومًا لَمْ يَعْملُوا خيرًا قطُّ قَد عادُوا حُمَمًا(٣). فَيُلْقيهم في نَهَرٍ فِي أَفْواهِ الجَنَّةِ(٤) يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الحَيَاةِ. فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبةُ فِي حَمِيلِ السَّيلِ(٥)، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ. مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ. وما يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ(٦)؟»

فقالوا: يا رسول الله، كأَنَّكَ كُنتَ تَرعَى بالبادية. قالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ(٧)، يَعْرِفُهُم أهلُ الجَنَّةِ هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ اللهِ(١) الذين أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجنةَ بِغَيرِ

---

(١) لم نذر فيها خيرًا: هكذا هو خير بإسكان الياء، أي: صاحب خير.

(٢) فيقبض قبضة من النار: معناه يجمع جماعة.

(٣) قد عادوا حممًا: معنى عادوا صاروا، وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم فهو الفحم، واحدته حممة، كحطمة.

(٤) في أفواه الجنة: الأفواه جمع فُوَّهة، وهو جمع سمع من العرب على غير قايس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها، قال صاحب المطالع: كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها.

(٥) الحبة في حميل السيل: الحبة بالكسر بذور البقول وحب الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وحميل السيل هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول. فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٦) ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض: أما يكون في الموضعين الأولين فتامة. ليس لها خبر. معناها ما يقع. وأصيفر وأخيضر مرفوعان. وأما يكون أبيض فيكون فيه ناقصة، وأبيض منصوب وهو خبرها.

(٧) فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم: الخواتم جمع خاتَم، بفتح التاء وكسرها، قال صاحب التحرير: المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يُعرفون بها، قال: معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ.

عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجنةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَارَبَّنَا! أَيُّ شيءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله: «أما أهلُ النَّارِ الذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُم لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَونَ، وَلَكِنْ ناسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِم (أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً. حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحمًا، أُذِنَ بالشَّفَاعةِ. فجيءَ بِهِم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ[٣]. فَبُثُّوا عَلَى[٤] أنهارِ الجنَّةِ. ثُمَّ قِيلَ: يَا أهلَ الجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيهم. فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فقالَ رجلٌ مِنَ القوم: كَأَنَّ رسولَ الله ﷺ قَد كَانَ بالبادِيةِ.

وأخرج مسلم[٥] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يخرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى الله. فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدْنِي فِيهَا. فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا».

وفي الصحيحين[٦] من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ من النارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً. ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً».

ونجتزئ بهذا البحث ونسأل الله أن يعيذنا من النار.

❀❀❀

---

(١) هؤلاء عتقاء الله: أي يقولون: هؤلاء عتقاء الله.
(٢) مسلم (حديث ١٨٥).
(٣) ضبائر: أي جماعات في تفرقة.
(٤) فبثوا: معناه فُرِّقوا.
(٥) مسلم (حديث ١٩٢).
(٦) مسلم في طرق حديث (١٩٣).

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن
كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ
﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

س : اذكر معنى ما يلي :

(﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ – ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ – عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ – مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ – بَطَآئِنُهَا – إِسْتَبْرَقٍ – وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ – دَانٍ – قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ – لَمْ يَطْمِثْهُنَّ – ٱلْيَاقُوتُ – وَٱلْمَرْجَانُ – وَمِن دُونِهِمَا – مُدْهَآمَّتَانِ – نَضَّاخَتَانِ – خَيْرَٰتٌ – حِسَانٌ – حُورٌ – مَّقْصُورَٰتٌ – ٱلْخِيَامِ – رَفْرَفٍ – وَعَبْقَرِىٍّ – ذِى ٱلْجَلَٰلِ – وَٱلْإِكْرَامِ ﴾)

ج :

الكلمة	معناها .
﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾	قيام العبد بين يدي ربه في الآخرة ، وقيل: مقام العبد بين يدي ربه في الدنيا ، وقيل: اضطلاع الله عليه .
﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾	ذواتا ألوانٍ. وقيل: المراد ألوان الفاكهة أي: صنوف من الفاكهة، وقيل: ذواتا أغصان[1] ، وقيل: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما .
﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾	عينا ماءٍ تجريان .
﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾	من كل صنف من أصناف الفاكهة نوعان، كل صنف له لذةٌ ولون ليس للنوع الآخر.
﴿بَطَآئِنُهَا﴾	حشوها الداخلي .
﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾	غليظ الديباج .
﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾	ثمر البساتين ـ ثمر الحديقتين
﴿دَانٍ﴾	قريب منهم [2] يناله القائم والقاعد والمضطجع .
﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾	النساء اللواتي قد قُصر طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال ، ولا يردن غير الأزواج [3] .

(١) قيل يمس بعضها بعضًا كالمعروشات .

(٢) قال الطبري: لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها لاجتناء ثمرها ولكنهم يجتنونها من قعودٍ بغير عناء ، وأورد الطبري بسندٍ حسنٍ عن قتادة (٣٣١٠٩) قوله (وجنى الجنتين دان) قال: ثمارهم دانية لا يرد أيديهم عنه بُعد ولا شوك . ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: « والذي نفسي بيده لا يقطع رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرًا منها ».
والجزء المرفوع من هذا الحديث ضعيف لإرساله .

(٣) أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد (٣٣١١٤) قال في قوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، تقول: وعزّة ربي وجلاله وجماله، إن أرى في الجنة شيئًا أحسن منك ، فالحمد لله الذي جعلك زوجي ، وجعلني زوجك.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾	لم يجامعهن ـ لم يمسهن ، وقد قيل: إن الطمث هو النكاح بالتدمية (أي فض غشاء البكارة بالجماع) .
﴿الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾	صفاء الياقوت في بياض المرجان.
﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾	أقل منهما درجة ومنزلة وفضلًا ، وذلك لأصحاب اليمين ، والأول للمقربين[١] .
﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾	سوداوان من شدة الخضرة، خضراوان من شدة الرِّي (كثرة ما أخذته الأشجار من الماء) ناعمتان.
﴿نَضَّاخَتَانِ﴾	فوَّارتان ـ ينتضخان الماء ـ ممتلئتان لا تنقصان.
﴿خَيْرَاتٌ﴾	خيرات الأخلاق.[٢]
﴿حِسَانٌ﴾	حسان الوجوه .
﴿حُورٌ﴾	حور العين (جمع حوراء) ـ بيض.
﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾	قصرن النظر على أزواجهن .
﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾	محبوسات في الحجال ـ لا يغادرن الخيام بمحض إرادتهن ـ لسن بطوافات في الطرقات . البيوت ـ الدر المجوف [٣] ـ بيوت اللؤلؤ

---

(١) أخرج الطبري (٣٣١٣٨) بسندٍ عن ابن عباس في قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] قال: كان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها جنة أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ وهي التي لا تعلم ، أو قال: وهما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاءً، بما كانوا يعملون . قال : وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيهما ، أو ما فيها ، يأتيهم كلّ يوم منها أو ومنهما تحفة .

(٢) قاله قتادة بسندٍ حسن عنه (عند الطبري ٣٣١٦٧).

(٣) وفي الحديث الخيمة درة مجوفة ، ففي الصحيح (٣٢٤٣) من حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :« إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلًا ، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون » . ورواه أيضًا من حديث أبي عمران به ، وقال : « ثلاثون ميلًا» . وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلوة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلًا ، للمؤمن فيها أهله ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا » ومسلم (٢٨٣٨) .

﴿رَفْرَفٍ﴾	الرفرف رياض الجنة ـ المجالس والبُسُط (السجاجيد) وقيل المرافق .
﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾	الطنافس الثخان ـ السجاجيد السميكة ـ الديباج .
﴿الْجَلَالِ﴾	العظمة
﴿وَالْإِكْرَامِ﴾	من له الإكرام من جميع خلقه ـ الكبرياء .

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ .

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أن الشخص يهم بالذنب والمعصية ، فيذكر الله فيدعها مخافة الله .

الثاني: أنه يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيستغفر لله وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح[١] عن إبراهيم النخعي قال في هذه الآية : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله.

وبإسناد حسن[٢] عن قتادة قال : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ، ودانوا له وتعبدوا بالليل والنهار .

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

هذه الآية الكريمة فيها وجهان معروفان عند العلماء ، كلاهما يشهد له قرآن.

أحدهما : أن المراد بقوله : مقام ربه : أي قيامه بين يدي ربه ، فالمقام اسم مصدر بمعنى القيام ، وفاعله على هذا الوجه هو العبد الخائف ، وإنما أضيف إلى الرب لوقوعه بين يديه ، وهذا الوجه يشهد له قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، فإن قوله : ونهى النفس عن الهوى:

---

(١) الطبري (٣٣٠٨٤).

(٢) الطبري (٣٣٠٨٥) .

قرينة دالة على أنه خاف عاقبة الذنب، حين يقوم بين يدي ربه، فنهى نفسه عن هواها.

والوجه الثاني : أن فاعل المصدر الميمي الذي هو المقام ، هو الله تعالى: أي خاف هذا العبد قيام العبد قيام الله عليه ومراقبته لأعماله وإحصاءها عليه ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على قيام الله على جميع خلقه وإحصائه عليهم أعمالهم كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد:٣٣]، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١] الآية . إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى في شأن الجن : ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١] الآية ، أن قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وتصريحه بالامتنان بذلك على الإنس والجن في قوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، نص قرآني على أن المؤمنين الخائفين مقام ربهم من الجن يدخلون الجنة.

أما قوله: (جنتان) أي: بستانان . هذا ، وقد أورد الطبري بإسناد صحيح [1] عن ابن زيد قال في قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ قال : جنتا السابقين ، فقرأ ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ ثم رجع إلى أصحاب اليمين ، فقال : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ فذكر فضلهما وما فيهما.

❀❀❀

س : هل صح عن رسول الله ﷺ حديث في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

ج : ابتداءً فقد أخرج الطبري [2] من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن رغِمَ أنْف أبي الدرداء** ».

(١) الطبري (٣٣٠٩٣).
(٢) الطبري (٣٣٠٨٧).

س : هل ورد في وصف الجنتين شيءٌ من سنة رسول الله ﷺ ؟

ج : ورد في ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال : أن رسول الله ﷺ قال : « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم - عزَّ وجل - إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .

❀❀❀

(١) البخاري (٤٨٧٨).

بحثٌ موسع حول الجنة جعلنا الله من أهلها

س: اذكر بمزيد من التفصيل شيئًا مما يتعلق بالجنة وأسمائها وأهلها وما أُعد فيها من النعيم ؟

تعريف بالجنة وأسمائها
وما وصفت به في كتاب الله عزَّ وجلَّ

أما عن معنى الجنة ، فالجنة الحديقة ذات الشجر والنخل ، وقد قال بعض أهل اللغة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنب ، وقال بعض العلماء : سميت جنةٌ لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها ، والجنة التي نتناول ذِكرها ها هنا إن شاء الله هي دار النعيم في الآخرة.

أما عن أسماء الجنة وما أطلق عليها :

دار السلام: قال تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [الأنعام : ١٢٧] ، وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [يونس : ٢٥] .

قال بعض أهل العلم : سميت بذلك ، لأنها دار السلامة من كل بلية وكل آفة وكل مكروه .

وقيل **أيضًا:** هي دار الله[1] لأن الله هو السلام، فالسلام اسم من أسماء الله عزَّ وجل.

ـ ولأن أهل الجنة دائمًا يُلَقون فيها التحية والسلام، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، وكما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [الواقعة:٢٥، ٢٦].

---

(١) وفي الحديث: فاستأذن على ربي في داره. أخرجه البخاري (٧٤٤٠).

وهي أيضًا جنة الخلد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان:١٥]، وسميت بهذا الاسم؛ لأن أهلها يُخلَّدون فيها ولا يتحولون عنها، ولا يبغون عنها حولاً (أي: تحولاً).

ولأن نعيمهم فيها لا ينقطع ولا يفنى ولا يبيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وتسمى أيضًا جنة المأوى:

قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٤، ١٥].

قيل: لأن أرواح الشهداء وأرواح المؤمنين تأوي إليها.

ومن أسمائها دار المقامة:

قال أهل الإيمان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٤، ٣٥].

وقيل عنها دار المقامة ـ والله أعلم ـ؛ لكون أهلها يقيمون فيها ويستوطنونها ولا يخرجون منها.

ومنها أيضًا جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢].

وقوله عدن أي: إقامة.

ومنها مقعد صدق: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥].

ومنها قدم صدق: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢].

ويطلق عليها أيضًا: المقام الأمين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.
لكونه آمن من كل آفةٍ وسوء ومكروه.

وهي جنات النعيم أيضًا: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان:٨].

وذلك لما فيها من صنوف النعيم.

والفردوسُ جنةٌ من الجنان وهي أفضلها وأعلاها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

وقد قال النبي ﷺ لأم حارثة: «إِنَّهَا جِنَانٌ وإِنَّ ابْنَكِ قد أَصَابَ الفِرْدَوْسَ مِنْهَا»(١). وقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي الجنَّةِ مِائَةَ دَرَجةٍ أعدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرضِ، فإِذَا سَأَلْتُم اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِردَوسَ فَإِنَّه أَعْلَى الجنَّةِ وَأَوسَطُ الجنَّةِ وَمِنهُ تُفَجَّرُ أَنهَارُ الجنَّةِ وَفَوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ»(٢).

وصفٌ موجَزٌ للجنة وما فيها من النعيم المقيم وبيان عظمتها:

إن الواصف للجنة مهما وصف، بل والمتخيل لها مهما تخيل فلن يأتي على شيء مما فيها، فضلاً عن بعضه، وفضلاً عن كله، فليس الخبر كالمعاينة، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ففي الصحيحين(٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ

---

(١) البخاري بنحوه (٣٩٨٢)، وأحمد (٣/ ١٢٤، ٢١٠، ٢١٥) وغيرهم من حديث أنس ولفظه عند البخاري: قال: أصيب حارثةُ يوم بدر وهو غُلام، فجاءت أُمُّه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عَرَفْتَ منزلةَ حارثةَ مني، فإن يكن في الجنة أصْبِر وأحْتَسب وإن تكن الأخرى تَرَى ما أصنع، فقال: «ويحك ـ أوَ هَبِلْتِ ـ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس».

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ١١).

(٣) البخاري (حديث ٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] ».

وأخرج مسلم(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: شهدْتُ من رسولِ الله ﷺ مجلسًا وصفَ فيه الجنَّةَ. حتَّى انتَهى. ثُمَّ قالَ ﷺ في آخِرِ حديثِه: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» ثم اقْتَرأَ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [٣٢/ السجدة: ١٦، ١٧].

وفي الجنة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، وله فيها أيضًا ما تشتهيه نفسه وتلذُّ به عينُه.

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

وقد تقفُ على شيءٍ من عظيمِ قدر الجنة إذا علمت حديث رسولك محمد ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيرٌ مِن الدَّنيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

وكذلك تعرف شيئًا من عظيم قدرها إذا علمت ما أُعد لأدنى أهل الجنة من المنازل:

فقد روى مسلمٌ (٣) في صحيحه من طريق الشعبي عن المغيرة بن شعبةَ قال: سمعتُه على المنبرِ، يرفَعُه إلى رسول الله ﷺ قال: وحدَّثني بشر بنُ الحكم، «واللفظُ له». حدَّثنا سفيانُ بنُ عيينةَ، حدَّثنا مُطَرِّفٌ وابنُ أبجَرَ سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يقُولُ: سمِعْتُ المغيرةَ بنَ شعبةَ يُخْبِرُ به الناسَ على المنبرِ، قال سفيانُ: رفَعَه أحدُهما (أُراهُ ابنَ أَبْجَرَ) قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أهلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَه: ادْخُلِ الجنَّةَ. فيقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيفَ؟ وَقَد نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَـهُم وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِم؟ فيُقَالُ لَه: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيَا؟ فَيَقُولُ:

(١) مسلم (٢٨٢٥).
(٢) البخاري (حديث ٣٢٥٠).
(٣) مسلم (١٨٩).

رَضِيتُ، ربِّ! فَيقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشرَةُ أمثَالِه. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُك. فيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلَاهُم مَنزِلَةً؟ قَالَ: أولَئِكَ الذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْها. فلَمْ تَرَ عَيْنٌ ولَم تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلبِ بَشَر» قال: ومِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] الآيَةَ.

أما عن وصف الجنة إجمالاً فأقول وبالله التوفيق:

إن الجنة عالية القدر عالية المكان كذلك، فقد قال تعالى: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، وهي فوق السماء السابعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾، [النجم: ١٤، ١٥]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه صلوات الله وسلامه عليه رأى سدرة المنتهى بعد تجاوز السماء السابعة ثم إن رائحة هذه الجنة تُشَم عن بُعد وتشتاق إلى أهلها وأهلها يشتاقون إليها وتقترب منهم ويقتربون منها ويشمون رائحتها عن بُعد ويُزفون إليها معززين مكرمين، يتقدمهم رسول الله ﷺ إذ الجنة لا تفتح لأحدٍ قبله، فيطرق الباب فيستأذن فيؤذن له فيدخل.

أما عن أبواب الجنة فهي ثمانية أبواب.

أما بناؤها فلبنةٌ من ذهب، ولبنةٌ من فضةٍ، وهناك أيضًا جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.

أما عن عَرْضِ الجنة وطولها، فعرضها كعرض السماء والأرض.

وأما طولها فلا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا دخلها النبيُّ ﷺ - كما أسلفنا - فأمته أول الأمم بعده دخولاً صلوات الله وسلامه عليه فإذا دخلوها وجدوا تربتها مسكًا خالصًا أبيض وزعفرانًا، أما الحصباء (الحصى) فقطع اللؤلؤ الكبيرة التي هي في الغاية من الروعة والجمال.

إذا دخلوها سلمت عليهم الملائكة عند دخولها، وأعظم من ذلك وأجل فتحيتهم يوم يلقون ربهم سلام.

أما عن صفاتهم عند دخولها فوجوههم بيضاء مسفرة ضاحكةٌ مستبشرة،

وجوههم كالقمر ليلة البدر، نزع من صدورهم الغل، أزيل عنهم التشاحن والتباغض والاختلاف، قلوبهم متآلفة كأنها قلب رجلٍ واحدٍ، طولهم عند دخولها ستون ذراعًا في السماء.

والجنةُ درجات، ودخولها جماعات جماعات، أي على دفعات في أوقات.

وأعلى درجاتها الوسيلة، وهي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله يرجوها رسولنا محمد ﷺ لنفسه، ثم بعد ذلك الفردوس الذي فوقه عرش الرحمن، ثم سائر الجنان.

في الجنة سادة وشيوخ ـ بعد الأنبياء والمرسلين ـ : شيوخ كأبي بكر وعمر رضي الله عنه سيدا شيوخ أهل الجنة ما خلا الأنبياء والمرسلين ـ ، وسيدا الشباب حسنٌ وحسينٌ ـ رضي الله عنهما ـ وسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، وسيدة النساء فاطمة رضي الله عنها.

وأهل الجنة في الجملةِ قسمان:

﴿ٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

والقسم الثاني: أصحاب اليمين، وكل قسم ينقسم إلى أقسام عديدة.

إذا دخلوها وجدوا فيها أنهارًا كثيرة، وجدوا فيها أنهارًا من ماءٍ غير آسن، وأنهارًا من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، وأنهارًا من عسلٍ مصفى!!!

وجدوا فيها كذلك النيل والفرات وسيحان وجيحان!!

وجدوا كذلك فيها نهر الحياة، الذي يلقى فيه من خرج من النار مسودًا محترقًا فيُلقى في النهر فيرجع أجمل ما كان وأحسن ما كان.

وجدوا كذلك الحوض والكوثر، وجدوا حوض النبي محمد ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وعدد آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

وجدوا الترع والعيون الجارية، والعيون الفوارة.

وجدوا روضات الجنات، وجدوا الحدائق، وجدوا روحًا وريحانًا وجنة نعيم.

وجدوا القصور التي لا يعلم حسنها وجمالها إلا الله فقد بنيت بالذهب والفضة، آنيتها وصحافها وقدورها وقواريرها وما فيها من ذهب وفضة.

وكذلك فهنالك المساكن والبيوت والغرف والخيام الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون لا يراهم الآخرون.

ثم هم على تفاوت في الدرجات: فأقوام في أعلى عليين، وأقوام دون ذلك في الفضل والنعيم كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].

أما شجر الجنة:

فكبير وطويل وظله ممدود.

شجرة من شجرها يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها!!

ظل دائم لا يُفسح ولا يزول ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥] فاكهة الجنة قريبة من أهلها دانية منهم.

أما عن سُررها:

فمرفوعة عالية، سرر منسوجة بالذهب مرصعةٌ بالجواهر، الحشو الذي حُشيت به فُرُشها من استبرق، فإذا كانت البواطن من استبرق (وهو الحرير الخالص) فكيف بالظواهر!!

إن أمرها لعجيب، وإن شأنها لعظيم. هناك الأرائك التي يتكئون عليها والسرر التي ينامون عليها منها سررٌ في الحجال (أي: السرير فوقه خيمة تستر مَن يجلس عليه ويتكئ).

الأرضيات قد فُرشت بأبهى وأفخر الحرير وأجمله، أما الزرابي فمبثوثة منتشرة وهنالك الرفارف الخضر والعبقري الحسان.

إن سألت عن لباس أهل الجنة:

فمن حرير، سندس وإستبرق، ثياب خضر من أجمل الثياب وأحسن الثياب لونًا.

أما عن الحلي:

فلقد قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣].

أما صنوف الفاكهة:

فكلها هنالك بالجنة يتنعم بها أهلها كيف شاءوا، كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، وكما قال: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وكما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧]، فكل صنوف الفاكهة موجودة التي عرفناها والتي لم نعرفها.

وكذلك كل صنوف الحلوى وما يستلذ به من الطعام والشراب فهنالك بالجنة، إذ الله قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٢].

أما عن سائر طعام أهل الجنة:

فأولُ طعام يأكلونه زيادة كبد النون، والنون الحوت ففي الكبد زيادات هي أحب الطعام تؤخذ من الكبد ويكرم بها أهل الجنة، ثم ينحر لهم ثور الجنة الذي أكل من أطرافها.

وهنالك اللحم: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١].

وهناك النسوة الحسناوات: حور العين: واسعة العين، شديدة البياض، مع شدة سوادٍ مع اتساعٍ وحسنٍ وبهاءٍ وجمالٍ.

إنهن بيضاوات كاللؤلؤ المكنون.

إن مخ سوقهن يُرى من وراء اللحم من الحسن.

إنهن متحببات للأزواج عاشقات للأزواج.

قاصرات الطرف، لا تنظر إلا إلى زوجها.

قد جعلهن الله أبكارًا، وإن كن في الدنيا صرن عجائز لكنهن في الآخرة أبكارًا، عُربًا: محببات للأزواج مدلَّلات سعيدات بالأزواج، أترابًا: في سن واحدة كذلك فهن

كواعب: لم يتدلَّ منهن الثدي؛ كالبنات، بل الثدي مستدير.

أما عن الجماع والشهوة: فقد أُعْطِيَ الواحد من أهل الجنة قوة مائة شخص في الجماع والشهوة، والحمل والإنجاب ممكن إن أراده الشخص واشتهاه ولكن ليس كحمل الدنيا، ولا وقته كوقته إنما كل ذلك على وجه حسنٍ وجميل وسريعٍ.

وكذلك هنالك مراضع لمن يشاء الله لها ذلك.

إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتنخمون ولا يتغوطون ولا يبزقون بل تخرج منهم فضلاتهم كعرق رائحته رائحة المسك.

أما عن خدم أهل الجنة: فكاللؤلؤ المكنون في حسنهم وجمالهم وعددهم في غاية من الكثرة يلبون كل الطلبات ولا يتأخرون، وكما وصفهم ربي ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

لا يتسرب إليهم المشيب، ولا تتقدم بهم الأعمار ولا يتغيرون عن حالتهم لسنٍ تقدم بهم.

أما عن سماعهم وكلامهم: فلا لغوٌ في الجنة، ولا تأثيم فإذا سمعوا سمعوا كل خير، وإذا تكلموا تكلموا بكل خير، بالهم هادي، قلوبهم مطمئنة أذهب الله عنهم الحزن، ورزقهم الله الأمن والأمان.

هناك أماكن وأسواق للفسح والزيارات: يأتونها كل جمعة فيرجعون إلى أهاليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيجدون أهاليهم قد ازدادوا أيضًا من بعدهم حسنًا وجمالاً.

يتحادثون فيما بينهم بما كان منهم في دنياهم ويطلعون أحيانًا على أهل النار ليزدادوا شكرًا على ما امتن الله به عليهم: من السلامة والنجاة وفسيح الجنان وواسع المنازل.

إن نعيمهم لا يزول ولا يتحول: وهم الآخرون لا يبغون عن الجنة حولاً، ولا يريدون عنها تحولاً.

لقد حببت إليهم الجنة وأحبتهم هي الأخرى، لقد رضوا عن معيشتهم فهم في

عيشة راضية.

إنهم في نعيم مقيم لا موت ولا شيخوخة ولا هرم، ينعمون بتكليم الله لهم، أجل تنعم ويسعدون بذلك أعظم سعادة.

يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وتلك أعظم لذةٍ وأتمها وأكملها.

يُحلل الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

فنسأل الله أن يُحلل علينا رضوانه فلا يسخط علينا بعده أبدًا، ونسأله سبحانه لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. ونسأله سبحانه أن يسكننا الفردوس، وإلى التفصيل لما قد ذُكر، وبالله التوفيق.

أين الجنة؟

أما عن مكان الجنة فهي فوق السماء السابعة، وذلك لما تقدمت الإشارة إليه من أن النبي ﷺ رآها ليلة المعراج بعد أن تجاوز السماء السابعة، فقد رأى سدرة المنتهى[١]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٤، ١٥].

- فوق الجنة عرش الرحمن كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد تقدم، ففيه أن النبي ﷺ قال في شأن الفردوس: «... **وفَوقَهُ عَرشُ الرَّحمَنِ**».

ورائحة الجنة توجد عن بُعد وتُشمّ كذلك عن بُعد:

ففي الحديث: «**وإنَّ رِيحَهَا ليُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَربَعِينَ عَامًا**»[٢].

ولقد قال أنس بن النضر يوم أحد: واهًا لريح الجنة أجده دون أحد[٣]. وهناك روايات أخرى.

---

(١) ففي الحديث: ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه، قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرَّت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، (مسلم، حديث ١٦٢)، والبخاري (٧٥٠٧).

(٢) البخاري (٣١٦٦).

(٣) البخاري (٢٨٠٥).

فمن الناس من يشم رائحة الجنة عن بُعدٍ، ومنهم من يشمها عن مسافة أقرب وأقرب.

وأهل الجنة يعرفونها قبل دخولها:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦].

وقال رسول الله ﷺ(١): «إِذا خَلُصَ المؤمنونَ مِن النَّارِ حُبِسوا بقَنْطَرةٍ بَينَ الجنَّةِ والنَّارِ فَيَتقاصُّونَ مَظالمَ كَانَتْ بَينَهمْ في الدُّنيَا حَتى إذا نُقُّوا وَهُذِّبوا أُذِنَ لهم بِدُخُولِ الجنَّةِ، فَوَالَّذي نَفسُ محمَّدٍ بِيدِهِ لَأَحَدُهُم بِمَسْكَنِهِ في الجنَّةِ أَدلُّ بِمَنزِله كَانَ فِي الدُّنيَا».

وفي الصحيحين(٢) من حديث عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحدُكُم فَإِنَّهَ يُعْرَضُ عَلَيهِ مَقعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِن أَهلِ الجنَّةِ فَمِن أَهلِ الجنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهلِ النَّارِ فَمِنْ أَهلِ النَّارِ».

ويُحشرون إليها وفودًا مكرمين:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

ويُساقون إليها جماعات جماعات:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣].

ثم إن الجنة تقترب من أهلها وتشتاق إليهم وتفتح لهم أبوابها وتستقبلهم الخزنةُ بحفاوةٍ وترحيبٍ، فقد قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٣١] أي: أنها أُدنيت وقُرِّبت.

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

---

(١) البخاري (٢٤٤٠).

(٢) البخاري (٣٢٤٠)، ومسلم (٢٨٦٦).

أما عرض الجنة وطولها:

فطولها لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، أما عرضها فقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:٢١].

فإذا كان هذا العرض فما ظنك بالطول.

أما عن بناء الجنة:

فلبنةٌ من ذهب، ولبنة من فضة، وهناك جنتان بناؤهما كله من ذهب، وأخريان بناؤهما كله من فضة، ففي الحديث وسيأتي: « جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنيتُهُما وَمَا فِيهما وجَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ آنيتهُما وَمَا فِيهِمَا».

وعند ابن راهويه[١] بسندٍ قد يُحسَّن مثله عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله ما بناء الجنة؟ قال: «لَبِنَةٌ مِن ذَهَبٍ، وَلَبِنةٌ مِن فِضَّةٍ، وَمِلاطُها المِسْكُ، وتُربَتُها الزَّعْفَرَانُ، وَحَصْبَتُها اللؤلؤُ، مَن يَدخُلْهَا يَنعمْ لا يَبأسُ، ولا يخرِقُ ثِيَابَه، ولا يَبْلى شَبابَه».

أما عن أبوابها فهي ثمانية أبواب، ففي الصحيح[٢] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «في الجنَّةِ ثَمانِيةُ أَبوَابٍ»، وفي صحيح مسلم من حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ يَتوضأُ فَيُبلغُ الوُضُوءَ (أو فيسبغُ الوُضُوءَ) ثُمَّ يقولُ أَشْهَدُ ألا إلهَ إلا اللهَ وأنَّ مُحمدًا عبدُ الله وَرَسُولهِ إلا فُتِحَتْ لَه أبوابُ الجنَّةِ الثمانيةُ يَدْخُلُ مِن أيِّها شَاءَ»[٣].

ومنها باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للصلاة وباب للصدقة وغير ذلك، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن أَنْفَقَ زَوجَينِ مِن شيءٍ مِن الأَشيَاءِ في سَبِيلِ الله دُعِيَ مِن أبوَابِ ـ يَعني الجنةَ ـ يا عَبدَ الله هَذا خَيرٌ فَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلاةِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ

(١) مسند إسحاق (١/ ٣١٧).
(٢) البخاري (٣٢٥٧).
(٣) مسلم (٢٣٤).

الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّدقةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقةِ، وَمَن كَان مِن أَهلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِن بَابِ الصِّيامِ وَبَابِ الرَّيانِ». فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورةٍ، وقال: هل يُدعى منها كلِّها أحدٌ يا رسولَ الله؟ قال: «نَعَم، وَأَرجُو أَن، تَكُونَ مِنهُم يَا أَبَا بَكرٍ»[1].

أما عن سعة أبواب الجنة:

فقد روى الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أَنتُم تُوفونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُم آخِرهَا وَأَكرَمُهَا عَلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا بَينَ مِصرَاعين مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيْرَة أَرْبَعِينَ عَامًا، ولَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيْظٌ»[2].

ونبينا محمد ﷺ أول من تفتح له الجنة

والجنة لا تفتح أبوابها لأحد قبل هذا النبي الكريم ﷺ، أخرج مسلم[3] في صحيحه من حديث أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَاسْتَفتِحُ. فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَن أَنتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبلَكَ».

وفي صحيح مسلم[4] أن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيْعٍ فِي الجَنَّةِ».

أما عن أهل الجنة فأهلها أهل الإسلام:

أهل الإيمان أهل التوحيد فالجنة لا يدخلها إلا نفس مُسلمة كما قال النبي ﷺ، فقد أمر بلالاً أن ينادي في الناس: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا نَفسٌ مُسْلِمَةٌ»[5].

ولقد قال أهل الجنة لأهل النار لما سألوهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَـٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾

---

(١) البخاري (حديث: ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) أحمد (٥/ ٣).
(٣) مسلم (١٩٧).
(٤) مسلم (حديث ١٩٦).
(٥) البخاري (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١)، وفي بعض الروايات: إلا المؤمنون.

[الأعراف:٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

إن أهل الجنة هم المتقون(١):

وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

ألا فليصبر الفقراء:

ففي الصحيح(٢) من حديثِ عِمْرَانَ بن حُصَينٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فرَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكثرَ أهْلِها النِّسَاءَ».

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ المُسْلِمِينَ الجنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِم بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُمائةُ عَامٍ»(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرينَ يَسْبِقونَ الأغنياءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيْفًا»(٤).

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه(٥): «وَأَهْلُ الجنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

وفي الصحيحين(٦) من حديث حارثة ابن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلا أُخْبِرُكُم بِأَهْلِ الجنَّةِ: كُلُّ ضَعِيْفٍ مُتَضَعِّفٍ لَو أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ».

---

(١) الذين اتقوا الشرك بالله.
(٢) البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨).
(٣) إسناده صحيح، رواه الترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤).
(٤) مسلم (٢٩٧٩).
(٥) مسلم (٢٨٦٥).
(٦) البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

وقد جاءت نصوص في أمور من فعلها دخل الجنة: وذلك فيمن قال: لا إله إلا الله، مخلصًا من قلبه، ومن حافظ على الصلواتِ الخمس مع تحسين الوضوء والحج المبرور، ومن مات لها اثنان من الولد فاحتسبت، والذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، ومن خاف ربه فله جنتان، والمتحابون في الله والشهداء. ومن حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه، ومن تورع عن سؤال الناس شيئًا، ومن بنى لله مسجدًا، وأمورٍ شتى ـ أعاننا الله على كل خير ـ.

وأمة محمد ﷺ أول الأمم دخولاً الجنة بعد نبيهم ﷺ، ففي صحيح مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحنُ الآخِرونَ الأوَّلونَ يَومَ القِيامةِ، وَنَحنُ أَوَّلُ مَن يَدخُل الجنَّةَ، بِيْدَ أَنَّهُم أوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِنا وأُوتيناهُ مِن بَعدِهِم. فَاختَلَفُوا فَهدَانَا اللهُ لما اختلَفَوا فِيهِ مِن الحقِّ، فَهَذا يَومُهُم الذِي اختَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ (قالَ: يومُ الجُمُعَةِ) فاليَومُ لَنا، وَغَدًا لِليَهُود، وَبَعدُ غَدٍ للنَّصَارَى**».

ومـن هـذه الأمـــة سبعون ألفًا، وفي بعـض الروايات سبعمائة ألفٍ يدخلون الجنة بغير حساب:

وانظر إلى صفتهم أثناء الدخول، ففي الصحيحين من حديث سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**ليَدْخُلَنَّ مِن أُمَّتِي سَبعُونَ ألفًا ـ أو سَبعُمائةِ ألفٍ ـ لا يدْخُلُ أَوَّلُهُم حَتَّى يَدْخُلَ آخرُهُم، وجُوهُهُم عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ**»[2].

وفي روايةٍ: «**آخِذُ بعضُهُم بعضًا**»[3].

إن أهل الجنة يتفاضلون تفاضلاً كبيرًا فيما بينهم، ويتفاوتون في الدرجات تفاوتًا أعظم بكثير من ذلك التفاوت في درجات الدنيا.

قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].

---

(١) مسلم (حديث ٨٥٥)، واللفظ له، وأصله عند البخاري (٣٤٨٦).

(٢) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٥٤٨).

(٣) مسلم (٢١٩)، والبخاري (٦٥٥٤).

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٤].

وأهل الجنة في الجملة ينقسمون إلى قسمين السابقين المقربين، وأصحاب اليمين:

ولقد ذُكر هذا القسمان في عدة سور من كتاب الله عزَّ وجل فقد قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:٧ ـ ١١].

وفي آخر السورة قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨ ـ ٩٤].

أما عن أول زمرةٍ تدخل الجنة فلا اختلاف بينهم ولا تباغض، ففي الصحيحين[١] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أولُ زُمْرةٍ تَلجُ الجنَّةَ صورَتُهُمْ على صُورةِ القَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيها وَلا يَمْتَخَّطُونَ ولا يتَغوَّطُونَ، آنيتُهُم فِيهَا الذَّهَبُ، أَمشَاطُهُم مِن الذَّهَبِ والفضَّةِ، وَمجامرُهُم الألُوَّةُ، ورشْحُهُمْ المسْكُ، ولكُلِّ واحِدٍ منهم زَوجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِن وراءِ اللحمِ مِن الحُسْنِ. لا اختِلافَ بَينَهُم وَلا تَباغُضَ، قلُوبُهُم قَلبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ الله بُكرَةً وَعشيًّا**».

والغلُّ منزوع من صدورهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

وطولهم عند دخول الجنة ستون ذراعًا:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**خَلقَ الله عزَّ وجلَّ آدَمَ عَلى صُورَتِه، طُولُه سِتُونَ ذِراعًا، فلمّا خلَقَهُ قال: اذْهَبْ فسلِّمْ عَلى أولئِكَ النَّفَرِ، وهُمْ نَفَرٌ مِنَ الملائكةِ جُلُوسٌ، فاسْتَمِعْ ما يُجِيبُونَكَ، فإنَّها تحيَّتُكَ وتَحيَّةُ**

---

(١) البخاري (حديث ٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

ذُرِيَّتِكَ، قَالَ: فذَهَبَ فقالَ: السَّلامُ عَليكُم. فَقالُوا: السلامُ عليكَ وَرحمةُ الله. قَالَ: فزادُوهُ: ورحمةُ الله. قال: فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلى صورةِ آدَمَ. وطُولُه سِتُّونَ ذِراعًا. فلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بعْدَه حتَّى الآن»[١].

ووجوه أهل الجنة ناضرة بيضاء:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وكما هو معلوم فإنها قلوب أهل الإيمان.

وجوههم مسفرةٌ ضاحكة مستبشرة.

وفي الجنة سادة وسيدات:

فسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[٢].

وسيدا شبابها الحسن والحسين رضي الله عنهما[٣].

وسيدة نسائها فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٤].

عتقاء الله:

في الصحيحين[٥] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:... فذكر حديثًا طويلاً فيه: «فَيقُولُ الله عزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الملائِكَةُ وشَفَعَ النَّبيونَ وشفَعَ المؤمِنُونَ. وَلَم يَبقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فيَقْبِضُ قَبضَةً مِن النَّارِ فَيخرُجُ مِنهَا قَومًا لم يَعمَلوا خَيرًا قَطُّ، قَد عَادُوا حُمَمًا، فَيلقيهُم فِي نَهرٍ في أَفوَاهِ الجَنَّةِ يُقالُ لَه نَهرُ الحَياةِ. فَيخرجُونَ كَما تخرجُ الحَبةُ في حَميلِ السَّيلِ. ألا تَرونَها تَكونُ إلى الحجرِ أو إلى الشَّجَرِ. مَا

(١) البخاري (حديث ٣٣٣٦)، ومسلم (٢٨٤١).
(٢) حسن بمجموع طرقه: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٥)، وغيره، وانظر كتابي الصحيح المسند من فضائل الصحابة.
(٣) صحيح: انظر «مسند أحمد» (٣/ ٣)، والترمذي (٣٧٦٨).
(٤) صحيح انظر البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠)، و الحاكم في المستدرك (٣/ ١٥١)
(٥) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له.

يكونُ إلى الشَّمسِ أُصيفِرُ وأُخَيضرُ. وَما يَكونُ مِنها إلى الظِلِّ يَكونُ أَبيَضَ؟»

فقالوا: يا رسول الله! كأنَّكَ كنتَ ترعَى بالباديةِ.

قالَ: «فَيخرُجُونَ كاللُّؤلُؤِ في رِقَابِهِمُ الخواتِمُ، يعْرِفُهُم أَهلُ الجنَّةِ. هؤلاءِ عُتقاءُ الله الذينَ أدخَلَهُمُ الله الجنَّةَ بِغيرِ عَملٍ عَملُوهُ وَلا خَيرٍ قدَّمُوه. ثُم يَقولُ: ادخُلُوا الجنَّةَ فَما رأيتُمُوهُ فَهُوَ لكُمْ. فَيقُولُونَ: ربَّنَا! أعطيتَنَا ما لم تُعْطِ أَحدًا مِن العَالمينَ. فيقُولُ: لَكُم عِندِي أَفضَلُ مِن هَذا. فَيقولُونَ: يَا ربَّنَا! أيُّ شيءٍ أَفضَلُ منَ هَذا؟ فيقُولُ: رِضَايَ. فلا أَسْخَطُ عَليكم بَعْدَهُ أبدًا».

وهناكَ خلقٌ يُنشئهم الله عزَّ وجل للجنة فيدخلهم إيَّاها؛ ففي الحديث: «.... وَأمَّا الجنَّةُ فَإنَّ اللهَ يُنْشِيءُ لها خَلْقًا»[١].

أما عن عدد الجنات، فالذي وقفت عليه بالدليل أنها في الجملة أربع، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢].

ولقول النبي ﷺ: «جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنيتُهُما وَمَا فِيهِما، وَجَنَّتَانِ مِن فِضةٍ آنيتُهُما وَمَا فِيهِما، وَمَا بَينَ القَومِ وَبَينَ أَن يَنظرُوا إِلَى رَبهم إلا رِدَاءُ الكِبرِيَاءِ عَلى وَجهِهِ فِي جَنَّةِ عَدنٍ»[٢].

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»:

وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين: فقالت طائفة: من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما.

وقالت طائفة: بل معنى من دونهما تحتهما قالوا: وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا: هذا دون هذا أي دونه في المنزلة، كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك، وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧).
(٢) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

قال: ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه:

أحدهما: قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفيه قولان: أحدهما: أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني: أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما.

الثاني: قوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] والنضاخة: هي الفوارة والجارية السارحة، وهي أحسن من الفوارة؛ لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالث: أنه قال: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى، وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب، وقالت طائفة: نوعان ولم تزد، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر؛ وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم.

الرابع: أنه قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخريين قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وفسر الرفرف بالمحابس والبسط، وفسر بالفرش، وفسر بالمحابس فوقها، وعلى كل قول فلم يصفه بها وصف به فرش الجنتين الأوليين.

الخامس: أنه قال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي قريبٌ سهلٌ يتناولونه كيف شاءوا ولم يذكر ذلك في الأخريين.

السادس: أنه قال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصر

أطراف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن، وقال في الأخريين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون، وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنه أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين، وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري، فإن قيل: فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل: فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان؟ قيل: هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثاني بوجهين:

أحدهما: من جهة النقل.

الثاني: من جهة المعنى، فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هُمَا بُستَانَانِ فِي رِيَاضِ الجنَّةِ**» وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية: جزاء اجتنابَ المحارم.

فإن قيل: فكيف قال في ذكر النساء «فيهن» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قال «فيهما»؟

قيل: لما ذكر الفرش قال بعدها: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى، والله أعلم.

أما عن عدد درجات الجنان فهذا أمر لا يعلمه إلا الله:

ومما وقفت عليه من الأدلة ما يلي:

قول النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الجنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ»(١).

وقوله ﷺ: «فَإِنَّكَ لَنْ تَسجُدَ لله سَجدَةً إلا رَفعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً»(٢).

وقوله ﷺ: «يُقالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ اقرَأ وارتَقِ ورَتِّل فَإِنَ مَنزِلَتَكَ عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقرَؤهَا»(٣).

وقولُه تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه:٧٦].

وفي الجنة منزلةٌ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله يرجوها رسولنا ﷺ لنفسه، ألا وهي الوسيلة؛ ففي الحديث: «إِذَا سَمِعتُم المؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّه مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله بِها عَليهِ عَشرًا ثُمَّ سَلُوا الله لِي الوَسِيلَةَ فإنَّها مَنزِلةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنبَغِي إلا لِعَبدٍ مِن عِبَادِ الله، وَأَرجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٤).

وإذا دخل أهل الجنة الجنة وجدوا تربتها (ترابها) مسكًا خالصًا أبيض؛ ومنها مواطن تربتها زعفران؛ أما الحصى الذي بها فهو قطعٌ كبيرةٌ من لؤلؤ، فلقد سأل النبي ﷺ ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ»(٥)، وفي بعض الروايات أن الذي سأل هو ابن صياد، والذي أجاب هو رسول الله

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) مسلم (٤٨٨).

(٣) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٢/ ١٥٣)، والترمذي (٨/ ٢٣٢)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) مسلم (مع النووي ٤/ ٨٥)، وجاء ذكر الوسيلة أيضًا عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٩٩).

(٥) مسلم (٢٩٢٨).

ﷺ، والأمر في ذلك قريب.

ووجدوا فيها أيضًا قطع اللؤلؤ الكبيرة العظيمة:

وفي الصحيحين من حديث أنسٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أُدْخِلْتُ الجنَّةَ فَإذَا فِيهَا جَنَابِذُ[1] اللؤلؤ، وَإذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»[2].

ووجدوا فيها أنهارًا لا يعلم عددها إلا الله ـ عزَّ وجل ـ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].

ومن هذه الأنهار: أنهارٌ من ماء غير أسنٍ، وأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه، وأنهارٍ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مصفى.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد:١٥].

وفي الحديث[3] عن رسول الله ﷺ: «إنَّ فِي الجنَّةِ بَحْرُ المَاء وَبَحْرُ[4] العَسَلِ وَبَحْرُ اللبَنِ وَبَحَرُ الخَمْرِ ثُمَّ يُشَقِقُ الأنهَارَ بَعدَهُ».

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «حادي الأرواح»:

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

---

(١) يعني، والله أعلم قطع اللؤلؤ الكبيرة، فالجنابذ جمع جنبذة وهي كل شيء مرتفع مستدير، وفي الحديث الخيمة درة مجوفة.

(٢) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٣) صحيح لشواهده: وأخرجه الترمذي (٢٥٧١).

(٤) والبحر يطلق أحيانًا على النهر، وذلك لاتساعه، فالبحر يطلق على الشئ الواسع، ومنه الحديث في شأن الفرس (وإن وجدناه لبحرا أي واسع الخطو سريع.

وهذا من آيات الرب تعالى أن، تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها؛ بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قيامًا له ولم يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها بابًا من الخير وفتحت له بابًا من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ شَرِبَ الخَمرَ فِي الدُّنْيَا لم يَشْرَبْهَا فِي الآخِرةِ**» لكفى.

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة.

فإن قيل: فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله: غير آسن؟

قيل: الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم.

وهذه الأنهار تتفجر من الفردوس:

ففي الصحيح [١] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ فَإِنَّهُ وَسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجَنَّةِ**»[٢].

وفيهما نهران ظاهران ونهران باطنان:

ألا وهما سيحان وجيحان والنيل والفرات، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ والفُرَاتُ والنيلُ كلٌّ مِنْ أنهارِ الجنَّةِ**»[٣].

وهذان النهران الظاهران والنهران الباطنان يخرجان من ساق سدرة المنتهى:

ففي الصحيحين[٤] من حديث مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ عِنْدَ البَيْتِ...**» فذكر الحديث وفيه: «**... وَرُفِعتُ لِي سِدرَةُ المنتَهى، فَإِذَا نَبْقُهَا كَأَنَّه قِلالُ هَجَرَ، ووَرَقُهَا كَأَنَّه آذَانُ الفِيُولِ، فِي أَصلِها أَربَعَةُ أَنهارٍ: نَهرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهرَانِ ظَاهِرَانِ. فَسَأَلْتُ جِبرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَفِي الجَنَّةِ، وأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالفُرَاتُ**».

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله «حادي الأرواح»: وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلةً إلى أقصى درجاتها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٩).

(٤) البخاري (٣٢٠٧).

وفي الجنة نهر الحياة:

أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ... فذكر الحديث وفيه: «فَيَشفَعُ النَبِيُّونَ والمَلائِكَةُ والمؤمِنُونَ، فَيقُولَ الجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقبِضُ قَبضَةً مَن النَّارِ فيُخرجُ أقوَامًا قَد امتُحِشُوا فيُلقَوْنَ في نَهرٍ بِأفوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَه مَاءُ الحَيَاةِ فَينبتُونَ فِي حَافَّتَيه كَمَا تَنبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَد رَأيتمُوهَا إلى جَانِبِ الصَّخْرةِ وَإلى جَانبِ الشَّجَرةِ فَما كَانَ إلى الشَّمسِ مِنهَا كَانَ أَخضَرَ، وَمَا كَانَ مِنهَا إلى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخرُجونَ كَأَنَّهُم اللؤلؤُ فيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ فَيَدخُلُونَ الجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهلُ الجَنَّةِ هَؤلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحمَنِ أدخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيرِ عَمَلٍ عَمِلُوه وَلَا خَيرٍ قَدَّمُوهُ، فيُقَالُ لَـهم: لَكُم مَا رَأَيتُم وَمِثلُهُ مَعَهُ».

وفيها كذلك الحوض والكوثر:

أخرج البخاري(٢) من حديث أنس بن مالك عن النبيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبرِيْلُ؟ قَالَ: هَذا الكَوثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ ربُّكَ، فإذَا طِيْبُه - أَوْ طِيْنُه - مِسْكٌ أَذْفَرُ».

ومما ورد في وصف الكوثر:

ما أخرجه مسلم(٣) في صحيحه من حديث أنسٍ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بينَ أظهُرِنا، إذ أُغْفَى إغفاءةً، ثمَّ رفَعَ رأْسَهُ مُتَبسِّمًا، فقلنا: ما أضحَكَكَ يا رسولَ الله؟! قال: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣] ثمَّ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الكَوثَرُ؟» فقلنا: الله ورسولُهُ أعلمُ. قالَ: «فإنَّهُ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبي عَزَّ وَجَلَّ، عَليه خَيرٌ كَثِيرٌ. هُوَ حَوضٌ تَرِدُ عَليه أُمَّتِي يَومَ القِيَامَةِ، آنيتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فيُخْتَلَجُ العَبدُ مِنهُم، فأَقُولُ: رَبِّ! إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فيَقُولُ: مَا تَدْرِي ما أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ؟».

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).
(٢) البخاري (٦٥٨١).
(٣) مسلم (٤٠٠).

وفي الجنة ترعٌ كذلك:

فعند أحمد بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال: «مِنْبَرِي هَذَا عَلَى تُرعَةٍ مِن تُرَعِ الجَنَّةِ»(١).

وفي الجنة عيونٌ كذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥] من هذه العيون السلسبيل، ومنها التسنيم ومنها الكافور، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥، ٦].

وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه العيون المذكورة (تسنيم وسلسبيل وعين الكافور) كلها معدة للمقربين، ولكنها تخلط وتمزج لأصحاب اليمين، فالمقربون يشربون منها صرفًا خالصة صافية لم تُشب (أي لم تخلط) بغيرها.

أما أصحاب اليمين فتمزج لهم هذه العيون بغيرها، ودلَّ على ذلك ما ذكر من الآيات الكريمات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين:٢٢ ـ ٢٧] أي: وخليطه من تسنيم، وإذا سألت عن التسنيم ما هي؟ وجدت جوابًا ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٨] أي يشرب منها المقربون.

فهي تمزج لأصحاب اليمين ـ الذين هم ها هنا الأبرار ـ مزجًا ويشرب بها المقربون صرفًا.

هذا، ومما ورد في ذِكر العيون أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦].

---

(١) أحمد بسند حسن (٨٧٠٦).

وفي الجنة روضات:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى:٢٢]، وقال النبي ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجنَّةِ»[١].

وشجر الجنة كبير وظله ممدود:

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء:٥٧].

وفي الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ فِي الجنَّةِ لَشجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لا يَقْطعها» واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠].

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ فِي الجنَّةِ شَجَرةً يَسِيرُ الرَاكِبُ الجَوادَ المُضمرَ السَّريعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقطعُهَا»[٣].

وفي هذا الباب عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ.

فاكهة الجنة وثمرها

أما عن فاكهة الجنة وثمرها، فالجنة فيها من كل صنوف الفاكهة ما علمنا منها وما لم نعلم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥١] قيل: آمنين من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢، ٣٣] أي: لا

(١) البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).
(٢) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).
(٣) البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٨)، وقوله المُضمر (بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية) صفة للخيل المعلوف بطريقة معينة، وهي أنه تعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا قوتًا لتخف.

تكون في وقتٍ دون وقتٍ، ولا تمنع ممن أرادها فثمارها قريبة دانية يقطفون منها كيف شاءوا.

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن:٥٤] أي أن ثمر الجنتين متدلٍ وقريب.

في الجنة السدر المخضود، والمخضود الذي قد خضد[1] شوكه أي نُزع شوكه وقطع فلا شوك فيه، والطلح المنضود (وهو الموز)، فيها ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام:٩٩].

فيها زرع ونخيل، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢].

وعمومًا ففيها من كل الثمرات، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز، قال: مجاهد أعجبهم طلح وج وحسنه فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٩] وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

وقالت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بشـــرها دليلـــها وقـــالا غـــدًا تـــرين الطلـــح والجبـــالا

ولهذا الشجر نور ورائحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة: «هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق: ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها، وأنهارها

(١) وقيل: مخضود بمعنى موقر حملاً، أي أن الشجر قد امتلأ ثمارًا.

تجري في غير أخدود».

وقال الليث: «الطلح شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا» قال أبو إسحاق: «يجوز أن يعني به شجر أو غيلان لأن له نَوْرًا طيب الرائحة جدًا فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي - والله أعلم -».

والجنةُ بها غرفٌ وبيوت ومساكن وقصور، وكذلك بها خيام:

أما الغرف فقد قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر:٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٧٥].

وفي الحديث[1] عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَونَ أَهْلَ الْغُرَفِ كَمَا تَرَاءَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ[2] الغَابِرَ[3] مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بَلْ وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**».

أما البيوت فقد قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١] ولقد قال النبي ﷺ: «**مِنْ بَنَى لله بَيْتًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»[4]، وفي رواية مَسْجِدًا، والحديث بهذا متواتر[5].

أما المساكن فقد قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢].

---

(١) مسلم (٢٨٣١)، والبخاري (٣٢٥٦).

(٢) الدري: العظيم شديد الإضاءة.

(٣) الغابر: الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٥) أعني أنه في أعلى درجات الصحة.

أما القصور ففي الصحيح[1] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينا نحنُ عندَ النبيِّ ﷺ إذ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتَنِي فِي الجَنَّة، فَإِذَا امرَأَةٌ تَتَوضَّأُ إلى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيرَتَهُ، فوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، فبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ الله؟

وقد أُمر النبي[2] ﷺ أن يُبشر خديجة ببيت في الجنة قصب لا صخب فيه ولا نصب.

أما الخيام فقد قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إنَّ للمُؤمنِ في الجنَّةِ لَخَيْمَةٌ مِن لُؤلُؤةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها سِتُّونَ مِيلاً للمُؤمنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَليهم المؤمنُ فَلا يَرَى بَعضُهُم بَعضًا»[3].

وأهل الجنة: ينزلون منها حيث شاءوا ويتبوَّءون منها حيث أرادوا: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤].

وفي الجنة كنوز لمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كما في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد قال له النبي ﷺ: «أَلا أَدُلُّك عَلَى كَلِمَةٍ مِن كُنُوزِ الجنَّةِ، أَوْ قَالَ عَلى كَنْزٍ مِن كُنُوزِ الجنَّةِ؟» قال: فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا باللهِ»[4].

سُرر الجنة وفرشها ووسائدها

أما عن السُّرر والفرش، فالسُّرر مرفوعة عالية، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣].

وهي مصفوفةٌ كذلك، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا عن بعض، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠].

(١) البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).
(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).
(٣) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٤) اللفظ لمسلم (مع النووي ١٧/ ٢٧)، وللحديث طرقٌ أُخر.

وهي موضونة أيضًا (أي منسوجة) وقيل: مرصعةٌ بالجواهر.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح» - في تفسير الموضونة -:

ليس بعضها خلف بعض ولا بعيدًا من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة: النضيد والنسيج المضاعف يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض، فهو موضون.

وقال الليث: الوضن نسج السرير وأشباهه، ويقال درع موضونة مقاربة النسج، وقال رجل من العرب لامرأته: ضني متاع البيت أي قاربي بعضه من بعض.

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة: موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع، ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها على بعض وأنشدوا للأعشى:

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيرًا فعيرًا

قالوا: موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

وهناك أيضًا الأرائك، وهي الأسرة (جمع سرير) في الحجال، وأشبه ما يرى في زماننا به (مع الفارق بين متاع الدنيا والآخرة) السرير الذي مع ناموسية.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما الأرائك: فهي جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: ٣١] قال: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريرًا بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لمكن أريكة قال: ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال قال الليث: الأريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك، وقال أبو إسحاق الأرائك: الفرش في الحجال.

قلت ههنا ثلاثة أشياء: أحدها: السرير، والثانية: الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه، والثالث: الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله.

وفي الصحاح: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الأرائك.

وفي الحديث: «أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة»[١] وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها، والله أعلم.

أما النمارق، وهي الوسائد فهي كثيرة مصفوفة كما قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية:١٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ في تفسير الرفرف ـ:

وأما الرفرف فقال الليث: هو ضرب من الثياب خضر تبسط، الواحد: رفرفة وقال أبو عبيد: الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل:

وإنا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ربط ورفرف

وقال أبو إسحاق: قالوا: الرفرف هاهنا رياض الجنة، وقالوا: الرفرف الوسائد وقالوا: الرفرف المحابس وقالوا: فضول المحابس للفرش وقال المبرد: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره قال الواحدي وكان الأقرب هذا لأن العرب تسمى كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء: رفرفًا. وقال أيضًا: قال ابن الأعرابي: الرفرف ها هنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفًا.

قلت: أصل هذه الكلمة من الطرف والجانب فمنه الرف في الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثني وعطف فهو رفرف في حديث ابن مسعود، في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] قال: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ الأُفُقَ» وهو في الصحيح[٢].

(١) البخاري (١٩٠)، ومسلم (٢٣٤٥).
(٢) البخاري (٤٨٥٨).

أما عن الفُرش:

فالفُرش بطائنها (أي حشوها من الداخل كالمراتب المحشوة من داخلها) من استبرق أي من حرير، فإذا كانت البطائن من حرير فكيف بالظواهر، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤].

أما السجاجيد المفروشة على الأرضيات:

فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ(١) خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، وهذه هي البُسط.

قال ابن القيم في تفسير العبقري:

وأما العبقري فقال أبو عبيدة: كل شيء من البسط عبقري، قال: ويرون أنها أرض توشي فيه، وقال الليث: عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال: كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حين ذكر عمر: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَهُ»(٢) وإنما أصل هذا فيما يقال أنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوبًا إلى شيء رفيع وأنشد لزهير:

بخيل عليها جِنَّة عبقرية جديرون يومًا أن ينالوا فيستعلوا

قال أبو الحسن الواحدي: وهذا القول هو الصحيح في العبقري، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد:

جن الندا رواسيا أقدامها

وقال آخر يصف امرأة:

جنية ولها جن يعلمها رمي القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفًا بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم

---

(١) ولقد ورد في الصحيح (البخاري ٤٨٥٨)، أن النبي ﷺ في قصة رؤيته لجبريل أنه صلوات الله وسلامه عليه (رأى رفرفًا قد سدَّ الأفق).

(٢) رواه البخاري (١٩، ٧٠)، ومسلم (٢٣٩٢).

وصنعهم هذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسمًا ونعتًا لكل ما بولغ في صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقريًا وروى سلمة عن الفراء قال: العبقري السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان، والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي لما نسب إليها غير الموشى، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:

قال ابن عباس: وعبقري يريد البسط والطنافس.

وقال الكلبي: هي الطنافس المخملة.

وقال قتادة: هي عتاق الزرابي وقال مجاهد: الديباج الغليظ وعبقري جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع.

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة، والزرابي بأنها مبثوثة، والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائمًا ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت، والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله:

وأما البسط والزرابي فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣ ـ ١٦].

وذكر هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: (الرفرف) رياض الجنة و(العبقري) عتاق الزرابي وذكر إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ قال: هي البسط قال: وأهل المدينة يقولون: هي البسط، وأما النمارق فقال الواحدي: هي الوسائد في قول الجميع

واحدها: نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة:

إذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته أنماطه ونمارقه

قال الكلبي: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، وقال مقاتل: هو الوسائد مصفوفة على الطنافس، وزرابي: بمعنى البسط والطنافس، واحدها: زربية في قول جميع أهل اللغة والتعبير (ومبثوثة): مبسوطة منشورة.

أما عن آنية الجنة وقدورها وصحافها.

ففيها الآنية والصحاف، وفيها الأكواب والأباريق والكؤوس، ففيها آنية من ذهب، وآنية من فضة.

وقد تقدم الحديث عن رسول الله ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِن فِضَّةٍ آنِيَتُهُما وَمَا فِيهِما**»(١).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَـهُم فِي الدُّنيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ**»(٢).

ولقد قال تعالى: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ**﴾ [الزخرف:٧١]، وقال تعالى: ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾ [الإنسان:١٦]، ويقول تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**﴾ [الواقعة:١٧، ١٨].

أما عن لباس أهل الجنة وثيابهم:

فقد قال تعالى: ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج:٢٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿**وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ [الإنسان:١٢]، وقال ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَـمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**»(٣).

فدلَّ ذلك على أن هناك من يلبس في الآخرة وقد قال تعالى أيضًا: ﴿**يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ**﴾ [الدخان:٥٣]، فالسندس هو الرقيق من الديباج

---

(١) صحيح، وقد تقدم.
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣١)، ومسلم (٢٠٦٧).
(٣) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣).

والاستبرق هو الغليظ من الديباج، وقال بعض أهل العلم هي نوعان من الحرير.

أما عن ألوان الثياب فمنها الأخضر:

قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان:٢١]، وقال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف:٣١].

وفي الجنة مناديل:

أخرج البخاري(١) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قالَ: أُهْدِيَ للنبيِّ ﷺ جُبَّةُ سُندُس، وكانَ يَنْهى عن الحرير، فعَجِبَ الناسُ منها، فقالَ: «وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لمَنَادِيلُ سَعدِ بن مُعَاذٍ في الجنَّةِ أَحسَنُ مِن هَذَا».

وفي رواية عند البخاري(٢) من حديث البراء ابن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُتِي رسولُ الله ﷺ بثَوْبٍ من حريرٍ: فجَعلُوا يَعْجَبُونَ من حُسْنه ولينه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لمَنَادِيلُ سَعدِ بنِ مُعَاذٍ في الجنَّةِ أَفضَلُ مِن هَذَا».

حلية أهل الجنة

أما عن حليتهم التي يتحلون بها فمنها أساور الذهب والفضة، وكذا فيها اللؤلؤ، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:٢١].

طعامُ أهل الجنة وشرابهم:

اعلم أنه ليس في الجنة جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا حر قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨، ١١٩].

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد النون:

وفي الصحيح(٣) أن النبي ﷺ قال: «وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأكُلُهُ أَهلُ الجنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حوتٍ».

(١) البخاري (٣٢٤٨)، ومسلم (٢٤٦٨).
(٢) البخاري (٣٢٤٩).
(٣) البخاري (٣٣٢٩).

وفي صحيح مسلم[(١)] أن يهوديًا سأل النبي ﷺ فقال فما تحفتهم[(٢)] حين يدخُلونَ الجنَّةَ؟ قال: «**زيادةُ كبدِ النونِ**» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**يُنْحَرُ لهم ثَورُ الجنَّةِ الذِي كَانَ يَأكُلُ مِن أطرَافِهَا**» قال: فما شرابُهُمْ عليه؟ قال: «**مِن عَينٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**» قال: صدقْتَ.

وفيها لحمٌ، ولحم طير كذلك:

قال تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ [الطور:٢٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ [الواقعة:٢١]، وتقدم أن فيها أسماك وحيتان، فتقدم أنهم يأكلون أول ما يأكلون زيادة كبد النون، وبعد ذلك ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها.

وعمومًا فلهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم وهم فيها خالدون، وكما قال تعالى: ﴿**لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق:٣٥].

والأرض تكون خبزةً واحدة يوم القيامة نزلاً لأل الجنة ففي الصحيحين[(٣)] من حديث أبي سعيدٍ الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**تكونُ الأرضُ يَومَ القِيامَةِ خُبزَةً وَاحِدَةً، يَكفؤُهَا الجَبَّارُ بِيدِهِ، كَمَا يَكفَأُ أَحَدُكُم خُبزَتَه في السَّفرِ، نُزُلاً لأهلِ الجنَّةِ**» قال: فأَتَى رجلٌ من اليهودِ. فقالَ: باركَ الرحمنُ عليك، أبا القاسم! ألا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجنَّةِ يومَ القيامَةِ؟

قال: «بلَى» قال: تكُونُ الأرضُ خُبْزَةً واحدةً (كما قالَ رسول الله ﷺ) قالَ: فنظَرَ إلينا رسولُ الله ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حتَّى بدت نواجِذُه. قالَ: ألا أُخْبِرُكَ بإدَامِهِمْ؟ قالَ: بلَى قالَ: إدَامُهُم بلامٌ ونونٌ. قالُوا: وما هذا؟ قال: ثورٌ ونونٌ. يأكُلُ من زائدةِ كبدِهما سبعُونَ ألفًا.

وأهل الجنة يتلذذون بطعامهم وشرابهم، فقد قال تعالى: ﴿**كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا**﴾ [الحاقة:٢٤].

---

(١) مسلم (٣١٥).
(٢) قبلها في المتن فمن أول الناس إجازة قال فقراء المهاجرين.
(٣) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢) واللفظ له.

ورزق أهل الجنة يأتيهم فيها بكرةً وعشيًا، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]، ويأتيهم كذلك في كل وقت وحين. قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس:٥٧].

أما عن نساء أهل الجنة

فقد جاء في شأنهن ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قيل: مطهرة من الحيض والنفاس والمذي والمني والبول والتغوط والنخامة والبزاق.

وقيل: مطهرةٌ من الإثم والأذى، وقيل: مطهرات من الغلِّ والحقد والحسد والغرور.

وجاء في وصفهن أنهن حورٌ عين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٦].

قال ابن القيم رحمه الله:

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه، واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا، وتمام اللذة بالحور العين، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك: أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي حار فيها الطرف، وعين: حسان الأعين، وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة:

الحور البيض وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه، وقال مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتحوير التبييض والصحيح: أن الحور مأخوذة من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين.

وفي الصحاح: الحور شدة بياض العين في شدة سوادها، امرأة حوراء: بينة الحور وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين؛ لأنهن شبهن الظباء والبقر وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين؟ قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد؛ والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد، والحور في العين: معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر وعين حوراء: إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

والعين: جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين.

والصحيح: أن العين اللائي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

قال مقاتل: العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب، وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع: فمها وخرق أذنها وأنفها وما هناك.

وتستحب السعة منها في أربعة مواضع: وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها وجبهتها.

ويستحب البياض منها في أربعة مواضع: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها.

ويستحب السواد منها في أربعة مواضع: عينها وحاجبها وهدبها وشعرها.

ويستحب الطول منها في أربعة: قوامها وعنقها وشعرها وبنانها.

ويستحب القصر منها في أربعة: وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله.

وتستحب الدقة منها في أربعة: خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦]، وقوله: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: غاضات البصر إلا على الأزواج، فلا ينظرن إلى غير الأزواج.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي: لم يفض بكارتهن بجماع إنس قبلهم ولا جان.

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] أي: مقيمات في الخيام لا يحببن كثرة الخروج[1].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله:

وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاث مواضع:

أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالى في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨].

والثالث: قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [ص:٥٢].

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد.

وقال أيضًا:

قال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢] المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم ذكره الفراء.

«قلت»: وهذا معنى ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله تعالى: في الخيام على هذا القول: صفة الحور أي هنَّ في الخيام.

وليس معمولاً لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا من أن يكنَّ محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى

وجاء في وصفهن أيضًا:

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨].

قال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح»:

قال الحسن وعامة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨] ألا وإن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

وجاء في وصفهن:

أنهن ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قيل في تفسيرها (خيرات الأخلاق، حسان الوجوه).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «حادي الأرواح»:

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة:٣٥] قيل: المعنى خلقناهن خلقًا جديدًا.

وقيل ذلك بعد أن كُنَّ في الدنيا عُجزًا شمطًا أنشأنهن الله إنشاءً بعد الكبر والهرم الذي كان في الدنيا فأصبحن أبكارًا بعد أن كُنَّ ثيبات في الدنيا، وأصبحن حسناوات بعد أن كنَّ دميمات، وأصبحن شابات بعد أن كن عُجزًا.

الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا: بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أكمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمتنع أن يخرجن في سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٦] أي: فصيرناهن أبكارًا بعد أن كن ثيبات.

وقال تعالى في وصفهن أيضًا **عربًا أترابًا**؛ أي: متحببات إلى أزواجهن، محسنات للتبعل، مطيعات للأزواج، وقوله: ﴿ أترابًا﴾ أي: في سنٍّ واحدة.

قال ابن القيم رحمه الله:

وقوله: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن، قال ابن الأعرابي: العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبو عبيدة: العروب الحسنة التبعل.

قلت: يزيد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ربا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون في تفسير «العرب» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك ألفاظهم، وقال البخاري في صحيحه: عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة، وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة.

«والعرب» المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب «بدء الخلق» وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة: عربًا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت: فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها، وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضًا.

قال ابنُ القيم رحمه الله:

وأما الأتراب فجمع ترب: وهو لدة الإنسان.

قال أبو عبيدة وأبو إسحاق أقران: أسنانهن واحدة، قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد: أتراب أمثال، قال أبو إسحاق: أي: هن في غاية الشباب والحسن وسمي سن الإنسان وقرنه تربه؛ لأنه سن تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم.

وجاء في وصفهن كذلك:

أنهن ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣٣] والكواعب: هن النواهد جمع ناهد، قيل: والناهد والكاعب هي التي تكعب ثديها وتفلك واستدار فأصبح كالرمان ليست متدلية إلى أسفل.

وجاء في وصفهن أيضًا:

من سنة رسول الله ﷺ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوسِ أَحَدِكُم مِنَ الجَنَّة أَوْ مَوضِعُ قَيْدٍ - يَعْنِي سَوْطَه - خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أن امرأةً من أهلِ الجنَّةِ اطَّلعَتْ إلى أهلِ الأرْضِ لأضاءتْ ما بَيْنَهُمَا وَلَمَلأتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيرٌ من الدُّنيا وما فيهَا»[1].

أما عن عدد زوجات الرجل من أهل الجنة:

فقد ورد فيها مما وقفت عليه ما يلي:

أولاً قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، وقوله ﷺ: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُم زَوْجَتَانِ»[2].

---

(١) البخاري (٢٧٩٦).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

وقوله ﷺ: «للشَّهيدِ عِندَ الله سِتُّ خِصَالٍ.... مِنْهَا: ويُزَوَّجُ اثْنَتَينِ وَسَبْعِينَ مِن حُورِ العِينِ»[١].

وقوله ﷺ: «إنَّ لِلعبدِ المُؤمنِ لَخَيْمَةً فِي الجنَّةِ مِنْ لُؤْلُؤةٍ مُجَوَّفةٍ طُولُها سِتُّونَ مِيْلاً لِلعَبْدِ المُؤمنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيهِم لا يَرَى بَعضُهُم بَعْضًا»[٢].

وقد ورد أن الرجل في الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، ففي المسند وعند عبد بن حميد وغيره من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟

قال: «نَعَم وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ أَحَدَهُم لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالجِمَاعِ والشَّهْوَةِ».

قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال: «تَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِم رَشْحًا يَفِيْضُ مِن جُلُودِهِم كَرَشْحِ المِسْكِ فَيُضْمِرُ بَطْنَهُ»[٣].

أما عن الجماع:

فقد تقدم أن الرجل من أهل الجنة ليُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة.

وأخرجه البزار بسندٍ صحيح عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «إي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّ الرَّجُلَ لَيُفْضِي فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ إلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ»[٤].

وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] إن منها جماع العذارى.

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) صحيح، أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٢٦٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧).

(٤) «كشف الأستار» (٤/ ١٩٨).

وهل تحمل النساء في الجنة؟

في الجملة ليس هناك حملٌ إلا إذا اشتهاه أهل الجنة، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**الْمُؤمِنُ إِذَا اشْتَهَى الوَلَدَ فِي الجَنَّةِ، كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ، كَمَا يَشْتَهِي**»[١].

وأخرج هناد ابن السري في «الزهد»[٢] بسند حسن إلى أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر سدرة المنتهى، فقال: «**يَسِيرُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ الرَّاكِبُ مِائَةَ سَنَةٍ**»، أو قال: «**يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا مِائَةُ رَاكِبٍ**» شك يحيى «**فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّمَا ثَمَرُهَا القِلالُ**».

وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون:

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ**[٤]**، وَلَا يَتْفُلُونَ**[٥]**وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ**» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «**جُشَاءٌ**[٦]**وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**».

وفي رواية عن مسلم أيضا من حديث جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَكِن**

---

(١) الترمذي (مع التحفة ٧/ ٢٨٥) بسند حسن.

(٢) (١/ ٤٨)، وأخرجه الترمذي أيضًا (٧/ ٢٤٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٣٥).

(٤) (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون) مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذها وأنواع نعيمها، تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا، إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا تشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون، وقد دلت دلائل القرآن والسنة، في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره؛ أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدًا.

(٥) (ولا يتفلون) بكسر الفاء وضمها، حكاهما الجوهري وغيره، أي لا يبصقون.

(٦) (جشاء) هو تنفس المعدة من الامتلاء.

طَعَامَهُم ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ».

خدم أهل الجنة:

أما عن خدم أهل الجنة فهم ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩].

عددهم كثير جدًا، بيضٌ شديدو البياض، لا يتغير شكلهم بتغير الزمان.

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ[1] إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

وهل في الجنة مراضع للأطفال؟

أخرج البخاري[2] في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال لما مات إبراهيم: «**إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ**».

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «حادي الأرواح»:

قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد، وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة.

وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد ابن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخلود عام لكل من في الجنة فلا بد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما　　أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء قال ابن عباس: غلمان لا يموتون وقول ترجمان القرآن في هذا كاف - وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل - قال: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفي آذانهم القرطة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعًا في مكان واحد.

(٢) البخاري (٣٢٥٥).

وهل يتزاور أهل الجنة؟

نعم يتزاورون، ويزور بعضهم بعضًا ويتحدثون معًا بطيب الكلام، ويتذاكرون ما كان بينهم من أمور الدنيا قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٠ـ٥٧].

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه، يقول: أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابًا وعظامًا ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه؟.

هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران: **أحدهما**: أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضًا: هل أنتم مطلعون؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: إنه من قول الله عز وجلَّ لأهل الجنة يقول لهم: هل أنتم مطلعون؟ والصحيح القول الأول، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب: «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى».

وقوله: فاطلع، أي: أشرف، قال مقاتل: لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون؟ قالوا له: أنت أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم، ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير، فعندها قال: تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أي: إن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٥-٢٨].

وفي حديث النبي ﷺ، وإن كان به بعض الضعف: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًا... ثم قال: وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها[١].

وهل يخرجون من بيوتهم للفسحة والزيارة والاجتماع في أماكن أُخر ثم يرجعون إلى بيوتهم؟

فنعم إن ذلك لكائن إن شاء الله ففي الجنة مكانًا يجتمعون فيه، وهو سوق الجنة، ففي صحيح مسلم[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا[٣] يَأْتُونَهَا كلَّ جُمعةٍ[٤]، فَتَهُبُّ رِيْحُ الشَّمَالِ[٥] فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِم، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِم وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَـهُم أَهْلُوهُم: وَاللهِ! لَقَدْ ازْدَدتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُم، وَاللهِ! لَقَدْ ازْدَدتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً».

أما عن سماع أهل الجنة:

فأهل الجنة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة:٢٥] أي: باطلاً من القول، ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا أي قولٍ يجلب الآثام ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦] أي: ما يسمعونه هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

---

(١) رواه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٤٤٤)، وانظر ابن أبي شيبة (١٠٤٧٤) جـ١١ ص٤٣، ٤٢، والطبراني (٣٣٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٣٣).

(٣) (لسوقًا): المراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.

(٤) (يأتونها كل جمعة) أي في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار، والسوق يذكر ويؤنث، وهو أفصح.

(٥) (الشمال) هي التي تأتي من دبر القبلة، قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال؛ لأنها ريح المطر عند العرب. كانت تهب من جهة الشأم وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحاب الشامية.

ويسمعون أيضًا السلام الذي يلقى عليهم، سلام من ربهم كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، وسلامًا من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وقال عددٌ من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥] قالوا: الحبرة اللذة والسماع، ويحبرون أي: يسمعون ما تلذ الأذن بسماعه وتنعم بسماعه.

قال ابن القيم رحمه الله:

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع، وذلكم حين يسمعون كلام الرب جلَّ جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السني من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يُعطى أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من ذلك.

وليس فيها حرٌّ ولا زمهرير:

قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٣].

وهذه منزلة آخر أهل الجنة:

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا؛ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِن النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجنَّـةَ، فَيَأْتِيهَا فيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ

---

(١) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدتهَا مَلأَى فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِـهَا ـ أَو إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَو تَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنتَ المَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

وفي صحيح مسلم[1] من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «آخرُ مَن يدْخُلُ الجنةَ رَجُلٌ، فهو يَمْشِي مَرةً وَيَكبُو مَرةً، وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَها التَفَتَ إليْها، فَقَال: تَبَارَكَ الَّذي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي الله شَيْئًا مَا أَعْطاه أَحَدًا مِنَ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فتُرْفَعُ لَهُ شَجرةٌ. فَيَقُولُ: أَي رَبِّ! أَدْنِنِي مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِن مَائِهَا، فَيَقُولُ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : يا ابنَ آدمَ! لعلِّي إن أَعْطَيْتُكَهَا سَألتَنِي غَيْرَها، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! وَيعاهدُهُ أَن لَا يَسْأَله غَيْرَها، وَرَبُّه يعذرُهُ؛ لِأَنَّه يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فيُدْنِيْهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِن مَائِهَا، ثمَّ تُرفعُ له شَجَرَةٌ هِي أَحْسَنُ مِن الأُولَى. فَيَقُولُ: أَي رَبِّ! أَدْنِنِي مِن هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِن مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيرَها، فيقولُ: يا ابنَ آدمَ! أَلم تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْألَنِي غَيرَها؟ فَيَقُولُ: لِعَلِّي إِن أَدْنَيتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَها، وَرَبُّه يعذرُهُ؛ لِأَنَّه يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرفعُ لَه شَجَرةٌ عِندَ بابِ الجنَّةِ هِي أَحْسَنُ مِن الأُولَيَيْنِ. فيقولُ: أي ربِّ! أدْنِني مِن هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بظلِّها وأشْرَبَ من مائِهَا. لا أَسْأَلُكَ غيرَها، فيقُولُ: يا ابنَ آدمَ! أَلم تُعَاهِدْنِي أن لا تَسْأَلَني غَيْرَهَا؟ قال: بلَى يا ربِّ! هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَربُّه يعذرُهُ؛ لأنَّ يرَى مَا لَا صَبْرَ لَه عَلَيْه، فيُدْنيه مِنْهَا، فَإِذَا أَدْناهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهلِ الجنَّةِ؛ فيقولُ: أَي ربِّ! أَدْخِلْنِيْهَا، فَيَقولُ: يَا ابنَ آدمَ! ما يَصرِيني منكَ؟ أَيُرضيكَ أن أُعطيَكَ الدُّنْيَا ومثلَها معَها؟ قال: يا ربِّ! أَتَسْتَهزئُ مِنِّي وأنتَ ربُّ العَالَـمِين؟». فضحِكَ ابنُ مسعُودٍ فقالَ: ألا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فقالوا: ممَّ تَضحَكُ؟ قال: هكذا ضحِكَ رسولُ الله ﷺ

(١) مسلم (١٨٧).

فقالوا: ممَّ تضحَكُ يا رسولَ الله؟ قالَ: «مِنْ ضِحْكِ ربِّ العالمين حينَ قال: أتَسْتَهزِئُ مِنِّي وأنتَ ربُّ العالمين؟ فيقولُ: إنِّي لا أسْتَهزِئُ منكَ، ولكني على ما أشاءُ قادرٌ».

وهل في الجنة دواب؟

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] قال بعض أهل العلم: أي: ركبانًا على الإبل، وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾.

حب أهل الجنة للجنة ورضاهم بها:

وأهل الجنة يحبونها حبًا عظيمًا ولا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٧، ١٠٨].

وأخرج البخاري[1] في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قالَ: «ما مِن عبدٍ يموتُ له عندَ الله خيرٌ يسرُّهُ أن يرجعَ إلى الدُّنيا وأنَّ له الدُّنيا وما فيها، إلاَّ الشهيدُ لِـمَا يرَى من فضلِ الشهادةِ، فإنَّه يسُرُّه أن يرْجِعَ إلى الدُّنيا فيُقْتَلَ مرَّةً أُخْرَى».

فهم راضون بما هم فيه:

قال تعالى: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ولقد تقدم قولهم لربهم لما سألهم هل رضيتم فقالوا: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك.

ولقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧ ـ ٣٠].

وأهل الجنة في هدوء بالٍ:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٤، ٥].

دوام النعيم والعافية لأهل الجنة:

---

(١) البخاري (٢٧٩٥).

وأهل الجنة في صحة وعافية دائمًا ففي صحيح مسلم[١] من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُم أَن تَصِحُّوا فلا تسْقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعمُوا فلا تبْأَسُوا أبدًا» فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

ونعيم الجنة دائم لا يزول ولا يفنى ولا يبيد:

قال تعالى: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة:٨].

وقال تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي: غير مقطوع.

وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤].

وفي الحديث أن مناديًا ينادي: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إِنَّ لَكُم أَنْ تَصْحُوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشُبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيَوا فِيهَا فَلا تَمُوتُوا أبدًا».

وكذلك ففي الحديث[٢] عن رسول الله ﷺ: «يُجاءُ بالموتِ يَومَ القِيَامَةِ كأنَّه كبشٌ أملحُ زادَ أبو كُريبٍ فيُوقَفُ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ (واتَّفقا في باقي الحديث) فيُقَالُ: يا أهْلَ الجنَّةِ! هل تَعْرِفُونَ هذا؟ فَيَشرئبُونَ وينظُرُونَ ويقولُونَ: نعم هذا الموتُ قال: ويقالُ: يا أهلَ النار! هل تَعرِفُونَ هذا؟ قال: فيشرَئبُونَ وينظُرُونَ ويقولُونَ: نعم هذا الموتُ قال: فيُؤمَرُ به فيُذبَحُ. قالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يا أهْلَ الجنَّةِ! خلودٌ فلا موتَ ويا أهْلَ النارِ! خلودٌ فلا موتَ» قال: ثُمَّ قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩] وأشَارَ بيدِه إلى الدُّنيا.

---

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

أما الاستثناء الواقع في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن هذا الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فإنما هم في مشيئته كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦]، وكما قال تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤]، فهذا دال على أن الأمور كلها بمشيئة الله.

ولا موت في الجنة:

ففي الصحيحين(١) من طريق نافع أن عبد الله قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللهُ أهلَ الجَنَّةِ الجنَّةَ، ويُدْخِلُ أهلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُم فيقولُ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ لا مَوتَ، وَيَا أهلَ النَّارِ لا مَوتَ، كلٌّ خَالدٌ فيما هُوَ فِيهِ».

وفي رواية في الصحيح(٢) كذلك عن عبدِ الله بن عمرَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إلى الجنَّةِ، وَصَارَ أهلُ النَّارِ إلى النَّارِ، أُتِي بالموتِ حَتَّى يُجْعَلَ بين الجنةِ والنارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي منادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ لا موتَ، ويا أهلَ النَّارِ لا موتَ، فَيَزْدَادُ أهلُ الجَنَّةِ فَرحًا إلى فَرحِهِم وَيَزْدَادُ أَهلُ النَّارِ حُزنًا إلى حُزْنِهِم».

تكليم الله لأهل الجنة

ونعمةٌ من الله عزَّ وجل على أهل الجنة أنه يكلمهم وقد تقدمت بذلك بعض الأحاديث كقوله سبحانه: «أُحِلُّ عَلَيكُم رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيكُم بَعْدَهُ أبدًا»، وكقوله ﷺ: «مَا مِنكُم مِنْ أحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يومَ القيامةِ لَيس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَان».

ولقد قال تعالى في شأن أقوام من أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:٧٧]، فدلَّ هذا بالمفهوم على أن أهل الجنة يكلمهم الله عزَّ وجل.

وكذا فإنه سبحانه ينظر إليهم.

---

(١) مسلم (٢٨٥٠)، والبخاري (٦٥٤٤).

(٢) مسلم (٢٨٥٠)، والبخاري (٦٥٤٨).

وربهم في الجنة يُحيهم والملائكة تُحيِّهم:

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أهل الجنة، وشيئًا مما أعده لهم في جنات النعيم ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].

وأفضل ما يرونه ويتلذذون برؤيته على الإطلاق رؤية وجه ربهم ذو الجلال والإكرام:

أخرج مسلم[١] من حديث صهيب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، قالَ: يقولُ الله تباركَ وتعالى: تُريدونَ شيئًا أزيدُكُم؟ فيقولونَ: ألم تُبيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ وتُنْجِنا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهم عزَّ وجلَّ».

وفي زيادة للحديث ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

أما الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ولقاءهم به فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] قال عددٌ من أهل العلم: تنظر إلى ربها نظرًا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث[٢].

---

(١) مسلم (١٨١)، وقد انتقد هذا الحديث على الإمام مسلم انتقده الدارقطني في كتابه التتبع.

(٢) حادي الأرواح.

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

وقد جاء في تفسير الزيادة أنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى وقد تقدم قريبًا.

وقوله ﷺ: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم عِيَانًا».

وذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[١] في صحيحهما من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عند النبيِّ ﷺ فنظَرَ إلى القمرَ ليلةً - يعني البدرَ - فقال: «إِنَّكُم سَتَرَوْنَ ربَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤيتِهِ، فإنِ اسْتَطَعْتُم أَن لا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثمَّ قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم أيضًا: قوله تعالى في شأن أهل الكفر: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] فالمفهوم المخالف لها أن أهل الإيمان لن يحجبوا عن رؤية ربهم عزَّ وجل.

قال ابن القيم رحمه الله:

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى، قال الربيع: فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عَبَدَ الله عزَّ وجلَّ.

ورواه الطبري في شرح السنة من طريق الأصم أيضًا وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد الله: ليس يراه إلا المؤمنون.

قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عزَّ وجل.

وفي الصحيحين[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتَ صَحْوًا؟» قلنا: لا، قال: «فَإِنَّكُم لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِكُم يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِما».

وفي الباب أيضًا حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عند البخاري وغيره، وفيه: «وَلَيَلْقِيَنَّ اللهَ أَحَدَكُم يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَه تُرْجُمان يُتَرجِمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَم أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُوْلًا فَيُبَلِغُكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَنْظُرُ عَن يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَن يَسَارِهِ فَلا يَرَى إِلا جَهَنَّمَ...» الحديث[٢].

ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خيرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذا كَانَتِ الوَفَاةُ خيرًا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).
(٢) البخاري (٣٥٩٥).

وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةِ الحَقِّ فِي الغَضَبِ والرِّضَا وَالقَصْدِ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَلَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوقُ إِلَى لِقَائِكَ...» الحديث(١).

ومن الآيات الدالة على لقاء المؤمنين بربهم عزَّ وجل أيضًا ما يلي: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾(٢) [الانشقاق:٦].

وتكليم الله عزَّ وجل عبد الله والد جابر، فعند الإمام أحمد(٣) بسندٍ يصح لشواهده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا جَابِرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أَحْيَا أَبَاكَ» فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عليَّ، فقال أردُّ إلى الدُّنْيَا فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى، فقال: إِنِّي قَضَيْتُ الحُكْمَ أَنَّهُم إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ».

وفي صحيح مسلم(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيْرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ رَبِّكُم إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أَي فُل! أَلَم أُكرِمْكَ، وأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بلى. قال فيقولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا. فيقولُ: فإني أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي، ثم يَلْقَى الثاني فيقولُ: أَي فُل! أَلَم اكرِمْكَ،

(١) صحيح لغيره أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤).

(٢) وهل يرى أهل النفاق ربهم عزَّ وجل؟ الأدلة تقتضي ذلك، فقد قال تعالى في شأن أهل النفاق: ﴿فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾ وفي الحديث الطويل: «.... فيأتيهم ربهم...» حديث بخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) أحمد (٣/ ٣٦١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ١٠٣٧)، وانظر كذلك الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠).

(٤) مسلم (٢٩٦٨).

وَأُسَوِّدْكَ، وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّر لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بَلَى. أَي رَبِّ! فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا. فيقولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَه مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا استَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذًا». قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ لَه: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدِنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَن ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عليَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيْهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعذِرَ مِن نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ».

وقد حكم ابن القيم رحمه الله على الأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بأنها متواترة (أي في أعلى درجة الصحة) قال رحمه الله: وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة[1].

هذا، وقد احتج قوم من أهل البدع على عدم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ببعض الأدلة:

منها: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وأجيب على هذا الاستدلال بأن الإدراك غير الرؤية، فقد تحدث الرؤية ولا يحدث الإدراك، قال تعالى في شأن قوم فرعون مع قوم موسى - على موسى السلام -: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] فحصلت الرؤية ولم يحصل الإدراك[2].

---

(١) «حادي الأرواح».

(٢) وقد استدل ابن القيم رحمه الله بهذه الآية نفسها على إثبات الرؤية فقال في كتابه «حادي الأرواح»: والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآيةٍ أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن

واستدل بعضهم على منع الرؤية كذلك بقوله تعالى لنبيه موسى عليه السلام لما سأله موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف:١٤٣].

قالوا: فقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ دال على عدم الرؤية وأجيب على ذلك بأن ذلك في الدنيا، أما في الآخرة فقد تقدمت الأدلة التي تثبت الرؤية في الآخرة.

بيد أن ابن القيم رحمه الله تعالى استدل بالآية ذاتها على الرؤية فقال:

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيالله

كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿وما يعزب عن ربكم من مثقال ذرة﴾ أنه يعلم كل شيء وفي قوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أنه كامل القدرة وفي قوله: ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾ أنه كامل العدل وفي قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ أنه كامل القيومية.

فقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم: ﴿إنا لمدركون﴾ إنا لمرئيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كلا﴾، وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريق في البحر يبسًا لا تخاف دركًا ولا تخشى﴾ [طه: ٧٧].

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يُحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية الفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران، وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهًا له منه!!!

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦، ٤٧].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يقل إني لا أرى ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله.

وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

ويوضحه الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

إحلال الرضوان على أهل الجنة:

ومن أفضل ما يعطاه المؤمنون في الجنة أن الله يُحِلُّ عليهم رضوانه؛ فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

ففي الصحيحين(١) من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِن

(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

خَلقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُم أَفْضَلَ مِن ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ! وَأَيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِن ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُم رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُم بعَدَهُ أَبدًا».

العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ يصف جنات النعيم:

ولقد أوجز العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف الجنة، فقال في كتابه «حادي الأرواح»[1]:

وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته، ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهي اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستقر بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد

(١) وهو كتاب قيم في وصف الجنة إلا أنه قد اعتراه كمٌّ كبير من الأحاديث الضعيفة والتالفة، بل والموضوعة وكذا كمٌّ كبير من الآثار التي لا تثبت بالسند عن قائليها.

السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام.

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيام، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، و إن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منه سماع خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللائي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما شئت في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، لو

اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء، ريحًا ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو معها في غاية الأماني والأمان، هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر.

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، فإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة:

وحديثها السحر الحلال وأنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طـال لم يملـل وإن هـي حـدثت ود المحـدث أنهـا لم تـوجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا، وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعًا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين وحتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي أحدًا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم، وحاشاهم أن يكون فيهم دني على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار - جل جلاله - وتقدست أسماؤه وقد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني: فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك

ننظر إليه فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٥].

فحـي علـى جنـات عـدن فإنهـا ... منازلنـا الأولى وفيهـا المخـيم
ولكننـا سـبي العـدو فهـل تـرى ... نعـود إلى أوطاننـا ونسـلم

وختامًا فهذا غيض من فيض في وصف جنات النعيم أجتزئ به سائلاً الله أن يجعلني وقارئي هذه الرسالة من أهل الفردوس ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا، إن ربي سميع قريب.

وما كان فيها من صواب فمن الله، فلله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله من كل ما لا يرضيه سبحانه وتعالى.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

❀❀❀

أشعار منتقاة
في وصف جنات النعيم

قالها ابن القيم رحمه الله تعالى

يا خاطبَ الحــــــور الحسـان   لوصالهــن بجنـــة الحيـوانِ
لو كنتَ تدري من خطبتَ ومَـن طَلَبْـــ   ـــتَ بـذلتَ مـا تحـوي مـن الأثمـان
أو كنتَ تدري أيـن مسـكنُها جَعَلْـــ   ـــتَ السعي منك لهـا علـى الأجفـانِ
ولقد وصـفتُ طريـق مسـكنِها فـإنْ   رُمْـتَ الوصـالَ فـلا تكـن بـالواني
أسْرِعْ وحُثَّ السير جـهـــدك إنمـا   مسراك هــذا سـاعــةٌ لزمـان
فاعشق وحدِّث بالوصالِ الـنفس وابْـــ   ـــذُل مَهْرَهـا مـا دُمـت ذا إمكـانِ

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسْمَــع إذًا أوصـافَها وصِـفَاتِ هَـا   تِيكَ المنــازلِ ربَّة الإحْـســانِ
هي جـنـةٌ طابَت وطابَ نعيـمُـهـا   فنعيمهـــا بـــاقٍ ولـــيسَ
دار السلامِ وجنةُ المــأوى ومَنْــ   ـــزِلُ عســكرِ الإيمــانِ
فالــدار دارُ ســلامةٍ وخِـطــابُهُم   فــيـهـــا سلامٌ واسمُ ذي الغفرانِ

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

دَرجاتُها مِـائـــةٌ وما بـيـنَ اثْنَتَيْــ   ــنِ فـــذاكَ في التَّحقيقِ للحُسْبَانِ
مثلُ الذي بينَ السـماءِ وبـينَ هَـــا   ذي الأرض قــولُ الصَّـادقِ البُرْهَــانِ
لَكِنَّ عَالِيها هُـوَ الفــردَوسُ مُســـ   ـــتوفٍ بِـعَــــرْش الخالقِ الرَّحمنِ

فصل

في أبواب الجنة

أبوابُهَا حــــقٌ ثمانيـــةٌ أتَــتْ ... في النصِّ وهـيَ لصـاحبِ الإحسـانِ
بابُ الجهادِ وذاكَ أعلاهـا وبَــا ... بُ الصـومِ يُـدْعَى البـابُ بالريَّـانِ
ولكلِّ سـعـي صـالحٍ بـابٌ وربْ ... السعـي منْـهُ داخـلٌ بأمـانِ
ولسوفَ يُـدعى المـرءُ مـن أبوابِهَـا ... جَمْعًا إذا وفَّـى حُـلَى الإيمـانِ
منهُم أبو بكـرٍ هـو الصـديقُ ذا ... كَ خـليـفـةُ المَبعـوثِ بـالقرْآنِ

فصل

في مفتاح باب الجنة

هـذا وفَـتْحُ البـابِ لـيس بمُمكِـنٍ ... إلاَّ بـمفتـاحٍ علـى أسنـانِ
مفتَاحُـهُ بشـهادَةِ الإخـلاصِ والتَّـ ... ـوْحيد تلـكَ شـهادةُ الإيمـانِ
أسنانُهُ الأعمـالُ وَهـيَ شـرائعُ الـ ... إسـلامِ والمِـفْـتَـاحُ بالأسْـنَانِ
لا تُلْغِيَنْ هـذا المثَـالَ فكَـمْ بـهِ ... مِن حَلِّ إشْكالٍ لِـذِي العِرْفَـانِ

فصل

في صفوف أهل الجنة

هـذا وأن صفوفَهم عشرونَ مَـعْ ... مائـةٍ وهـذي الأمـةُ الثُّلُثَـانِ
يَرْويهِ عنـهُ بُرَيْـدَةٌ إسنـادُهُ ... شـرطُ الصحيـحِ بِمُسندِ الشَّيباني

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمـرةٍ فوجـوهُهُـم ... كالبدرِ لـيلَ السِّتِّ بـعـدَ ثمـانِ
السَّابقونَ هـمُ وقَـد كـانُوا هُـنَـا ... أيضًا أولـي سـبقٍ إلـى الإحسَـانِ

فصل

في تفاضل أهل الجنةِ في الدرجاتِ العلا

ويرَى الـذين بِـذَيلِها مَـن فوقَهُـم ... مثلَ الكواكِـبِ رُؤيـةٌ بعيـانِ
مـا ذاكَ مُخْتصًّـا برُسـلِ اللهِ بَـلْ ... لَهُم وللصِّـدِّيـقِ ذي الإيمـانِ

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهُم

هذا وأعلاهُـم فـنـاظِـرُ ربِّـه ... في كل يـومٍ وقتُـهُ الطـرَفَانِ
لكِـنَّ أدنـاهُمْ ومـا فـيهم دَنـي ... إذْ ليسَ في الجناتِ مِـن نُقصـانِ
فهـوَ الـذي تُلْفَـي مسـافةُ مُلْكِـهِ ... بسِـنِينِنَا ألـفانِ كاملَتـانِ
فيرى بِهَـا أقصَـاهُ حَقًّـا مثـلَ رُؤ ... يَتِهِ لأدْنَـاهُ القـريـبُ الـدَّاني
أو مَـا سَـمِعْتَ بـأنَّ آخِـرَ أهلِـهَا ... يُعطيـهِ ربُّ العـرشِ ذو الغُفْـرانِ
أضعافَ دُنيانـا جَمِيعًـا عَشْـرَ أمْـ ... ـثَالٍ لَهَـا سُـبْحَانَ ذي الإحسَـانِ

فصل

في أنهار الجنة

أنهارُهَا في غـيرِ أخـدودٍ جَـرَتْ ... سُـبحـانَ ممسكها عَنِ الفَيَضانِ
مِنْ تَحْتِهم تجري كما شـاءُوا مُفَجْـ ... ـجَـرَةً ومَـا لِلنَّهْرِ مِـن نُقْصَـانِ
عَـسَـلٌ مُصفًّى ثم مـاءٌ ثُمَّ خَمْـ ... ـرٌ ثـم أنهارٌ مِـنَ الألبـانِ
واللهِ مـا تِلـكَ المـوادُ كَهَـذِهِ ... لـكِـنْ هُمَا في اللَّفظِ مُجْتَمِعَـانِ
هَـذَا وبينـهُمَا يَسـيرُ ... وَهْـوَ اشْـتِراكٌ قـامَ بالأذْهَـانِ

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك
وتعالى ونظرهم إلى وجه الكريم

ويرونه سبحانَهُ من فوقِهم   نظر العِيانِ كما يُرى القَمَرانِ
هَذَا تواتَرَ عن رسولِ الله لَم   يُنكره إلا فاسِدُ الإيمانِ
وأتى به القرآنُ تصريحًا وتعْـ   ـريضًا هُمَا بسياقِهِ نوعانِ
وهيَ الزيادةُ قد أتَتْ في يُونُس   تفسيرَ مَن قد جاء بالقرآنِ
ورواهُ عنهُ مسلمٌ بصحيحهِ   يروي صُهيبٌ ذا بلا كِتمانِ
وهو المزيدُ كذاك فسَّرَه أبُو   بَكْرٍ هو الصِّدِّيقُ ذو الإيقانِ
وعليه أصحابُ الرسولِ وتَابِعُو   هُمْ بَعْدَهُم تبَعِيَّةَ الإحسانِ
ولقدْ أتى ذِكرُ اللقاءِ لرَبِّنَا الرْ   رَحْمنِ في سورٍ من الفُرقَانِ
ولقاؤهُ إذ ذاكَ رُؤيتُهُ حكى الـ   إجْماعَ فيه جماعَةٌ ببيَانِ
وعليهِ أصحابُ الحديثِ جميعُهُم   لُغَةً وَعُرْفًا ليسَ يَخْتَلفَانِ
هذا ويكفي أنَّه سبحانَهُ   وصفَ الوجوهَ بنظرَةٍ بِجنَانِ
وأعاد أيضًا وصفَها نظرًا وذا   لا شكَّ يُفهمُ رؤيةً بِعِيانِ
وأتت أداةُ إلى لرفْعِ الوَهْمِ مِنْ   فِكرٍ كذاكَ تَرَقُّبُ الإنسانِ

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أوَ مَا علمتَ بأنهُ سُبحانَهُ   حقًّا يُكلم حِزبَهُ بجِنانِ
فيقولُ جلَّ جلاله: هل أنتُمُ   راضونَ؟ قالوا: نحن ذو رِضوانِ
أم كيفَ لا نرضى وقد أعطيتنا   ما لم يَنَلْهُ قطُّ مِنْ إنسانِ؟
هَلْ ثَم شيءٌ غيرُ ذا يكونُ أفْـ   ـضَلَ منهُ نسألُهُ مِنَ المَنَّانِ؟

فيقولُ أفضلُ منـــهُ رِضـــــواني فـــلا ... يغشـــاكمُ ســـخط مِـــنَ الـــرحمنِ
ويذكر الرحمن واحدهـــم بـــمـــا ... قدْ كان منـــهُ ســـالفَ الأزمـــان
منـــهُ إليـــه لـــيسَ ثمَّ واسطـــةٌ ... ما ذاكَ توبيخًا من الرحـــمـــن
لكـــن يُعَرِّفُـــهُ الـــذي قـــد نالَـــهُ ... مِـــن فضلِـــه والعفـــوِ والإحســـان
ويُسَـــلِّمُ الرحمـــنُ جـــــل جلالُـــهُ ... حقًّا عليهم وهوَ في الـــقـــــرآن
وكذاكَ يُسمعهم لذيـــذ خِـــطـــابِـــه ... ســـبحانهُ بـــتلاوة الفُرقـــــان
فكأنَّهم لم يسمعـــوهُ قـــبـــــلَ ذا ... هذا رواهُ الحافـــظُ الـــطـــبراني
هذا سماعٌ مُـــطـــلـــقٌ وسماعُنا الـــ ... ـــقُرآنَ فـــي الـــدُّنـــيـــا فنوع ثاني
واللهُ يُســـمَعُ قولُـــهُ بوســـاطَةٍ ... وبـــدونِهَا نوعـــان معروفَـــان
فسماعُ موســـى لَـــمْ يكـــنْ بوســـاطَةٍ ... وسماعُنـــا بتوسُّـــط الإنـــســـان
مَن صيَّر النوعينِ نـــوعًـــا واحدًا ... فمُخـــالفٌ للعقـــلِ والقـــرآن

فصل

في سوق الجنةِ الذي ينصرفون إليه من ذلكَ المجلسِ

فيقـــولُ جـــلَّ جلالُـــه قـــومـــوا إلى ... ما قَد ذَخَرتُ لكُم منَ الإحـــســـان
يأتُـــونَ ســـوقًا لا يُباعُ ويُشـــترى ... فيهِ فخُذ مِـــنـــهُ بـــلا أثمـــان
قد أسلفَ التُّجـــارُ أثمـــانَ المبيـــــ ... ـــعِ بعـــقـــدهـــم في بيعة الرِّضوان
للهِ سوقٌ قـــد أقـــامـــتـــهُ المـــلا ... ئكـــةُ الكـــرامُ بكـــلِّ مـــا إحســـان
فيهـــا الـــذي واللهِ لا عَـــيْنٌ رأتْ ... كـــلا ولا سمعـــت بـــه أذُنـــان
كلا ولم يخطرْ علـــى قلـــبِ امـــرئٍ ... فيكونَ عنـــهُ مُعبِّرًا بـــلـــســـان
فيرى امرأً مـــن فـــوقِه في هيئـــةٍ ... فَيروعُـــه مـــا تنظُـــرُ العَـــيـــنَـــان
فإذَا عليه مِثلُها إذ لَـــيْـــس يَـــلْـــ ... ـــحَقُ أهْلَهَـــا شَـــيءٌ مِـــن الأحْـــزان
واهًا لذا السُّوقِ الـــذي مَـــنْ حَلَّـــهُ ... نـــالَ التـــهانِيَ كُلَّهـــا بـــأمَـــان
يُدعَى بســـوقِ تَعَارُفٍ مـــا فِيـــهِ مِـــنْ ... صَخَـــبٍ ولا غِـــشٌ ولا أيْمَـــان

وتجارةٌ مَنْ ليسَ تُلْهيهِ تِجَا ... رَاتٌ ولا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمنِ
أهلُ المُرُوَّةِ والفُتُوَّةِ والتُّقَى ... والذِّكْرِ للرحمنِ كلَّ أوانِ
يا مَن تعوَّضَ عنهُ بالسوقِ الذي ... رُكِزَتْ لديهِ رايةُ الشيطانِ
لو كنتَ تدري قدرَ ذاك السوقِ لَم ... تَرْكَنْ إلى سوقِ الكَسَادِ الفَاني

فصل

في خلود أهل الجنةِ ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم، واستحالة الموتِ والنومِ عليهم

هذا وخاتمةُ النعيمِ خلُودُهُم ... أبدًا بدارِ الخُلدِ والرضوانِ
أو مَا سمعتَ مُناديَ الإيمانِ يُخْـ ... ـبرُ عَنْ مُنَادِيهِم بِحُسنِ بَيَانِ
لكَمُ حياةٌ ما بِهَا موتٌ وعا ... فِيَةٌ بلا سَقَمٍ ولا أحزانِ
ولَكُم نعيمٌ ما بهِ بُؤسٌ وَمَا ... لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الأَزْمَانِ
كلاَّ ولا نومٌ هُنَاكَ يكونُ ذَا ... نومٌ وموتٌ بيننَا أخوانِ
هذا علِمْنَاهُ اضطرارًا من كِتَا ... بِ اللهِ فافْهَمْ مُقْتَضَى القرآنِ
والجهمُ أفْنَاها وأفنى أهْلَهَا ... تَبًّا لذاك الجاهلِ الفَتَّانِ
طردًا لَنفْيِ دوامِ فعلِ الربِّ في الـ ... ـماضِي وفَي مُستقبلِ الأَزْمَانِ
وأبو الهُذَيْل يقولُ يَفْنَى كلُّ مَا ... فِيهَا منَ الحرَكَاتِ للسُّكَّانِ
وتصيرُ دارُ الخُلْدِ مع سُكَّانِهَا ... وثِمَارِهَا كحِجَارةِ البُنيانِ
قالوا ولولا ذاكَ لم يَثْبُتْ لنا ... ربٌّ لأجْلِ تسلسُلِ الأعيانِ
فالقومُ إما جاحدونَ لربِّهِم ... أو مُنْكِرُونَ حقائقَ الإيمانِ

وبهذا القدر من وصف الجنة نجتزى جعلنا الله من أهل الفردوس

❁❁❁

س: اذكر بعض الأدلة على التنبيه بالأدنى على الأعلى ، من الكتاب والسنة؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر. وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] فإذا كان هذا عرضها ، فكيف بطولها ؟!

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥] فكيف بالذي لايصلي.

وقوله ﷺ لمن يتوضأ ولا يحسن الوضوء: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» فكيف بالذي لا يتوضأ من الأصل!

وكذا الذي يصلي في جماعة، ولكنه يرفع رأسه قبل الإمام ورد فيه : «**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه إلى وجه حمار** » .فكيف بالذي لا يصلي.

❀❀❀

س : هل يجامع الجنُّ النساء ؟

ج : لم أقف في ذلك على شيء صريح في الكتاب والسنة ولكن قد يفهم من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أن الجن قد يطمث.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الرجل إذا جامع ولم يسمِّ انطوى الجن على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : « **أما إن أحدكم إذا رأى أهله فقال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقدر بينهما ولد ولم يضرُّه شيطان** » [1].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس ، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها

(١) البخاري مع الفتح (٩ / ٢٢٨) ومسلم (ج ١٠ / ٥).

جنِّيات . قال ضمرة : للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين ، فالإنسيات للإنس ، والجنيات للجن . وقيل: أي: لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جنٌّ، ولم يطمث ما وهب الله للمومنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات إنس ، وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا . ذكره القشيري .

ثم قال القرطبي رحمه الله : وأنه جائز أن تطأ (أي الجن) بنات آدم .

قال الطبري رحمه الله :

فإن قال قائل : وهل يجامع النساءَ الجنّ؟ فيقال :﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾؟ فإن مجاهدًا روى عنه ما حدثني به محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا يحيى بن يعْلَى الأسلمي عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : إذا جامع الرجل ولم يسمّ ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه ، فذلك قوله : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ .

❀❀❀

س : هل الجن يدخلون الجنة ؟

ج : نعم وهناك من الأدلة ما يشعر بذلك ، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ..﴾ [الكهف:١٠٧].

وهذا عام في كل مؤمن وعمل الصالحات.

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢].

❀❀❀

س : لماذا شبهت الحور العين بالياقوت ؟

ج : شبهت بالياقوت لصفائهن وبياضهن وحسنهن .

❀❀❀

س: هل ورد شيء من الأثر في وصف الحور العين ؟

ج : أورد الطبري جملة من الآثار في ذلك ، وها هي مع بعض الكلام على أسانيدها ، قال رحمه الله : حدثني محمد بن حاتم ، قال: ثنا عبيدة ، عن حُميد ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : «**إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومُخُّها ، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أما الياقوت فإنه لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه**»[١] .

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : ثنا ابن علية، عن عطاء بن السائب، عن عمرو ابن ميمون، قال : قال ابن مسعود : إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكًا ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر»[٢] .

قال: ثنا ابن علية، قال : ثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ في بياض المرجان[٣] .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : « إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة ، فيرى مخّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء »[٤]

وعن قتادة ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ صفاء الياقوت في بياض المرجان. ذُكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ قال: «**من دخل الجنة فله فيها زوجتان يُرى مخُّ سُوقِهما من وَرَاءِ ثيابهما**»[٥] .

---

(١) أُعل بالوقف ، فالموقوف الذي بعده أصح منه .
(٢) موقوف صحيح عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.
(٣) صحيح عن الحسن .
(٤) صحيح عن عمرو بن ميمون .
(٥) حسن عن قتادة .

عن قتادة ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ في صفاء الياقوت وبياض المرجان[١] .

وعن ابن زيد، في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال : كأنهنّ الياقوت في الصفاء ، والمرجان في البياض ، الصفاء : صفاء الياقوتة ، والبياض : بياض اللؤلؤ[٢] .

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله :

وقوله ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ يقول تعالى ذكره : هل ثواب خوف مقام الله عزّ وجل لمن خافه فأحسن في الدنيا عمله ، وأطاع ربه ، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ربُّهُ ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك في الدنيا ما وصف في هذه الآيات من قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ... إلى قوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ .

قال السعدي رحمه الله :

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده ، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل ، والفوز الكبير ، والنعيم ، والعيش السليم .

❀❀❀

س : وضح المراد بقوله تعالى : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ؟

ج : قال بعض العلماء: المعنى، وأقل من الجنتين المذكورتين في الفضل جنتان أخريان، وقيل: ومن دونهما في الدرج.

❀❀❀

(١) صحيح بمجموع طرقه عن قتادة .

(٢) صحيح عن ابن زيد .

س : ما الفرق بين الجنتين الأولين والجنتين الأخيرتين المذكورتين؟

ج : قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي وله من دون الجنتين الأولين جنتان أخريان. قال ابن عباس: ومن دونهما في الدَّرَج. ابن زيد: ومن دونهما في الفضل . ابن عباس: والجنات لمن خاف مقام ربه ، فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط. الماوردي : ويحتمل أن يكون ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحور العين، والأخرى للولدان المخلّدين ، ليتميز بهما الذكور عن الإناث ، وقال ابن جريج : هي أربع : جنتان منها للسابقين المقرّبين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢] و﴿عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وجنتان لأصحاب اليمين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن:٦٨] و﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] ، وقال ابن زيد : إن الأوليين من ذهب للمقرّبين، والأُخريين من ورق لأصحاب اليمين.

قلت : إلى هذا ذهب الحَلِيمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب «منهاج الدين له» ، واحتج بما رواه سعيد بن جُبير عن ابن عباس: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] إلى قوله: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ قال : تانك للمقرَّبين ، وهاتان لأصحاب اليمين . وعن أبي موسى الأشعري نحوه . ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ [الرحمن:٥٠]، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦] أي: فوّارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجري . وقال في الأوليين : ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢] فعمّ ولم يخصّ ، وفي الأخريين : ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن:٦٨] ولم يقل من كل فاكهة، وقال في الأوليين : ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۢ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [الرحمن:٥٤] وهو الديباج، وفي الأخريين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ [الرحمن : ٧٦] والعبقري الوَشْي ، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والرفرف كِسَر الخِباء ، ولا شك أن الفرش المعدّة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخِباء .

وقال في الأولين في صفة الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وفي الأخريين ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان. وقال في الأولين: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وفي الأخريين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: خضراوان كأنهما من شدّة خضرتهما سوداوان، ووصف الأولين بكثرة الأغصان، والأخريين بالخضرة وحدها، في هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدنا بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر. فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولين؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى. ومذهب الضحاك أن الجنتين الأولين من ذهب وفضة، والأخريين من ياقوت وزمرد وهما أفضل من الأولين.

وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: ومن أمامهما ومن قِبلهما. وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» فقال: ومعنى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: دون هذا إلى العرش، أي: أقرب وأدنى إلى العرش، وأخذ يفضلهما على الأولين بما سنذكره عنه. وقال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى.

❀❀❀

س: ما المراد بالعينين؟

ج: من العلماء من قال: العينان إحداهما سلسبيل والأخرى تسنيم.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾؟

ج: قيل: معناه فوَّارتان، وقيل: المعنى نضاختان بالخير والبركة، وقيل نضاختان بالمسك والكافور والعنبر وسائر أنواع الطيب.

❀❀❀

س : لماذا ذُكر النخل والرمان مع أنهما من الفاكهة ؟

ج : هذا من عطف الخاص على العام ، وذلك لبيان أهمية ذلك الخاص .

قال الطبري رحمه الله :

وقد اختلف في المعنى الذي من أجله أعيد ذكر النخل والرمان ؛ وقد ذُكر قبل أن فيهما الفاكهة ، فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة.

وقال آخرون : هما من الفاكهة ؛ وقالوا : قلنا هما من الفاكهة؛ لأن العرب تجعلهما من الفاكهة ، قالوا : فإن قيل لنا: فكيف أعيد وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه ؟ قلنا : ذلك كقوله ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] فقد أمرهم بالمحافظة على كلّ صلاة ، ثم أعاد العصر تشديدًا لها ، كذلك أعيد النخل والرمَّان ترغيبًا لأهل الجنة. وقال : وذلك كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:١٨]، ثم قال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج:١٨]، وقد ذكرهم في أوّل الكلمة في قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

❀❀❀

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

ج : قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ « حُورٌ » جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وقد تقدم . ﴿مَّقْصُورَٰتٌ ﴾ محبوسات مستورات « في الخيام » في الحجال لسن بالطوّافات في الطرق .

❀❀❀

تفسير سورة الواقعة

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
(١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ
عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
(١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤)
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾.

س : وضّح معنى ما يلي:

﴿وَقَعَتِ ـ ٱلْوَاقِعَةُ ـ كَاذِبَةٌ ـ خَافِضَةٌ ـ رَّافِعَةٌ ـ رُجَّتِ ـ رَجًّا ـ وَبُسَّتِ ـ بَسًّا ـ هَبَآءً ـ مُّنۢبَثًّا ـ أَزْوَٰجًا ـ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ـ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ـ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ـ ٱلْمُقَرَّبُونَ ـ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ـ ثُلَّةٌ ـ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ـ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا ـ مُتَقَٰبِلِينَ ـ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ـ بِأَكْوَابٍ ـ وَأَبَارِيقَ ـ وَكَأْسٍ ـ مَّعِينٍ ـ لَّا يُصَدَّعُونَ ـ وَلَا يُنزِفُونَ ـ يَتَخَيَّرُونَ ـ يَشْتَهُونَ ـ وَحُورٌ عِينٌ ـ ٱلْمَكْنُونِ ـ لَغْوًا ـ تَأْثِيمًا ـ قِيلًا ـ سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَقَعَتِ﴾	نزلت ـ حلّت.

﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾	صيحة القيامة ـ (اسم من أسماء يوم القيامة) كما قال تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة:١٥].
﴿كَاذِبَةٌ﴾	نفسٌ تكذبها، تنكرها ـ تكذيب ـ ردٌ رجعةٌ (أي لارجوع فيها بل هي لا بد كائنة).
﴿خَافِضَةٌ﴾	مُهبطة ، خافضة لأقوام كانوا في الدنيا أعزاء .
﴿رَّافِعَةٌ﴾	رافعة لأقوام كانوا في الدنيا وضعاء.
﴿رُجَّتِ﴾	زلزلت ـ اهتزت ـ اضطربت.
﴿رَجًّا﴾	زلزلةً ـ اهتزازًا ـ اضطرابًا ـ زلزالًا.
﴿وَبُسَّتِ﴾	فُتِّتت ـ صارت كالدقيق المبسوس. [1]
﴿بَسًّا﴾	تفتيتًا.
﴿هَبَآءً﴾	شعاع الشمس الذي يدخل من الكوّة كهيئة الغبار ، وقيل: وهج الدواب ـ وقيل ما تطاير من شرر النار وليس له تأثير. يبس الأشجار الذي تذروه الرياح يمينًا وشمالًا .
﴿مُّنۢبَثًّا﴾	متفرقًا.
﴿أَزْوَٰجًا﴾	أصنافًا ـ أنواعًا ـ منازل الناس يوم القيامة.
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾	أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يتلقون كتبهم باليمين كذلك.
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾	أصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وهم أيضًا الذين يتلقون كتبهم بالشمال.
﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾	السابقون إلى الإيمان بالله ورسوله ، والسابقون إلى الجمع والجماعات وفعل الخيرات، ومنهم المهاجرون الأولون ـ وقيل: هم أهل القرآن ، وقيل: هم الأنبياء عليهم السلام.

(١) كما في الآية الكريمة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].

﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾	الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.
﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾	بساتين النعيم المقيم.
﴿ثُلَّةٌ﴾	جماعة.
﴿سُرُرٍ﴾	جمع سرير.
﴿مَّوْضُونَةٍ﴾	منسوجةٌ بالذهب ـ متداخلةٌ (أُدخل بعضها في بعض)، وقيل: موضونةٌ لأنها مشبكة بالذهب والجوهر ، مُرمَّلة بالذهب والدُّر والياقوت وقيل: مصفوفة.
﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾	أي: على تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار.
﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾	ينظر بعضهم إلى وجه بعض (لا إلى القفا).
﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾	في سنٍّ واحدةٍ لا يتغيرون ـ لا يشيبون لا يموتون ـ مُقرَّطون (أي لابسوا القُرط والخاتم، والقرط هو الحلق) ـ مسورون (لابسوا الأساور).
﴿بِأَكْوَابٍ﴾	جمع كوب ، وهو ما اتسع رأسه ولم يكن له خرطوم ، ولا يد ، ولا آذان.
﴿وَأَبَارِيقَ﴾	هي التي لها آذان [1].
﴿وَكَأْسٍ﴾	كأس خمرٍ.
﴿مَّعِينٍ﴾	شراب معين أي ظاهر العين جار ، وقوله : ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أي كأس من عين خمر جاريةٌ ظاهرةٌ .
﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾	لا تصاب رءوسهم بالصداع فيسكرون.
﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾	لا تستنزف عقولهم ـ لا تذهب بعقولهم، وقيل: لا ينفذ شرابهم. [2]
﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾	يختارون لأنفسهم.

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : قوله : ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ والأكواب التي يغترف بها ليس لها خراطيم ، وهي أصغر من الأباريق.

(٢) أخرج الطبري أيضًا بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ قال: لا يغلب أحد على عقله.

﴿يَشْتَهُونَ﴾	تشتهيه نفوسهم.
﴿وَحُورٌ﴾	الحور جمع حوراء ، وهي ذات العين الشديدة السواد النقية البياض، وقيل: أطلق عليها (حور) لكون الطرف يحار فيها من شدة حسنها.
﴿عِينٌ﴾	جمع عيناء ، وهي النجلاء العين (واسعة العين) في حُسن .
﴿الْمَكْنُونِ﴾	المحفوظ في كنٍّ .
﴿لَغْوًا﴾	باطلًا من القول
﴿تَأْثِيمًا﴾	شيئًا يجلب الإثم.
﴿قِيلًا﴾	قولًا.
﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾	أمانًا ـ أسلم ما تكره.

❀❀❀

س : اذكر باختصار ما تضمنته سورة الواقعة ؟

ج : هذه السورة الكريمة فيها الحديث عن القيامة وبعض أحوالها وأهوالها وأحوال الناس فيها وأنهم في الجملة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، أهل الجنة قسمان : أعلاها وأفضلها المقربون جعلنا الله منهم ، ثم أصحاب اليمين.

أما أهل النار فهم قسم واحد وهم أصحاب الشمال المكذبون الضالون فانتظمت السورة الكريمة هؤلاء الأصناف الثلاثة وبينت بعض أحوالهم وما أُعد لهم.

وفي ثنايا هذه السورة المباركة الكريمة استدلالات على البعث والنشور وأنه آت لا محالة ، وبيان لقدرة الله عزَّ وجلَّ وبعض مظاهرها وآثارها ، ثم قسم عظيم من الله العظيم على أمرٍ عظيم ألا وهو أن هذا القرآن كريم وأنه محفوظ في كتاب مكنون لا تناله أيدي عابثة ولا تقربه الشياطين ، ثم ختام ببيان حال المرء عند الاحتضار وعجز من حوله عن نفعه بشيء ثم ختام بمثل ما بُدئت به من بيان أحوال الناس ومراتبهم ومنازلهم يوم القيامة. سلّمنا الله من كل شر ومكروه وجعلنا الله من السابقين المقربين.

❀❀❀

س : ما مدى صحة هذه الأحاديث ؟

١ ـ شيبتني هودٌ والواقعة والمرسلات ...

٢ ـ من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقةٌ أبدًا.

٣ ـ كان ﷺ يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور.

ج : أما حديث شيبتني هودٌ والواقعة والمرسلات... فكل طرقه ضعيفةٌ ، ولا أراه يثبت عن النبي ﷺ وكذلك حديث من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقةٌ أبدًا فهو حديث ضعيف كذلك ، أما حديث كان يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور فأخرجه أحمد [1] في مسنده بسندٍ حسن من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ، ولكنه كان يخفف ، كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر « الواقعة » ونحوها من السور.

❀❀❀

س : لماذا أُطلق على يوم القيامة « الواقعة » ؟

ج : قال بعض العلماء : أطلق عليها ذلك لتحقق وقوعها.

وقال آخرون : ذلك لكثرة ما يقع فيها من الشدائد والأهوال.

قال السمعاني في تفسيره : قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ معناه : إذا كانت القيامة ، وهذا قول عامة المفسرين . وسميت القيامة واقعة ؛ لأنه لا بد من وقوعها . والعرب تسمي كل متوقع لابد منه واقعًا ، وقال الضحّاك: الواقعة ها هنا هي الصيحة لموت الخلائق . وقيل : سميت القيامة واقعة ؛ لكثرة ما يقع فيها من الشدة . وعن بعضهم : لأنها تقع على غفلة من الناس.

❀❀❀

س : في قوله تعالى :﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ مقدر محذوف، وضّحه.

ج : قال بعض أهل العلم ، هو قوله : ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ فالمعنى اذكروا إذا وقعت الواقعة ، أي تذكروا يوم تقوم القيامة.

(١) أحمد (٥/ ١٠٤).

س : أين جواب قوله تعالى :﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم جواب ذلك في قوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : إذا قامت القيامة فإنها ترفع أقوامًا وتخفض آخرين.

وقال آخرون ، بل جواب ذلك قوله : ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ...﴾ فيكون المعنى إذا وقعت الواقعة فهناك أصحاب ميمنة ، وأصحاب مشأمة وهناك السابقون السابقون.

❀❀❀

س : متى تقع الواقعة ؟

ج : ذلك حين ينفخ في الصور يوم القيامة.

❀❀❀

س : اذكر بعض أسماء يوم القيامة؟

ج : من تلك الأسماء ما يلي :

الصاخة ـ الواقعة ـ الحاقة ـ الطامة الكبرى ـ الآزفة ـ القارعة ـ يوم الدين ـ يوم الفصل ـ يوم التلاق ـ يوم الجمع ـ الساعة ـ القيامة.

❀❀❀

س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى :﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله : ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي : [ليس] لوقوعها إذا أراد الله كونها صارفٌ يصرفها ولا دافع يدفعها ، كما قال : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٧] ، وقال : ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ [المعارج:١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:٧٣].

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان): وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ فيه أوجه من التفسير معروفة عند العلماء كلها حق ، وبعضها

يشهد له قرآن.

الوجه الأول : أن قوله كاذبة مصدر جاء بصفة اسم الفاعل ، فالكاذبة بمعنى الكذب كالعافية بمعنى المعافاة ، والعاقبة بمعنى العقبى ، ومنه قوله تعالى عند جماعات من العلماء : ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية:١١] قالوا معناه لا تسمع فيها لغوًا ، وعلى هذا القول ، فالمعنى ليس لقيام القيامة كذب ولا تخلف بل هو أمر واقع يقينًا لا محالة. ومن هذا المعنى ، قولهم : حمل الفارس على قرنه فما كذب ، أي ما تأخر ولا تخلف ولا جبن.

ومنه قول زهير :

ليثٌ يَعْثَرَ يَصْطَادُ الرِّجالَ إذَا ... مَا كذب الليثُ عن أقْرانه صَدَقَا

وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء:٨٧] الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج:٧] ، وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٩] ، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى:٧].

الوجه الثاني : أن اللام في قوله : لوقعتها ظرفية ، وكاذبة اسم فاعل صفة لمحذوف أي ليس في وقعة الواقعة نفس كاذبة بل جميع الناس يوم القيامة صادقون بالاعتراف بالقيامة مصدقون بها ليس فيهم نفس كاذبة بإنكارها ولا مكذبة بها . وهذا المعنى تتشهد له في الجملة آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء:٢٠١] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥] . وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى : ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦] ، وباقي الأوجه قد يدل على معناه قرآن ولكنه لا يخلو من بعد عندي ، ولذا لم أذكره ، وأقربها عندي الأول.

❀❀❀

س : اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله :﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

ج : قال ابن كثير رحمه الله : وقوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ، أي : تخفض أقوامًا إلى

أسفل السافلين إلى الجحيم ، وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى علّيين إلى النعيم المقيم ، وإن كانوا في الدنيا وُضَعَاء .

قال الشنقيطي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾:

خبر مبتدأ محذوف أي: هي خافضة رافعة ، ومفعول كل من الوصفين محذوف .

قال بعض العلماء : تقديره هي خافضة أقوامًا في دركات النار ، رافعة أقوامًا إلى الدرجات العلى إلى الجنة ، وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة كقوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [طه:٧٦] وقوله تعالى : ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١] ، والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة. **وقال بعض العلماء** : تقديره خافضة أقوامًا كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقوامًا كانوا منخفضين في الدنيا ، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. **وقال بعض العلماء** : تقديره ، خافضة بعض الأجرام التي كانت مرتفعة كالنجوم التي تسقط وتتناثر يوم القيامة ، وذلك خفض لها بعد أن كانت مرتفعة ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ وقال تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير:٢] . رافعة : أي رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة كالجبال التي ترفع من أماكنها وتسير بين السماء والأرض كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٧] ، فقوله : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ، لأنها لم يبق على ظهرها شيء من الجبال ، وقال تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨] . وقد قدمنا أن التحقيق الذي دل عليه القرآن ، أن ذلك يوم القيامة ، وأنها تسير بين السماء والأرض كسير السحاب الذي هو المزن. وقد صرح تعالى بأن الجبال تحمل هي والأرض أيضًا يوم القيامة . وذلك في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [الحاقة:١٣-١٤] الآية .

وعلى هذا القول ، فالمراد تعظيم شأن يوم القيامة ، وأنه يختل فيه نظام العالم ، وعلى القولين الأولين ، فالمراد الترغيب والترهيب ، ليخاف الناس في الدنيا من أسباب

الخفض في الآخرة فيطيعوا الله ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضًا ، وقد قدمنا مرارًا أن الصواب في مثل هذا حمل الآية على شمولها للجميع.

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾: قال عِكرمة ومقاتل والسُّدِّيُّ: خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعتْ من نأى، يعني أسمعت القريب والبعيد . وقال السُّدِّي : خفضت المتكبّرين ورفعت المستضعفين. وقال قتادة : خفضت أقوامًا في عذاب الله ، ورفعت أقوامًا إلى طاعة الله . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خفضت أعداء الله في النار ، ورفعت أولياء الله في الجنة . وقال محمد بن كعب : خفضت أقوامًا كانوا في الدنيا مرفوعين ، ورفعت أقوامًا كانوا في الدنيا مخفوضين . وقال ابن عطاء : خفضت أقوامًا بالعدل ، ورفعت آخرين بالفضل . والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة ، والعز والمهانة . ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسُّعًا ومجازًا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل ، يقولون : ليلٌ نائمٌ ونهار صائم . وفي التنزيل : ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده ، فرفع أولياءه في أعلى الدرجات ، وخفض أعداءه في أسفل الدركات . وقرأ الحسن وعيسى الثقفي﴿خَافِضَةً رَّافِعَةً﴾ بالنصب . الباقون بالرفع على إضمار مبتدإ ، ومن نصب فعلى الحال . وهو عند الفراء على إضمار فعل ، والمعنى : إذا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. لَيسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ـ وقعت : خَافِضَةً رَافِعَةً . والقيامة لا شك في وقوعها ، وأنها ترفع أقوامًا وتضع آخرين على ما بيناه.

وقال السعدي رحمه الله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾:

أي : خافضة لأناس في أسفل سافلين ، رافعة لأناس في أعلى عليين . أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب ، ورفعت ، فأسمعت البعيد.

❀❀❀

س : اذكر ـ بمزيد من الإيضاح ـ معنى قوله تعالى : ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾؟

ج : قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان): وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ

بَسًّا ﴾ في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضًا وكلها حق ، وكلها يشهد له قرآن. وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها أوجه كلها حق وكلها يشهد له قرآن، فنذكر جميع الأوجه وأدلتها القرآنية.

قال أكثر المفسرين: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي فتت تفتيتًا حتى صارت كالبسيسة ، وهي دقيق ملتوت بسمن ، ومنه قول لص من غطفان أراد آن يخبز دقيقًا عنده فخاف أن يعجل عنه ، فأمر صاحبيه أن يلتاه ليأكلوه دقيقًا ملتوتًا ، وهو البسيسة.

لا تخبــزا خبــزًا وبسابســا ولا تطيــلا بمنــاخ حبســا

وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾[المزمل:١٤] فقوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي رملًا متهايلًا. ومنه قول امرئ القيس:

وَيَوْمًا عَلى ظَهْرِ الْكَثِيـبِ تَعَـذَّرَتْ عَلَي وَآلَـتْ حِلْفَـةً لَـمْ تَحَلَّـلِ

ومشابهة الدقيق المبسوس بالرمل المتهايل واضحة ، فقوله: ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ مطابق في المعنى لتفسير ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ بأن بسّها هو تفتيتها وطحنها كما ترى. وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق ، والرمل المتهايل يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن ، كقوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة:٥] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [المعارج:٨ ـ ٩] وأصل العهن أخص من مطلق الصوف لأنه الصوف المصبوغ خاصة ؛ ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلّقته :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِـي كُـلِّ مَنْـزِلٍ نَزَلْنَ بِه حَـبُّ الفَنَـا لَـمْ يُحَطَّـمِ

وقال بعضهم: الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ،فإذا بست وفتتت يوم القيامة وطيرت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح في الهوى ، وهذا الوجه يدل عليه ترتيب كينونتها هباء منبثًا بالفاء على قوله: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ لأن الهباء هو ما ينزل من الكوة من شعاع الشمس إذا قابلتها: ﴿ مُّنۢبَثًّا ﴾ أي متفرقًا ، ووصفها بالهباء المنبث أنسب لكون البس بمعنى التفتيت والطحن.

الوجه الثاني: أن معنى قوله: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي سيرت بين السماء

والأرض ، وعلى هذا فالمراد ببسها سوقها وتسييرها من قول العرب : بست الإبل أبسها ، بضم الباء وأبسستها أبسها بضم الهمزة وكسر الباء ، لغتان بمعنى سقتها ، ومنه حديث : « **يخرج أقوام من المدينة إلى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون** ». وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ [الكهف:٤٧] الآية ، وقوله: ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور:١٠]. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل:٨٨] .

الوجه الثالث : أن معنى قوله : ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ نزعت من أماكنها وقلعت ، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة ، وأطوارها ، بالآيات القرآنية ، وفي سورة طه في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [طه:١٠٥] ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ:٢٠] ، والهباء إذا انبث ، أي تفرق ، واضمحل وصار لا شيء ، والسراب قد قال الله تعالى فيه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور:٣٩]

❁❁❁

س : الناس في الآخرة ـ على وجه الإجمال ـ ثلاثة أصناف ، وضحها مع الدليل؟

ج : الأصناف الثلاثة هم: السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال (وهم أصحاب المشأمة).

فالصنفان الأولان من أهل الجنة ، والثالث أهل النار، عياذًا بالله من أهل النار.

وقد قال تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾. ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾. ونحوه في سورة الإنسان ، وفي سورة المطففين.

قال الشنقيطي رحمه الله (أضواء البيان) : وقوله : أزواجًا : أي أصنافًا ثلاثة ، ثم بين هذه الأزواج الثلاثة بقوله : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ

ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أما أصحاب الميمنة فهم أصحاب اليمين ، كما أوضحه تعالى بقوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ الآيات ، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال كما أوضحه تعالى بقوله : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ الآيات.

❀❀❀

س : من المعنيون بأصحاب الميمنة ؟

ج :هم أكثر أهل الجنة ، وهم أهل المرتبة الثانية من أهل الجنة وقبلهم السابقون المقربون.

قال الشنقيطي رحمه الله: قال بعض العلماء : قيل لهم أصحاب اليمين لأنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم. وقيل : لأنهم يذهب بهم ذات اليمين إلى الجنة. وقيل : لأنهم عن يمين أبيهم آدم ، كما رآهم النبي ﷺ كذلك ليلة الإسراء . وقيل سموا أصحاب اليمين، وأصحاب الميمنة لأنهم ميامين ، أي مباركون على أنفسهم ، لأنهم أطاعوا ربهم فدخلوا الجنة ، واليمن البركة.

قال ابن الجوزي (في زاد المسير) :قوله عزَّ وجلَّ : ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ قال الفراء : عجَّب نبيه ﷺ منهم ؛ والمعنى: أي شيء هُمْ ؟! قال الزجاج : وهذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب ، ومجراه من الله عزَّ وجلَّ في مخاطبة العباد ما يعظم به الشأن عندهم ، ومثلُه ،﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ ؛ قال ابن قتيبة : ومثلُه أن تقول : زَيدٌ ما زَيدٌ أي رجُل هو.

❀❀❀

س : وضِّح معنى قوله :﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ ؟

ج : هذا تعجّبٌ لبيان ما هم فيه من عظيم الثواب وجميل الأجر.

يعجِّب الله نبيه ﷺ مما أُعد لهؤلاء من الفضل والكرامة .

قال الشنقيطي رحمه الله : وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ما أصحاب الميمنة، وقوله : ما أصحاب المشأمة ، استفهام أريد به التعجب من شأن هؤلاء في

السعادة ، وشأن هؤلاء في الشقاوة ، والجملة فيهما مبتدأ وخبر ، وهي خبر المبتدأ قبله، وهو أصحاب الميمنة في الأول وأصحاب المشأمة في الثاني. وهذا الأسلوب يكثر في القرآن نحو الحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة . والرابط في جملة الخبر في جميع الآيات المذكورة هو إعادة لفظ المبتدأ في جملة الخبر كما لا يخفى ، وقوله : والسابقون لم يذكر فيه استفهام تعجب كما ذكره فيما قبله ، ولكنه ذكر في مقابلة تكرير لفظ السابقين.

والأظهر في إعرابه أنه مبتدأ وخبر على عادة العرب في تكريرهم اللفظ وقصدهم الإخبار بالثاني عن الأول ، يعنون أن اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره الذي لا يحتاج إلى تعريف ومنه قول أبي النجم :

أنا أبـو الـنجم وشـعري شـعري — للّــه دري مــا أجــن صــدري

فقوله: وشعري شعري يعني شعري هو الذي بلغك خبره ، وانتهى إليك وصفه.

❀❀❀

س : لماذا أطلق على أصحاب المشأمة أصحاب المشأمة ؟

ج : أما أصحاب المشأمة فهم أصحاب الشمال وقيل عنهم أصحاب المشأمة لأنهم مشائيم على أنفسهم جلبوا لها العار وأحلوا بها الشنار وأورثوها الجحيم.

قال الشنقيطي رحمه الله : قيل : لأنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم. وقيل : لأنهم يذهب بهم ذات الشمال إلى النار ، والعرب تسمي الشمال شؤمًا ، كما تسمي اليمين يمينًا، ومن هنا قيل لهم أصحاب المشأمة أو لأنهم مشائيم على أنفسهم : فعصوا الله فأدخلهم النار ، والمشائيم ضد الميامين ، ومنه قول الشاعر :

مَشائِيمُ ليسوا مصـلحين عشـيرةً — ولا ناعـب إلا بـبين غرابهـا

❀❀❀

س : لماذا كرر قوله :﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ؟

ج : **قال ابن الجوزي رحمه الله في (زاد المسير) :**وفي إعادة ذِكْرِهم قولان:

أحدهما :أن ذلك للتوكيد.

والثاني : أن المعنى : السابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمة الله ، ذكره الزجاج.

❀❀❀

س : ما المراد بالأولين والآخرين في قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بالأولين الأولون من أمة محمد ﷺ والآخرين: آخر هذه الأمة.

الثاني : أن المراد بالأولين الأمم المتقدمة والآخرين هم أمة محمد ﷺ.(١)

الثالث : أن المراد بالأولين الأولون من كل أمةٍ والمراد بالآخرين الآخرون من كل أمةٍ.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره «أضواء البيان»:

وقد اختلف أهل العلم في المراد بهذه الثلة من الأولين ، وهذا القليل من الآخرين المذكورين هنا ، كما اختلفوا في الثلتين المذكورتين في قوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ . فقال بعض أهل العلم : كل هؤلاء المذكورين من هذه الأمة ، وأن المراد بالأولين منهم الصحابة. وبعض العلماء يذكر معهم القرون المشهود لهم بالخير في قوله ﷺ: « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الحديث . والذين قالوا : هم كلهم من هذه الأمة ، قالوا : إنما المراد بالقليل ، وثلة من الآخرين ، وهم من بعد ذلك إلى قيام الساعة. وقال بعض العلماء : المراد بالأولين في الموضعين الأمم الماضية قبل هذه الأمة ، والمراد بالآخرين فيهما هو هذه الأمة . قال مقيده عفا الله عنه ، وغفر له : ظاهر القرآن في هذا المقام : أن الأولين في الموضعين من الأمم الماضية ، والآخرين فيهما من هذه الأمة ، وأن قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ في السابقين خاصة ، وأن قوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ في أصحاب اليمين خاصة. وإنما قلنا: هذا هو ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم ، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين ، وكون ثلة من الآخرين

(١) واحتج لهذا بقوله ﷺ :« نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ».

في خصوص أصحاب اليمين لأنه واضح من سياق الآيات.

أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة ، لأن قوله : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ إلى قوله ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ لا شك أنه لا يخص أمة دون أمة ، وأن الجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء. فدل ذلك على أن قوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ عام في جميع أهل المحشر ، فظهر أن السابقين وأصحاب اليمين منهم من هو من الأمم السابقة ، ومنهم من هو من هذه الأمة. وعلى هذا ، فظاهر القرآن ، أن السابقين من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمة ، وأن أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمة ، لأنه عبر في السابقين من هذه الأمة بقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ وعبر عن أصحاب اليمين من هذه الأمة﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾. ولا غرابة في هذا ، لأن الأمم الماضية أمم كثيرة . وفيها أنبياء كثيرة ورسل ، فلا مانع من أن يجتمع من سابقيها من لدن آدم إلى محمد ﷺ أكثر من سابقي هذه الأمة وحدها.

أما أصحاب اليمين من هذه الأمة فيحتمل أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين من جميع الأمم ، لأن الثلة تتناول العدد الكثير ، وقد يكون أحد العددين الكثيرين أكثر من الآخر، مع أنهما كلاهما كثير. ولهذا تعلم أن ما دل عليه ظاهر القرآن واختاره ابن جرير ، لا ينافي ما جاء من أن نصف أهل الجنة من هذه الأمة.

فأما كون قوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ﴾ دل ظاهر القرآن على أنه في خصوص السابقين ، فلأن الله قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ثم قال تعالى ـ مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين ـ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

وأما كون قوله : ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ في خصوص أصحاب اليمين ، فلأن الله تعالى قال: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ ، والمعنى: هم ـ أي أصحاب اليمين ـ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ، وهذا واضح كما ترى.

قال السمعاني في تفسيره : قوله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي : جماعة من الأولين ،

ولفظ الثلة مأخوذ من الثل وهو القطع. وقوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ اختلف أهل التفسير فيه على القولين : أحدهما: أن المراد من الأولين هم أتباع الأنبياء المتقدمين قبل نبينا محمد ﷺ، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ هم من أمة محمد ﷺ.

والقول الثاني: أنهما جميعًا من هذه الأمة ، وقد روى هذا في خبر مرفوع ، وهو قول الحسن وابن سيرين . فإن قيل على القول الأول : كيف يستقيم هذا ، وأتباع الرسول من المؤمنين أكثر من أتباع الأنبياء ؟ والجواب : أن المراد من الأولين: هو مَنْ رأى جميع الأنبياء وآمن بهم ، ومن الآخرين: مَنْ رأى محمدًا ﷺ وآمن به ، وعلى القطع يعلم أن أولئك ممن رأى نبينا وآمن به ، فإن الله تعالى قال في يونس عليه السلام : ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧] هذا في نبي واحد ، فكيف في جميع الأنبياء ؟ وإنما كثرت هذه الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ.

❀❀❀

س : هل أوائل هذه الأمة أفضل أم أواخرها ؟

ج : لا شك أن أولها أفضل ، وذلك للآتي ذكره:

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد:١٠]. وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

وقوله ﷺ: « خير أمتي قرني ». وقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[1] . أما الأحاديث الواردة في الباب كحديث : «**لِمثْل المتَمَسِّك بِما أَنْتم عَلَيْه أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكم..**» فهذا ضعيف الإسناد ، وكذلك الحديث : « مثل أمتي مثل الغيث لا يدري أوله خير أم آخره ». فهو ضعيف أيضًا.

❀❀❀

س: اذكر مجموع أوصاف الولدان المخلَّدون في الجنة ؟

ج : وصف هؤلاء بما يلي :البياض الشديد ، قال تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ

(١) البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١).

﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤]. عدم تسرب المشيب إليهم ، وعدم المرض وعدم التغير ، وذلك من قوله: ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾. كثرتهم ، فقد قال تعالى : ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

❀❀❀

س: ذهب بعض أهل العلم إلى جواز التخيّر والانتقاء من الفاكهة والأكل منها على صفة التخير لها. وضح وجه ذلك ؟

ج : إيضاحه من قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ وأورد الإمام [1] أحمد ما يدل على ما ذُكر من التخير من الفاكهة وذلك من طريق ثابت قال : قال أنس : كان رسول الله ﷺ ، تعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجل رؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أُثني عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه ، فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله ، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة ، فسمعت وَجْبة انتحبت لها الجنة ، فنظرت فإذا فلان بن فلان ، وفلان بن فلان ، فسمت اثني عشر رجلًا ، كان النبي ﷺ، قد بعث سرية قبل ذلك ، فجيء بهم عليهم ثياب طُلْس تشخب أوداجُهم ، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر [البيدخ ، أو : البيذخ] قال : فغمسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر فأكلوا من بُسره ما شاءوا ، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلتُ معهم ، فجاء البشير من تلك السرية ، فقال : كان من أمرنا كذا وكذا ، وأصيب فلان وفلان . حتى عد اثني عشر رجلًا ، فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : «**قُصِّي رؤياك**». فقصتها . وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال.

❀❀❀

س : هل هناك قراءة (وحورٍ) بالخفض وما وجهها ؟ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ : قرأ بعضهم بالرفع ، وتقديره : ولهم فيها حور عين . وقراءة الجر تحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون الإعراب على الإتباع بما قبله ، كقوله : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾ ، كما قال : ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ

(١) أحمد (٣/ ١٣٥ ، ٢٥٧).

وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [المائدة:٦] وكما قال : ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان:٢١] .
والاحتمال الثاني : أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ، ولكن يكون ذلك في القصور ، لا بين بعضهم بعضًا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين ، والله أعلم .

قال الطبري رحمه الله : اختلف القرّاء في قراءة قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ بالخفض إتباعًا لإعرابها إعراب ما قبلها من الفاكهة واللحم ، وإن كان ذلك مما لا يُطاف به ، ولكن لما كان معروفًا معناه المراد أتبع الآخر ، الأوّل في الإعراب ، كما قال بعض الشعراء.

إذَا مَــا الغانِيــاتُ بَــرَزْنَ يوْمًــا وَزَجَّجْـــن الْحَواجِـــبَ والعُيونـــا

فالعيون تكَحَّل . ولا تزجَّج إلا الحواجب ، فردّها في الإعراب على الحواجب ، لمعرفة السامع معنى ذلك وكما قال الآخر :

تَسْــمَعُ للأَحْشــاءِ مِنْــهُ لَغَطَــا ولِلْيَـــدَينِ جُســـأةً وَبَـــدَدَا

والجسأة : غلظ في اليد ، وهي لا تُسمع. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ على الابتداء ، وقالوا : الحور العين لا يطاف بهنّ ، فيجوز العطف بهنّ في الإعراب على إعراب فاكهة ولحم ، ولكنه مرفوع بمعنى : وعندهم حور عين ، أو لهم حور عين. والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان. قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء مع تقارب معنييهما ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب . والحور جماعة حَوْراء، وهي: النقية بياض العين، الشديدة سوادها . والعين: جمع عيناء ، وهي: النجلاء العين في حُسن.

❀❀❀

س: ما وجه تشبيههن باللؤلؤ المكنون ؟

ج : ذلك ، والله أعلم ، لبيان شدة بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون الذي قد صنته في كنٍّ.

❀❀❀

س : هل صح عن رسول الله ﷺ شيءٌ في تفسير قوله تعالى :﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾؟

ج : ورد شيء من ذلك عند الطبري لكنه ضعيف الإسناد، فعنده من حديث أم سلمة بسندٍ ضعيف عن أم سلمة قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ قال : «**صفاؤهن كصفاء الدُّر الذي في الأصداف الذي لا تمسّهُ الأيدي** ».

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ ؟

ج : قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان معنى ذلك :

وقوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ يقول: لا يسمعون فيها باطلًا من القول ولا تأثيمًا، يقول: ليس فيها ما يؤثمهم. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ والتأثيم لا يُسمع، وإنما يُسمع اللغو، كما قيل: أكلت خبزًا ولبنًا، واللبن لا يُؤكل، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل.

وقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ يقول : لا يسمعون فيها من القول إلا قيلًا سلامًا : أي اسلم مما تكره. وفي نصب قوله﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ وجهان : إن شئت جعلته تابعًا للقيل، ويكون السلام حينئذ هو القيل؛ فكأنه قيل . لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا ، إلا سلامًا سلامًا، ولكنهم يسمعون سلامًا سلامًا. **والثاني**: أن يكون نصبه بوقوع القيل عليه ، فيكون معناه حينئذ: إلا قيلَ سلامٍ فإن نوّن نصب قوله: (سَلامًا سَلامًا) بوقوع قِيلٍ عليه.

❀❀❀

س : وضّح المعنى الاجمالي لقوله تعالى :﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾.

ج : قال بعض أهل العلم: قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ معناه أن أهل الجنة لا يسمعون في الجنة إلا تسليمًا من بعضهم على بعض وتسليمًا من ربهم عليهم ، وتسليمًا من الملائكة عليهم . وهناك معنى آخر ألا وهو: أن كلامهم أيضًا سالمٌ من اللغو والإثم.

❀❀❀

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾
وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا
﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾

[الواقعة: ٢٧ ـ ٤٠].

س : وضّح معنى ما يلي :
(﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ـ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ـ سِدْرٍ ـ مَّخْضُودٍ ـ وَطَلْحٍ ـ مَّنضُودٍ ـ مَّمْدُودٍ ـ مَّسْكُوبٍ ـ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ـ أَبْكَارًا ـ عُرُبًا ـ أَتْرَابًا﴾ .

ج :

الكلمة	معناها
﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾	هم الذين يُؤخذ بهم ذات اليمين. وقيل: هم الذين يُعْطَونْ كتبهم بأيمانهم يوم القيامة.
﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾	أيّ شيء هم أصحاب اليمين ، وماذا أُعد لهم من النعيم.
﴿سِدْرٍ﴾	ثمر السدر ، شجرة سدر ممتلئة ثمارًا عظيمة الحجم.
﴿مَّخْضُودٍ﴾	ذهب شوكه ، خُضِّد من الشوك فلا شوك فيه وقيل: هو الموقر حملًا وثمرها أعظم من القلال.
﴿وَطَلْحٍ﴾	موز.
﴿مَّنضُودٍ﴾	بعضه متراكم فوق بعض، نُضِّد فكان بعضه فوق بعض.
﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾	دائم لا تنسخه الشمس ، ولا تذهبه الشمس .

﴿مَّسْكُوبٍ﴾	مصبوب ـ سائل في غير أخدود يجري في غير أخدود.
﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾	خلقناهن خلقًا ، فقد كنّ في الدنيا عجائز عمشًا فصرن في الآخرة أبكارًا، وقيل إنهن ينشأن في السن على قدر بنات آدم ثلاثة وثلاثين سنة.
﴿أَبْكَارًا﴾	عذارى (لم تفض بكارتهن) بعد أن كُنَّ عجائز.
﴿عُرُبًا﴾	غنجات ـ متحببات إلى الأزواج ـ حسنات التبعل، تشتهي زوجها ـ عشيقةٌ لزوجها ـ تُحِبُّ الزوج حبًّا شديدًا.
﴿أَتْرَابًا﴾	في سنٍّ واحدة ـ أمثالًا ـ.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ .

ج : قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ، أي : لا تنقطع شتاءً ولا صيفًا ، بل أكلها دائم مستمر أبدًا ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم ـ بقدرة الله ـ شيء.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ .

ج : قال بعض العلماء: إن الفرش هنا هي السُرر وماعليها، وقال آخرون: إن المراد بالفرش النساء، والأصوب أنها: الفرش وما عليها ، أما قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ ، فالأكثر أنها مرفوعة المكان ، وقيل: إنها مرفوعة القدر.

❀❀❀

س : هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى :﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

ج : لم أقف على شيءٍ صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ في هذا الصدد.

وقد أخرج الطبري بإسناد ضعيف عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، في قوله ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «إِنَّ ارْتِفَاعَهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وإِنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَمَسِيْرَةَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ».

❀❀❀

س: هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾؟

ج: لم أقف على شيءٍ صحيح في هذا الصدد، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ ضعيف عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ، في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «مِنْهُنَّ العَجائِزُ اللاتِي كُنَّ فِي الدُّنْيا عُمْشًا رُمْصًا».

❀❀❀

س: هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ مع مزيد من الإيضاح لمعناها؟

ج: لم أقف على شيءٍ صحيح في ذلك، وقد أخرج الطبري بسندٍ ضعيف عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ قال: «عُرُبًا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبباتٍ، أتَرَابًا على ميلادٍ وَاحِدٍ».

أما عن مزيد من الإيضاح فقد قال السعدي رحمه الله: كما أن كونهن ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ملازم لهن في كل حال. والعروب هي: المرأة المتحببة إلى بعلها، وحسن هيئتها ودلالها، وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سَبَت العقولَ، ووَدَّ السامعُ أن كلامها لا ينقضي، خصوصًا عند غنائهنَّ بتلك الأصوات الرخيمة، والنغمات المطربة. وإن نظر إلى أدبها وسمتها، ودلها، ملأت قلب بعلها فرحًا وسرورًا، وإن انتقلت من محل إلى آخر، امتلأ ذلك الموضع منها ريحًا طيبًا نورًا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

والأتراب: اللاتي على سنٍّ واحدةٍ ـ ثلاث وثلاثين سنة ـ التي هي غاية ما يتمنى أكملِ سن الشباب، فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يَحْزَنَّ ولا يُحزِنَّ، بل هنَّ أفراح النفوس، وقرة العيون، وجِلاء الأبصار.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ .

ج : أمّا ثُلّةٌ فمعناها: جماعة.

أما المراد بالأوّلين فقيل: إنهم الأولون قبل أمة محمد ﷺ ، وثلة من الآخرين: جماعة من أمة محمد ﷺ.

وقيل: المراد بالأولين: أوائل أمة محمد ﷺ والآخرين: هم آخر هذه الأمة.

أما الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ فقد اختار الأول إذ قال :يقول تعالى ذكره : الذين لهم هذه الكرامة التي وصف صفتها في هذه الآيات ثُلّتان ، وهي جماعتان وأمتان وفرقتان : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، يعني جماعة من الذين مضوا قبل أمة محمد ﷺ ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ ، يقول :وجماعة من أمة محمد ﷺ.

❀❀❀

س: هل صحّ عن رسول الله ﷺ شيء في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾؟

ج : لم أقف على شيء صحيح عن رسول الله ﷺ ، وقد أورد الطبري أحاديث بذلك لكن أسانيدها ضعيفة.

❀❀❀

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا
بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ
(٤٦) وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَءَابَآؤُنَا
ٱلْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ
إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٥٣)
فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ (٥٤) فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ (٥٦) نَحْنُ
خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ
(٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي
مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
(٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ
(٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ
أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤١-٧٤]

س : اذكر معنى ما يلي :

(﴿سَمُومٍ - وَحَمِيمٍ - يَحْمُومٍ - مُتْرَفِينَ - يُصِرُّونَ - ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ - ٱلْحَمِيمِ - ٱلْهِيمِ - هَٰذَا

نُزُلُهُمْ - يَوْمَ ٱلدِّينِ - مَّا تُمْنُونَ - بِمَسْبُوقِينَ - وَنُنشِئَكُمْ - فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ - ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ - فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ - حُطَٰمًا - فَظَلْتُمْ - تَفَكَّهُونَ - لَمُغْرَمُونَ - مَحْرُومُونَ - ٱلْمُزْنِ - أُجَاجًا - تُورُونَ - أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ - وَمَتَٰعًا - لِّلْمُقْوِينَ﴾.

ج :

الكلمة	معناها
﴿سَمُومٍ﴾	سموم جهنم (حر جهنم) - الهواء الحار.
﴿وَحَمِيمٍ﴾	ماء يغلي (قد بلغ أعلى درجات غليانه) - الماء الحار.
﴿يَحْمُومٍ﴾	دخان أسود شديد - ظِلّ الدخان الأسود الشديد.
﴿مُتْرَفِينَ﴾	مُنعمين.
﴿يُصِرُّونَ﴾	يستمرون - يتمادون - مقيمون - يدمنون لا يتوبون ولا يستغفرون ولا يقلعون - يصمِّمون.
﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾	الذنب العظيم (قيل هو الشرك وعبادة الأوثان) وقال بعض العلماء: أنهُ اليمين الغموس [1].
﴿ٱلْحَمِيمِ﴾	الماء الذي بلغ أعلى درجات غليانه.
﴿ٱلْهِيمِ﴾	الرَّمل - الإبل التي أصابها داءٌ فأصبحت ظِماء لا تشبع ، فلا تزال تشرب حتى تهلك.
﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾	هذه ضيافتهم - هذا المكان مكان استضافتهم - هذا رزقهم.
﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾	يوم القيامة.

(١) أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: قال: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون.
وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : الذنب العظيم.

أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: قال: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم الشرك لا يتوبون ولا يستغفرون.
وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : الذنب العظيم.

﴿مَّا تُمْنُونَ﴾	النطف التي تقذفونها في أرحام نسائكم (المني الذي تُمنونه ويخرج منكم) فقوله ﴿تُمْنُونَ﴾ أي: تقذفون في رحم النساء.
﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾	بمغلوبين على الأمر الذي نريده ـ بعاجزين .
﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾	نحولكم ـ نخلقكم .
﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	على حالٍ وعلى صورةٍ لا تعلمونها ، وصفةٍ لا تدركونها.
﴿النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾	الخلق الأول من منيٍّ يُمنى ـ وقيل بداية الخلق.
﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾	فلولا تتعظون وتعتبرون.
﴿حُطَامًا﴾	هشيمًا لا ينتفع به في مطعمٍ وغذاءٍ ـ متكسرًا محطّمًا.
﴿فَظَلْتُمْ﴾	استمررتم ـ أقمتم.
﴿تَفَكَّهُونَ﴾	تتعجَّبون ـ تلاومون ـ وقيل: تفكَّهون: تنوِّعون في المقالة ، فتارة تقولون: إنا لمغرمون ، وتارة تقولون: بل نحن محرومون ـ تندمون ـ وقيل: تحزنون.
﴿لَمُغْرَمُونَ﴾	لمعذبون ـ لمولعٌ بنا ـ لملقون إلى الشر غرمنا الحب الذي بذرناه وذهب زرعنا.
﴿مَحْرُومُونَ﴾	لا حظ لنا ـ حُرمنا ما طلبنا من الربح.
﴿الْمُزْنِ﴾	السحاب.
﴿أُجَاجًا﴾	شديد الملوحة ـ مُرًّا.
﴿تُورُونَ﴾	تستخرجون من زندكم ، ومنه: فالموريات [1].
﴿أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾	خلقتم شجرتها ـ اخترعتموها.
﴿وَمَتَاعًا﴾	منفعةً
﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾	المسافرين ـ المُستمتعين وهم عموم من يستمتع بها من المسافرين أو الحاضرين.

(١) وهي الخيول المحاربة التي تجري بشدة فتحدث شررًا أثناء جريانها بحوافرها.

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله :

وقوله ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ يقول تعالى ذكره معجبًا نبيه محمدًا من أهل النار ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الذين يؤخذ بهم ذات الشمال من موقف الحساب إلى النار ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : أي: ماذا لهم ، وماذا أعد لهم.

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال؛ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم ، ثم عظّم ذِكرهم في البلاء والعذاب فقال : ﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ﴾ والسموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن.

❀❀❀

س : وضح معنى قوله تعالى :﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾ .

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن الظلّ الذي يستظل به أهل النار إنما هو ظل دخان أسود شديد السواد ، وهذا في الحقيقة ليس بظلّ ينتفع به إنما هو ظل يُعذب به.

وقد قال تعالى : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [المرسلات٢٩ ـ ٣٣].

قال القرطبي رحمه الله :﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴾ أي: يفزعون من السَّموم إلى الظلّ كما يفزع أهل الدنيا فيجدونه ظلًّا من يَحْمُوم ، أي: من دخان جهنم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وكذلك اليحموم ـ في اللغة ـ: الشديد السواد وهو يفعول من الحَمّ وهو الشَّحْم المسودّ باحتراق النار . وقيل : هو مأخوذ من الحُمَم وهو الفحم.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾.

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن هذا الظل الذي هو ظل الدخان الأسود ﴿لَّا

بَارِدٍ ﴾ ، أي: لا يحمل بردًا يخفف عنهم ما هم فيه من حرِّ النار ، ولا كريم المنظر. وكذلك ليس بطيب الهبوب ، ولا حسن المنظر. وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ [المرسلات٢٩ ـ ٣١].

قال الطبري رحمه الله :

وقوله : ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ يقول تعالى ذكره : ليس ذلك الظلّ ببارد ، كبرد ظلال سائر الأشياء ، ولكنه حارّ ، لأنه دخان من سعير جهنم ، وليس بكريم لأنه مؤلم من استظلّ به ، والعرب تتبع كلّ منفي عنه صفة حمد نفي الكرم عنه ، فتقول : ما هذا الطعام بطيب ولا كريم ، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة.

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ ليس بطيب الهبوب ولاحسن المنظر.

❀❀❀

س : قوله تعالى :﴿ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ قبل ماذا ؟

ج : قبل البعث ، وقبل المات أي أنهم كانوا في الدنيا.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى :﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾.

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن هؤلاء المكذبين للرسل كانوا في الدنيا مُنَعَّمين غارقين في الحرام مقبلين على لذات أنفسهم ، حملهم الترفُ الذي هم فيه والنعيم الذي هم فيه على تكذيب الرسل وإنكار البعث والجزاء وحملهم على الطغيان ، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧] وكما قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٣].

❀❀❀

س : اذكر بعض الأدلة على إنكار المشركين للبعث.

ج : من الأدلة على ذلك مايلي :

قولهم: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٢].

وما ذكره الله تعالى عنهم إذ قال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨]. وقول قائلهم : ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت:٥٠]. وقولهم﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:١٠].

❀❀❀

س : وضّح المعنى الإجمالي لقوله تعالى :﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾.

ج : المعنى الإجمالي: أن أهل الكفر كانوا يستبعدون وقوع البعث وينكرونه ويقولون أئذا متنا وتمزقت أجسادنا وتفتت عظامنا وأصبح ترابًا وعظامًا باليةً متفتتةً، أَنُبْعَثُ مرة أخرى!!!.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن أهل الكفر يتعجبون من إخبارهم بالبعث ويسألون سؤال المستنكر المستبعد أئنا لمبعوثون أحياء بعد المات ، وآباؤنا كذلك يبعثون ؟

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ قال أبو عبيدة : الواو متحركة لأنها ليست بواو وإنها هي « وآباؤنا » فدخلت عليها ألف الاستفهام فتُركتْ مفتوحة . وقرأ أهل المدينة ، وابن عامر: « أَوْ آباؤنا » بإسكان الواو.

❀❀❀

س : اذكر بعض لآيات والأحاديث الدالة على البعث!

ج :أما الآيات فمنها مايلي :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود:١٠٣].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الدخان:٤٠].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ:١٧].

س: قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ مكذبون بماذا ؟

ج: مكذبون بيوم القيامة، ومكذبون بوعد الله ووعيده.

❀❀❀

س : ورد لشجرة الزقوم ذِكر في مقام آخر من كتاب الله عزَّ وجلَّ بَيِّنْ هذا الموطن ؟

ج: ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣ ـ ٤٦].

❀❀❀

س : لماذا يأكلون من شجرة الزقوم مع مرارتها وما فيها ؟

ج: قال بعض أهل العلم إنهم يجوعون جوعًا شديدًا وهم في النار فيضطرون إلى الأكل من شجر الزقوم.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: وذلك أنهم يُقْبَضون ويُسْجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملئوا منها بطونهم.

❀❀❀

س : لماذا ذُكِّر الشجر في قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ وأُنِّث في قوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم إن الشجر يؤنث ويذكَّر . وقال بعضهم إن الشجر ذُكِّر للفظ ، وأُنِّث للمعنى .

قال الطبري رحمه الله : واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الشجر في قوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ أي: من الشجر، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ لأن الشجر تُؤنَّث وتُذكَّر ، وأُنِّث لأنه حمله على الشجرة ؛ لأن الشجرة قد تدلّ على الجميع ، فتقول العرب : نبتت قبلنا شجرة مرّة وبقلة رديئة ، وهم يعنون الجميع، وقال بعض نحويِّي الكوفة: ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ ، وفي قراءة عبد الله: ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرَةٍ مِّن زَقُّومٖ﴾ على واحدة ، فمعنى شجر وشجرة واحد ، لأنك إذا قلت أخذت من الشاء ، فإن نويت واحدة أو أكثر من ذلك ، فهو جائز ، ثم قال: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ يريد من الشجرة ؛ ولو قال : (فمالئون منه) إذا

لم يُذكِّر الشجر كان صوابًا يذهب إلى الشجر في منه ، ويُؤنِّث الشجر ، فيكون منها كناية عن الشجر والشجر يؤنَّث ويذكَّر ، مثل التمر يؤنث ويذكر.

والصواب من القول في ذلك عندنا القول الثاني ، وهو أن قوله: ﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا ﴾ مراد به من الشجر أنّث المعنى ، وقال: ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ مُذكِّرًا للفظ الشجر.

❀❀❀

س : هل هناك نهي عن الشرب بعد الأكل ؟

ج : لا أعلم نهيًا عن ذلك ، بل قد قال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور:١٩].

❀❀❀

س : اذكر نُزُل الكفار ونُزُل الأبرار يوم القيامة .

ج : أما نزل الكفار (أي: ضيافتهم) فهي الأكل من شجرة الزقوم حتى تمتلئ منها البطون ، ثم إنهم شاربون عليها من الماء الذي يغلي غليانًا شديدًا ، ويشربون بشراهة شديدة شربًا عظيمًا كما تشرب الإبل العطاش التي أصابها الداء الذي يحملها على أن تشرب فلا تُروى. أما نزل الأبرار ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف:١٠٧].

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لكفار قريش والمكذّبين بالبعث : نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئًا ، فأوجدناكم بشرًا ، فهلا تصدّقون من فعل ذلك بكم في قيله لكم : إنه يبعثكم بعد مماتكم وبلاكم في قبوركم ، كهيأتكم قبل مماتكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى مُقرِّرًا للمعاد ، ورَدًّا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد ، من الذين قالوا : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ . وقولُهم ذلك صَدَرَ منهم على وجه التكذيب والاستبعاد ، فقال: ﴿ نَحْنُ

خَلَقْنَٰكُمْ ﴾، أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، أفليس الذي قدر على البَداءَة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى؟ فلهذا قال : ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ ، أي : فهلا تصدقون بالبعث.

❀❀❀

س : كثيرًا ما يسْتَدل على البعث بالخلق الأول ، دلّل على ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾. وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس:٧٩] .وقوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء:٥١]. وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ... ﴾ [الحج:٥].وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ... ﴾ [الروم:٢٧]. وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ... ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

❀❀❀

س: اذكر ـ بمزيد من الإيضاح ـ معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾.

ج : قال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث : أفرأيتم ـ أيّها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم ـ النطف التي تمنون في أرحام نسائكم ، أنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾.

ج : قال بعض أهل العلم: نحن قَدَّرنا بينكم الموت أي: كتبناه عليكم أجمعين ، كما قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت:٥٧].

وقال آخرون : صرّفناه بينكم أي: هذا يرى أخاه قد مات وصديقه وقريبه وزوجه وأخته وأخاه وغير هؤلاء فيحدث له بذلك الادّكار والاتعاظ.

وقال آخرون من أهل العلم : سوينا في الموت بين أهل السماء والأرض والإنس

والجن ، أي أن الكلّ سيموت. والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله : وقوله : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره : نحن قدّرنا بينكم ـ أيها الناس ـ الموت ، فعجَّلناه لبعض ، وأخَّرناه عن بعض إلى أجل مسمى.

قال الشنقيطي رحمه الله : قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير ابن كثير (قَدَّرنا) بتشديد الدال ، وقرأه ابن كثير بتخفيفها ، وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها وجهان أو أكثر من التفسير ، ويكون كل ذلك صحيحًا ، وكله يشهد له قرآن ، فنذكر الجميع وأدلته من القرآن ، ومن ذلك هذه الآية الكريمة.

وإيضاح ذلك أن لقوله: ﴿قَدَّرْنَا﴾ وجهين من التفسير وفيها تتعلق به (على أن نبدل) وجهان أيضًا ، فقال بعض العلماء : وهو اختيار ابن جرير أن قوله : ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ أي: قدرنا لموتكم آجالًا مختلفة وأعمارًا متفاوتة فمنكم من يموت صغيرًا ومنكم من يموت شابًّا ، ومنكم من يموت شيخًا.

وهذا المعنى دلّت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [الحج:٥] وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر:٦٧] وقوله تعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ [فاطر:١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:١١] وقوله : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج:٤١] أي: ما نحن بمغلوبين ، والعرب تقول: سبقه على كذا أي: غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه، أي: وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من آجالكم وحددناه من أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجلًا أخّرناه ولا يؤخر أجلًا قدّمناه.

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:٤] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران:١٤٥] إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى هذا القول ، فقوله تعالى : ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ ليس متعلقًا بمسبوقين بل بقوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ والمعنى : نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم ، أي نبدل من الذين ماتوا أمثالًا لهم نوجدهم.

وعلى هذا ، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذي ماتوا، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣] إلى غير ذلك من الآيات. وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير ، وقراءة (قَدَّرْنَا) بالتشديد مناسبة لهذا الوجه، وكذلك لفظة بينكم.

الوجه الثاني : أن قدّرنا بمعنى: قضينا وكتبنا أي: كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق ، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت:٥٧]، وقوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وعلى هذا القول فقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ : متعلق بمسبوقين أي ما نحن بمغلوبين، والمعنى: وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا فنحن قادرون على إهلاككم ، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلًا منكم.

وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣]، وقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام:١٣٣]، وقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم:١٩]، وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، وقد قدمنا هذا في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء:١٣٣] الآية . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فيه للعلماء أقوال متقاربة. وقال بعضهم : ننشئكم بعد إهلاككم فيما لا تعلمونه من الصور والهيئات، كأن ننشئكم قردة وخنازير، كما فعلنا ببعض المجرمين قبلكم. وقال بعضهم : ننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات ، فنغير صفاتكم ونجمل المؤمنين ببياض الوجوه ، ونقبح الكافرين بسواد الوجوه وزرقة العيون . إلى غير ذلك من الأقوال.

س : وضّح معنى قوله تعالى ﴿نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ .

ج : قال بعض أهل العلم: المعنى: نغير خلقكم يوم القيامة، وقال آخرون: المعنى: نذهب بكم في الدنيا ونأتي بمثلكم من جنسكم، بشرٌ من أمثالكم لكن يعبدون ربهم عبادة خيرًا منكم.

❀❀❀

س : اذكر ـ بمزيدٍ من الإيضاح ـ معنى قوله :﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ ونحولكم إلى صورٍ لا تعلمونها.

❀❀❀

س : هل يمكن أن يُمسخ أقوامٌ في الدنيا إلى صور أُخر ؟

ج : نعم، ذلك ممكن ، وقد قال تعالى : ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ..﴾ [النساء:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٦].

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ...﴾ [المائدة:٦٠].

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ؟

ج : أما النشأة الأولى فهي: خلقهم من مَنِيٍّ يُمْنَى، وقيل: إنها خلق آدم عليه السلام من تراب.

قال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره: ولقد علمتم ـ أيها الناس ـ الإحداثة الأولى التي أحدثناكموها، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال :هو خلق آدم.

ثم قال الطبري رحمه الله : وقوله﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فهلا

تَذَكّرون أيها الناس ، فتعلمون أن الذي أنشأكم النشأة الأولى ـ ولم تكونوا شيئًا ـ لا يتعذّر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . أي : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة ـ وهي البَدَاءة ـ قادر على النشأة الأخرى ـ وهي الإعادة ـ بطريق الأولى والأحرى.

❀❀❀

س : كثيرًا ما يستدل على البعث بالخلق الأول ، اذكر من الأدلة ما يفيد ذلك.

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق:١٥]. وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس:٧٨ ـ ٧٩]. وقوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة:٣٦ ـ ٣٧].

❀❀❀

س : وضّح معنى الآية الكريمة : ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾.

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: أفلا نظرتم ـ أيها الناس ـ إلى الأرض التي تحرثونها ، تشقونها وتثيرونها وتبذرون البذور فيها.

قال الطبري رحمه الله تعالى : وقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره : أفرأيتم ـ أيها الناس ـ الحرث الذي تحرثونه ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ يقول : أأنتم تصيرونه زرعًا ، أم نحن نجعله كذلك؟.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ هذه حجة أخرى ، أي: أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البَذر ، أنتم تنبتونه وتحصّلونه زرعًا فيكون فيه السُّنْبل والحبّ أم نحن نفعل ذلك؟، وإنما منكم البذر وشقّ الأرض،

فإذا أقررتم بأن إخراج السُّنْبل من الحبّ ليس إليكم ، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم ؟!، وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ والمستفاد منه.

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: أأنتم تخرجون النبات من الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أم نحن الذين أنبتنا نباتها من الأرض؟، فجواب ذلك: أن الله هو الذي أنبت ذلك وأقر قراره وأنبت نباته.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ في «تيسير الكريم المنان»: وهذا امتنان منه على عباده ، يدعوهم به ، إلى توحيده ، وعبادته ، والإنابة إليه ، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار . فتخرج من ذلك ، من الأقوات ـ والأرزاق ، والفواكه ـ ما هو من ضروراتهم ، وحاجاتهم ، ومصالحهم ، التي لا يقدرون أن يحصوها ، فضلًا عن شكرها ، وأداء حقها ، فقررهم بمنته فقال: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ أي : أنتم أخرجتموه نباتًا من الأرض ؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره ، حتى صار حبًّا حصيدًا ، وثمرًا نضيجًا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده ، وأنعم به عليكم ؟ . وأنتم غاية ما تفعلون ، أن تحرثوا الأرض وتشقوها ، وتلقوا فيها البذر . ثم لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك ، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك . ومع ذلك ، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار ، لولا حفظ الله وإبقاؤه بلغة لكم ، ومتاعًا إلى حين.

❁❁❁

س: ما صحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ زَرَعْتُ ...»؟.

ج : الحديث ضعيف الإسناد جدًّا ، ولا يثبت عن رسول الله .

❁❁❁

س : كثيرًا ما يستدل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها دلِّل على ذلك :

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩].

وقوله تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [فاطر:٩].

وقوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٥٠].

❀❀❀

س : هل هناك ذِكر يقال عند تلاوة قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يقال: (بلى أنت يارب) ، نقله الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن حجر المدري.

ولكن لم أقف في ذلك على شيءٍ عن رسول الله ﷺ.

❀❀❀

س : قوله تعالى :﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾ عائدٌ على ماذا ؟

ج : قيل: هو عائد على الزرع.

❀❀❀

س: ما وجه التعجب في قوله :﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾؟

ج : قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فظلتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه.

وقال آخرون : معنى ذلك : فظلتم تلاومون بينكم في تفريطكم في طاعة ربكم ـ

جلّ ثناؤه ـ حتى نالكم ما نالكم من إهلاك زرعكم.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تندمون على ما سلف منكم في معصية الله التي أوجبت لكم عقوبته ، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم.

وقال آخرون : بل معنى ذلك: فظلتم تعجبون.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿ فَظَلْتُمْ ﴾: فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم، وأصله من التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه، ويلهى به ، فكذلك ذلك . وكأن معنى الكلام : فأقمتم تتعجبون ـ يعجِّب بعضكم بعضًا ـ مما نزل بكم.

❀❀❀

س : اذكر بعض المستعاد من النظر في الحرث الذي نحرث ، والزرع الذي يُزْرع.

ج : **قال الشنقيطي رحمه الله:** اعلم أنه يجب على كل إنسان أن ينظر في هذا البرهان الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة؛ لأن الله ـ جلّ وعلا ـ وجّه في كتابه صيغة أمر صريحة عامة في كل ما يصدق عليه مسمى الإنسان بالنظر في هذا البرهان العظيم المتضمن للامتنان ، لأعظم النعم على الخلق ، وللدلالة على عظم الله وقدرته على البعث وغيره ، وشدة حاجة خلقه إليه مع غناه عنهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس:٢٤].

والمعنى : انظر ـ أيها الإنسان الضعيف ـ إلى طعامك كالخبز الذي تأكله ولا غنى لك عنه ، من هو الذي خلق الماء الذي صار سببًا لإنباته هل يقدر أحد غير الله على خلق الماء؟

أي: إبرازه من أصل العدم إلى الوجود. ثم هَبْ أن الماء خلق ، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله على هذا الأسلوب الهائل العظيم الذي يسقي به الأرض من غَيْر هَمٍّ ولا غرق؟

ثم هَبْ أن الماء نزل في الأرض من هو الذي يقدر على شق الأرض عن مسار الزرع ؟ ثم هب أن الزرع طلع ، فمن هو الذي يقدر على إخراج السنبل منه؟

ثم هَبْ أن السنبل خرج منه ، فمن هو الذي يقدر على إنبات الحب فيه وتنميته حتى يدرك صالحًا للأكل؟ ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩]

والمعنى : انظروا إلى الثمر وقت طلوعه ضعيفًا لا يصلح للأكل، وانظروا إلى ينعه، أي: انظروا إليه بعد أن ثار يانعًا مدركًا صالحًا للأكل ، تعلموا أن الذي رباه ونماه حتى صار كما ترونه وقت ينعه قادر على كل شيء منعم عليكم عظيم الإنعام ، ولذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ .

فاللازم أن يتأمل الإنسان وينظر في طعامه ويتدبر قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ أي: عن النبات شقًّا إلى آخر ما بيناه. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ يعني: لو نشاء تحطيم ذلك الزرع لجعلناه حطامًا ، أي: فتاتًا وهشيمًا ، ولكنا لم نفعل ذلك رحمة بكم ، ومفعول فعل المشيئة محذوف للاكتفاء عنه بجزاء الشرط ، وتقديره كما ذكرنا.

وقوله : ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾:

قال بعض العلماء : المعنى فظلتم تعجبون من تحطيم زرعكم.

وقال بعض العلماء : تفكهون بمعنى: تندمون على ما خسرتم من الإنفاق عليه، كقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف:٤٢].

وقال بعض العلماء : تندمون على معصية الله التي كانت سببًا لتحطيم زرعكم ، والأول من الوجهين في سبب الندم هو الأظهر.

❁❁❁

س: في قولهم: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾ محذوف مفهوم من السياق، وضّح هذا المحذوف.

ج : المحذوف هو قوله : (قائلين) فيكون المعنى فظلتم تفكهون قائلينك: إنا لمغرمون. أي: قائلين ـ أثناء تعجبكم ـ إنا لمغرمون.

❁❁❁

س : استحب بعض أهل العلم أن يأكل الشخص قبل أن يشرب، ما الدليل على ذلك ؟

ج : استدل بعضهم لذلك بقوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وبأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ...﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ...﴾.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ لتحيوا به أنفسكم ، وتسكنوا به عطشكم ، لأن الشراب إنما يكون تبعًا للمطعوم ، ولهذا جاء الطعام مقدمًا في الآية قبلُ، ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه . الزمخشري : ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء :

إذا سُقيتْ ضُيوفُ النَّاسِ مَحْضًا ... سَقَوْا أضيافَهمْ شَبِمًا زُلالا

وسُقي بعضُ العرب فقال : أنا لا أشرب إلا على ثَمِيلة.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ .

ج : قال الطبري رحمه الله :وقوله : ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره : فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لشربكم ومنافعكم ، وصلاح معايشكم ، وتركه أن يجعله أجاجًا لا تنتفعون به.

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالًا .

قال الشنقيطي رحمه الله :تضمنت الآية الكريمة امتنانًا عظيمًا على خلقه بالماء الذي يشربونه ، وذلك يضمنه من آياته الدالة على عظمته وجل قدرته وشدة حاجة خلقه إليه ، والمعنى : أفرأيتم الماء الذي تشربون الذي لا غنى لكم عنه لحظة ولو أعدمناه لهلكتم جميعًا في أقرب وقت : ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ ؟

والجواب الذي لا جواب غيره هو أنت يا ربنا هو منزله من المزن، ونحن لا قدرة لنا على ذلك . فيقال لهم : إذا كنتم في هذا القدر من شدة الحاجة إليه تعالى فلِمَ تكفرون به وتشربون ماءه وتأكلون رزقه وتعبدون غيره؟

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء، وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكرًا لنعمة هذا الماء ، كما أشار له هنا بقوله : ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ جاء في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقوله هنا: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي: لو نشاء جعله أجاجًا لفعلنا ، ولكن جعلناه عذبًا فراتًا سائغًا شرابه، وقد قدمنا في سورة الفرقان أن الماء الأجاج هو الجامع بين الملوحة والمرارة الشديدتين.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ !

ج : يقرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلقه بنعمه التي أنعم بها عليهم ويلفت نظرهم إليها فيقول تعالى: أفرأيتم هذه النار التي لا غنى لكم عنها؟ تلك النار التي توقدونها تستدفئون بها وتنتفعون بها لطهي طعامكم وصهر معادنكم وسائر حاجاتكم، أأنتم أنشأتم شجرتها أي: الخشب الذي أشعلتموه فتولدت منه تلك النيران أم نحن الذين أنشأناه وأنشأنا الشجر الذي استخرج منه هذا الخشب؟ فبلا شك أن الذي أنشأه هو الله ، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠].

قال الشنقيطي رحمه الله : قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: توقدونها من قولهم: أورى النار إذا قدحها وأوقدها، والمعنى : أفرأيتم النار التي توقدونها من الشجر أأنتم أنشأتم شجرتها التي توقد منها؟ أي: أوجدتموها من العدم.

والجواب الذي لا جواب غيره : أنت ياربنا هو الذي أنشأت شجرتها ، ونحن لا قدرة لنا بذلك فيقال : كيف تنكرون البعث وأنتم تعلمون أن من أنشأ شجرة النار وأخرجها منها قادر على كل شيء ؟ وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث ، وجاء موضحًا في (يس) في قوله تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فقوله في آخر

(يس): ﴿تُوقِدُونَ﴾ هو معنى قوله في الواقعة: ﴿تُورُونَ﴾ وقوله في (يس): ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ بعد قوله ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث . وقوله هنا ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ أي: الشجرة التي توقد منها كالمرخ والعفار؛ ومن أمثال العرب: في كل شجر نار، واستنجد المرخ والعفار؛ لأن المرخ والعفار هما أكثر الشجر نصيبًا في استخراج النار منهما ، يأخذون قضيبًا من المرخ ويحكمون به عودًا من العفار فتخرج من بينهما النار . ويقال: كل شجر فيه نار إلا العناب.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾!

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: إنا جعلنا هذه النار ـ نار الدنيا ـ تذكرة بنار الآخرة.
وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «نَارُكُم هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابنُ آدمَ جُزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جهنّم »، قالوا: والله إن كانت لكافية يارسول الله ! قال :«فَإنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَستِّينَ جُزْءًا كُلّها مِثْل حَرِّهَا». (١).

❀❀❀

س : يُذكِّر الله عزَّ وجلَّ الخلق بأمورٍ حتى يتَّعظوا ويعتبروا ، اذكر بعض هذه الأمور .

ج : من ذلك: نار الدنيا جعلها الله تذكرة بنار الآخرة.

ومن ذلك السحب التي في السماء ، والكل يتطلع إليها كي تُمطر وينزل ماؤها في أرضه ، فيصرفها الله من أرض قوم إلى أرض قوم آخرين ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان:٥٠]. وكذلك الأمثال التي يسوقها الله في كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزُّمَر:٢٧].

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾.

ج : ذكر العلماء وجهين في تفسير المقوين: أحدهما: أن المراد بهم المسافرين.

---

(١) البخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣).

والآخر: أن المراد بهم عموم المستمتعين بها من الحاضر والمسافر والباد، والناس أجمعين.

واختار الحافظ ابن كثير هذا فقال: وقال ابن نجيح عن مجاهد قوله: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المستمتعين، الناس أجمعين، وكذا ذكر عن عكرمة. وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غني وفقير، الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع. ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى، وأوقد ناره فطبخ بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانتفع بها سائر الانتفاعات. فلهذا أفردَ المسافرون وإن كان ذلك عامًّا في حق الناس كلهم.

قال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عُنِي بذلك للمسافر الذي لا زاد معه، ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها؛ كما قال الشاعر:

أَقْوَى وأَقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وغَيَّرَها هُوجُ الرِّيَاحِ بِهابِي التُّرْبِ مَوَّارِ

يعني بقوله «أقوى»: خلا من سكانه، وقد يكون المقوى: ذا الفرس القوي، وذا المال الكثير في غير هذا الموضع.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾!

ج: قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم، وتسميته.

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء العذب الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة. وخَلَق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزاجرًا لهم في المعاد.

❀❀❀

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ
كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن
لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ
﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ
بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٥-٩٦]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ - بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ - مَّكۡنُونٖ - ٱلۡمُطَهَّرُونَ - تَنزِيلٞ - مُّدۡهِنُونَ - رِزۡقَكُمۡ - ٱلۡحُلۡقُومَ - حِينَئِذٖ - لَّا تُبۡصِرُونَ - غَيۡرَ مَدِينِينَ - ٱلۡمُقَرَّبِينَ - فَرَوۡحٞ - وَرَيۡحَانٞ - وَجَنَّتُ نَعِيمٖ - أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ - فَسَلَٰمٞ لَّكَ - ٱلۡمُكَذِّبِينَ - ٱلضَّآلِّينَ - فَنُزُلٞ - حَمِيمٖ - وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ - حق اليقين﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾	أقسم.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	مطالع النجوم ومساقطها [1] ـ منازل القرآن (المواطن التي نزلت فيها الآيات ، وأوقات نزولها) ـ انتثار النجوم عند قيام الساعة.
﴿مَّكۡنُونٖ﴾	محفوظ ـ مصون ، لا يمسه أذى ولا غُبار .
﴿ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾	قيل: هم الملائكة ـ وقيل المطهرون من الذنوب ـ . وقيل: الملائكة والأنبياء والرسل [2].
﴿تَنزِيلٞ﴾	منزلٌ.
﴿مُّدۡهِنُونَ﴾	مُليّنون القول ـ مكذِّبون.
﴿رِزۡقَكُمۡ﴾	حظّكم ـ شُكركم.
﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾	الحلق.
﴿حِينَئِذٖ﴾	عند خروج الروح من الجسد وبلوغها الحلق.
﴿لَّا تُبۡصِرُونَ﴾	لا ترون.
﴿غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾	غير مجزيين ـ غير محاسبين ـ غير مبعوثين .
﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾	السابقون بالخيرات ـ المقربون من الله في جنته.
﴿فَرَوۡحٞ﴾	بردٌ ـ راحةٌ ـ فرحٌ ـ رحمةٌ ـ مغفرةٌ.
﴿وَرَيۡحَانٞ﴾	رزق واسع ـ استراحة (أي من تعب الدنيا ونكدها [3]) وقيل الريحان المعروف ذو الرائحة الطيبة.
﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾	بستان نعيم يتنعم فيه.
﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾	الذين يؤخذون إلى الجنة من ذات اليمين ـ الذين يتلقون كتبهم باليمين.
﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ﴾	فتحيةٌ لك ـ فأمانٌ لك ـ فدعائي لك.

(١) وهذا اختيار الطبري «رحمه الله تعالى».

(٢) أخرج الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ ذاكم عند ربّ العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرِّجس.
تنبيه : لم يحكِ الطبري المطهرين من الحدثين الأصغر والأكبر.

(٣) كما في الحديث: «مستريحٌ ومستراحٌ منه...».

﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾	المكذبين بآيات الله.
﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾	الضالين عن طريق الله.
﴿فَنُزُلٌ﴾	ضيافةٌ.
﴿حَمِيمٍ﴾	الماء الذي قد انتهى حرُّه وبلغ أعلى درجات غليانه.
﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾	حريق النار يصلاه يحترق به.
﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾	الحق اليقين الذي لا شك فيه ـ الخبر اليقين. (١)

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ !

ج : قال جمهور العلماء معناه: أُقسم.

وقيل معناه: ليس الأمر كما تظنون ، ثم استأنف القسم فقال أقسم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ . فقال بعضهم: عُني بقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾: أقسم.

وقال بعض أهل العربية: معنى قوله ﴿فَلَآ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد فقيل أقسم وقوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم : معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن ، وقالوا : أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجومًا متفرّقة.

قال ابن كثير رحمه الله: ثم قال بعض المفسرين : «لا» هاهنا زائدة ، وتقديره : أقسم بمواقع النجوم . ورواه ابن جرير ، عن سعيد بن جبير . ويكون جوابه : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾. وقال آخرون : ليست «لا» زائدة لا معنى لها ، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفي ، كقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : لا ، والله مَا مَسَّتْ يَد رسول الله ﷺ يد امرأة قطّ. وهكذا ها هنا تقدير الكلام : لا أقسم بمواقع النجوم : ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة ، بل هو قرآن كريم.

---

(١) قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب.

وقال ابن جرير: وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنف القسم بعد فقيل : أقسم.

قلت (مصطفى):ومما يؤيد أن قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ يُعدّ قسمًا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

❀❀❀

س : ما وجه عظمة هذا القسم؟ وما فائدة الإخبار بذلك ؟

ج : وجه عظمته أن الذي أقسم هذا القسم عظيم وهو الله سبحانه وتعالى ، والمُقسم به عظيم وهو مواقع النجوم ، والمقسم عليه عظيم وهو بيان عظمة هذا القرآن وفضله وكرامته وفائدة الإخبار بذلك: الحَثّ على تعظيم هذا القرآن وتوقيره وإجلاله.

قال السعدي رحمه الله : وإنما كان القسم عظيمًا ، لأن في النجوم وجريانها ، وسقوطها عند مغاربها ، آيات وعبرًا ، لا يمكن حصرها. وأما المقسم عليه ، فهو إثبات القرآن ، وأنه حق لا ريب فيه ، ولا شك يعتريه . وأنه كريم أي : كثير الخير ، غزير العلم ، وكل خير وعلم ، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه.

❀❀❀

س : اذكر بعض الأوصاف الجميلة التي وُصف بها هذا القرآن ؟

ج : من هذه الأوصاف ما يلي :

مجيد : قال تعالى : ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ [ق:١].

كريم : قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾.

عظيم : قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧].

مبارك : قال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ [الأنبياء:٥٠].

عزيز : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ [فصلت:٤١].

حكيم : قال تعالى : ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يس:١ ـ ٢].

❀❀❀

س : ما المراد بالكتاب المكنون هنا ؟

ج : هو الكتاب المحفوظ عند الله في السماء.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾ !

ج : المعنى - والله تعالى أعلم -: أن هذا القرآن الكريم معظّمٌ في كتاب معظم محفوظ موقّر.

❀❀❀

س : ما وجه الإخبار بقوله تعالى :﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ ؟

ج : ذهب بعض أهل العلم إلى أن فائدة ذلك نفي ما يزعمه المبطلون من أهل الشرك وغيرهم إذ قد زعموا أن الشياطين تنزلت به على رسول الله ﷺ فأخبرهم الله عزَّ وجلَّ أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١-٢١٢].

وكما قال أيضًا: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾.

وكما قال كذلك : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن:٢٧] أي ملائكة يحفظونه من الشياطين ومن غيرهم.

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فُصِّلَت:٤١-٤٢].

❀❀❀

س : اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾.

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال:

أولها ما ذهب إليه بعض أهل العلم من أن معنى ذلك أن هذا القرآن الكريم محفوظ في كتاب معظم مُوقرٍ لا تناله أيدي البشر، ولا يعبث به العابثون من الشياطين بل الذين يمسّونه هم المطهرون من الذنوب وهم الملائكة.

وإلى مثل هذا القول جنح الطبري في تفسيره ، لكنه ذهب إلى أن ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يقتصرون على الملائكة بل كل مطهرٍ من الذنوب ، فقال رحمه الله :

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله ـ جلَّ ثناؤه ـ أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين ، ولم يخصص بعضًا دون بعض ؛ فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرًا من الذنوب ، فهو ممن استثنى ، وعُني بقوله : ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

وأورد بإسنادٍ يصح عن قتادة[1] قال : ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ذاكم عند رب العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس والمنافق الرجس.

هذا ومما يُلفت النظر إليه أن الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ لم يورد في ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ إلا المطهرون من الذنوب ، ولم يذكر الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ المطهرون من الحدث الأكبر أو الأصغر.

قلت (مصطفى): ومما يتأيد به القول القائل بأن ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ هم الملائكة ، قوله تعالى : ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٣ ـ ١٦]. والسفرة هم الملائكة. والله أعلم. وقد أخرج الدارقطني[2] من طريق عبدالرحمن بن يزيد قال : كنا مع سلمان فخرج فقضى حاجته ثم جاء فقلت: يا أبا عبدالله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن آيات، فقال: إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون فقرأ علينا ما يشاء. وفي رواية: فقرأ علينا قبل أن يتوضأ. وفي ثالثة: أنه قرأ بعد الحدث. وورد بإسناد حسن عن سعيد بن جبير قال: الملائكة الذين في السماء[3]. وورد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : المطهرون الملائكة[4]. وقد صح عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان لا يمسّ المصحف إلا وهو طاهر[5].

---

(١) الطبري عند تفسير الآية المذكورة.

(٢) الدارقطني في «السنن» (١ / ١٢٣ ، ١٢٤).

(٣) الطبري (١١ / ٦٦٠).

(٤) عزاه ابن القيم في «بدائع الفوائد» إلى سعيد بن منصور في «سننه».

(٥) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢ / ٣٦١).

قال الإمام مالك في «الموطأ»[(١)]:

أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ إنما هي بمنزلة هذه الآية التي في (عبس وتولى)، قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس:١١-١٦] .

هذا وقد انتصر ابن القيم - رحمه الله تعالى - لهذا القول القائل بأن المطهرون هم الملائكة من عدة وجوهٍ.

فقال - رحمه الله تعالى - في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى - جلَّ ذكره -: (٥٦ : ٧٩) ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

والصحيح في الآية : أن المراد به : الصحف التي بأيدي الملائكة لوجوه عديدة:

منها : أنه وصفه بأنه مكنون ، والمكنون المستور عن العيون ، وهذا إنما هو في الصحف التي بأيدي الملائكة.

ومنها: أنه قال : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ وهم الملائكة ، ولو أراد المؤمنين المتوضئين لقال : لا يمسه إلا المتطهرون ، كما قال تعالى (٢: ٢٥١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] فالملائكة مطهرون ، والمؤمنون المتوضئون متطهرون .

ومنها: أن هذا إخبار ، ولو كان نهيًا لقال : لا يمسسه ، بالجزم . والأصل في الخبر، أن يكون خبرًا صورة ومعنى.

ومنها : أن هذا رَدٌّ على من قال: إن الشيطان جاء بهذا القرآن ، فأخبر تعالى: أنه في كتاب مكنون لا تناله الشياطين ، ولا وصول لها إليه ، كما قال تعالى في آية (الشعراء) (٢٦: ٢١٠-٢١٢): ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ وإنما تناله الأرواح المطهرة ، وهم الملائكة.

ومنها : أن هذا نظير الآية التي في سورة (عبس) (٨٠ : ١٢ - ١٦) ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ قال مالك في «موطئه»: أحسن ما سمعت في تفسير قوله : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أنها مثل هذه

---

(١) «الموطأ» (١ / ١٩٩) .

الآية في سورة (عبس).

ومنها : أن الآية مكية ، وفي سورة مكية ، تتضمن تقرير التوحيد ، والنبوة والمعاد، وإثبات الصانع ، والرد على الكفار ، وهذا المعنى أليق بالمقصود من فرع عملي ، وهو حكم مَسّ المحدث المصحف.

ومنها : أنه لو أريد به الكتاب الذي بأيدي الناس لم يكن في الإقسام على ذلك ـ بهذا القسم العظيم ـ كثير فائدة ، ومن المعلوم أن كل كلام فهو قابل لأن يكون في كتاب، حقًّا أو باطلًا، بخلاف ما إذا وقع القسم على أنه في كتاب مصون مستور عن العيون عند الله ، لا يصل إليه شيطان ، ولا ينال منه ، ولا يمسه إلا الأرواح الطاهرة الزكية.

فهذا المعنى أليق وأجل وأخلق بالآية بلا شكّ.

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدّس الله روحه ـ يقول : لكن تدل الآية وإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر . لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون ، لكرامتها على الله . فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر .

القول الثاني: ما ذهب إليه آخرون من أهل العلم من أن قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ المراد به ها هنا المصحف الذي بين أيدينا، والمطهرون هم المطهرون من الجنابة والحدث.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

وقال آخرون : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي: من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب . قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو؛ واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطّئه»، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ، أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم ؛ أن: «لا يمسّ القرآنَ إلا طاهر». وروى أبو داود في المراسيل ، من حديث الزهري ؛ قال : قرأت في صحيفةٍ عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم ؛ أن رسول الله ﷺ ، قال: « ولا يمسّ القرآن إلا طاهر». وهذه وجادة جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغي الأخذ به . وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم ، وعبدالله بن

عمر ، وعثمان بن أبي العاص ، وفي إسناد كلٍّ منها نظر ، والله أعلم.

قلت (مصطفى): وكل هذه الأخبار ـ التي مفادها: (لايمس القرآن إلا طاهر) ـ لا تخلو من مقالٍ في أسانيدها. والصواب في هذه الصحيفة التي ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنها مرسلة.

القول الثالث: ما ذهب إليه بعض أهل العلم: من أن المراد بالمطهرين: المطهرون من الشرك ، وهم المؤمنون فيكون المعنى لا يمس هذا القرآن إلا مسلم ، وأما الكافر واليهودي والنصراني فلا يمسونه. واعتل القائلون بهذا القول بأن النبي ﷺ نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار مخافة أن يناله العدو.

القول الرابع: قول من قال : لا يجد طعم هذا القرآن ولا يتذوق حلاوته ولا يفهم ما فيه إلا المطهرون ، وهم المؤمنون به المصدقون له.

❀❀❀

س : هل يجوز مَسَّ المصحف على غير وضوء ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها: المنع من ذلك ، وحجة القائلين به أمران **أولهما**: الآية الكريمة، وهي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ على تفسير للمطهرين بأنهم المطهرون من الأحداث ، وقد تقدم ما فيه. **وثانيهما** :حديث : « لا يمس القرآن إلا طاهر » وقد تقدم بيان ضعفه ، ثم أيضًا أنه مُوجه، فقد قيل في تأويله لا يمس القرآن إلا مؤمن. هذا ، ومع ضعف الاستدلالات التي استدلوا بها إلا أن هذا الرأي عليه أكثر العلماء ، فقد ذهب إليه أصحاب المذاهب الأربعة.

قال النووي في «المجموع»[1]: ومذهبنا تحريمها ، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد وجمهور العلماء ، وعن الحكم وحماد وداود يجوز مسه وحمله ، واحتج أصحابنا بقول الله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

وقال ابن عبد البر [2] في «الاستذكار» : وأجمع فقهاء الأمصار الذين تدور

(١) «المجموع» للنووي (٢/ ٧٢).
(٢) «الاستذكار» (٨/ ١٠).

عليهم الفتوى وعلى أصحابهم بأن المصحف لا يمسه إلا الطاهر ، وهو قولُ مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد ، وهؤلاء أئمة الرأي والحديث في أعصارهم.

القول الثاني: جواز مسّ المصحف للمحدث، وحجة القائلين به البراءة الأصلية، أي: أنه لم يرد عندهم خبرٌ صحيح ينهى عن ذلك.

وأجابوا عن الآية الكريمة: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ بأنه ليس المراد بها المصحف إنما الكتاب المكنون، وأجابوا عن حديث: «لا يمس القرآن إلا طاهر» بأنه ضعيف الأسانيد، وفي حال صحته فالطاهر ـ عندهم ـ المؤمن.

ومن الذين ذهبوا إلى جواز [1] مَسّ المصحف على غير طهارة فمنهم ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ فقد قال في «المحلى»:

وقراءة القرآن والسجود فيه ومسّ المصحف وذكر الله تعالى جائزٌ كل ذلك بوضوء ، وغير وضوء للجنب والحائض فإنها أفعال خير مندوبٌ إليها مأجورٌ فاعلها فمن ادعى المنع فيها في بعض الأحوال كُلِّف أن يأتي بالبرهان. وقال أيضًا [2] : وأما مس المصحف فإن الآثار التي احتج بها من لم يُجِز للجنب مسه فإنه لا يصح منها شيء؛ لأنها إما مرسلة ، وإما صحيفة لا سَند، وإما عن مجهول، وإما عن ضعيف.

القول الثالث: قول من قال يمسه بحائل ، والله تعالى أعلم.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أن هذا القرآن تنزيلٌ من رب العالمين، نزّله من الكتاب المكنون المحفوظ عنده أي: أن القرآن من ذلك الكتاب المكنون.

أشار إلى هذا المعنى الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ.

ولمزيد انظر «بدائع الصنائع» (١ / ٣٣) «والمدونة» (١ / ١٠٧) و«المغني» لابن قدامة (١ / ٣٠٢) و«مجموع الفتاوى» (٢١ / ٢٦٦).

(١) «المحلى» (١ / ٧٧).

(٢) «المحلى» (١ / ٨١).

وقال آخرون من أهل العلم : إن المعنى أن هذا القرآن منزلٌ من عند الله ، لا من الشياطين.

قال الحافظ ابن كثير رحِمه الله : وقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مِرْية فيه ، وليس وراءه حق نافع.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ يحتمل أمرين:

أولهما : أن يكون الخطاب للمسلمين ، فيكون المعنى: أتداهنون ـ أيها المسلمون ـ أهلَ الكفر بهذا القرآن الذي أُنزل على نبيكم ﷺ.

أي: أتُلَيِّنون الخطاب مع أهل الكفر وأهل التكذيب بهذا القرآن ، ممالاةً منكم للكفار على التكذيب بهذا القرآن والكفر به.

الثاني : أن يكون الخطاب للكفار ، فيكون المعنى: أفبهذا الحديث أيها الكفار أنتم مكذبون ؟! أي: هل أنتم يا أهل الكفر مكذبون بهذا القرآن؟.

قال السعدي رحِمه الله :

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ أي : أفبهذا الكتاب العظيم ، والذكر الحكيم ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ أي : تختفون ، وتدلون خوفًا من الخلق وعارهم ، وألسنتهم ؟ هذا لا ينبغي ولا يليق ، إنما يليق أن يداهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه . وأما القرآن الكريم ، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب ، إلا غلب، ولا يصول به صائل ، إلا كان العالي على غيره . وهو الذي لا يداهن به ويختفي ، بل يصدع به ويعلن.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ !

ج : هذه أيضًا تحتمل أمرين:

أحدهما: أن هذا الخطاب موجَّهٌ للكفار فيكون المعنى وتجعلون حظكم من هذا

القرآن هو التكذيب به.

الثاني: أن يكون موجّهًا للمسلمين، ففريق منهم جعل شكره عند نزول المطر مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، فأُمروا أن يقولوا مُطرنا بفضل الله وبرحمته.

فقد ورد في الصحيح: «أصبح من عبادي...»، وحديث: «أصبح من الناس شاكر وكافر...» (مسلم ٢/ ٦٠) سبب نزول: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾.

قال السعدي رحمه الله: وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تجعلوا مقابلة منّة الله عليكم بالرزق والتكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة لغير مسديها ومواليها. فهلا شكرتم الله على إحسانه، إذ أنزله إليكم، ليزيدكم من فضله. فإن التكذيب والكفر، داع لرفع النعم، وحلول النقم.

❀❀❀

س: العبد إذا أنعم الله عليه بنعمةٍ، عليه أن يقدم لها شكرًا، خلافًا لأهل الباطل. وضّح ذلك بأدلته!

ج: نعم على العبد أن يؤدّي شكرًا لنعم الله عليه قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] ولا يكون كأهل الغفلة وأهل الباطل الذين يجعلون شكرهم للهّ تكذيبًا به وإنكارًا لفضله وجحودًا لمعروفه. قال تعالى في شأن أقوام: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

❀❀❀

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم قد صح لها سبب نزول، وهو ما أخرجه مسلم[1] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مُطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم..﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

---

(١) مسلم (حديث ٧٣).

س : ما التي بلغت الحلقوم ؟

ج : تلك هي النفوس عند خروجها من الأجساد كقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة:٢٦].

❀❀❀

س : وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ: وأنتم يامن حضرتم الميّت وشهدتموه وهو يحتضر (وهو في طريقه إلى الموت) تنظرون إليه لا تستطيعون دفع الموت عنه، لا تستطيعون إرجاع نفسه إليه.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾!

ج : قال كثيرون من أهل العلم (من أهل التفسير): المعنى: وملائكتنا أقرب إلى المحتضر منكم يا من تجالسونه ولكنكم لا تبصرونهم.

قال الطبري رحمه الله :

ورسلنا الذين يقبضون روح المحتضر أقرب إليه منكم ولكنكم لا تبصرونهم.

قلت (مصطفى): وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]. قال عدد من العلماء: أي من حبل الوريد.

قلت (مصطفى): ويوضح معنى الآية الكريمة أيضًا حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ[1] عند أحمد وغيره ففيه: « أن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السِّقاء،

---

(١) أحمد بسندٍ صحيح (٤ / ٢٨٧).

فيَأخُذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط». ويوضحه أيضًا قوله ﷺ: «إذا حَضَرتم الميِّتَ ـ أو المريض ـ فقُولُوا خيرًا فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون»[1].

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾!

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ فهلا يا من تنكرون البعث وتقولون لن نُبعَث ولن نُحاسَب ولن نُجَازى، صادقين في قولكم هذا الذي قلتموه فامنعوا النفوس من الخروج من الأجساد، ولن تستطيعوا ذلك، فدلّ عدم استطاعتكم على كذبكم في مقولتكم.

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: ترجعونها قال: لتلك النفوس ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

قال الطبري:

وقوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يقول: تردّون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم إلى مستقرّها من الأجساد إن كنتم صادقين، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة، وجواب قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، وجواب قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ جواب واحد وهو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ وذلك نحو قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:٣٨] جعل جواب الجزاءين جوابًا واحدًا.

❀❀❀

س: من المراد بالمقربين؟

ج: هم السابقون بالخيرات، الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في مطلع هذه السورة المباركة الكريمة إذ قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

---

[1] مسلم (حديث ٩١٩).

وقال الطبري رحمه الله :

هم الذين قرَّبهم الله من جواره في جناته.

قلت (مصطفى): وهذا القول ليس ببعيد ، وذلك لأن الفردوس وهو أعلى درجات الجنة فوقه عرش الرحمن كما قد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم: الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ أي : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت . كما تقدّم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

❀❀❀

س : اذكر بمزيد من الإيضاح المراد بقوله تعالى :﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ: أن هذا السابق بالخيرات ـ الذي هو المقرب ـ له روحٌ وريحان أما عن الروح والريحان فقد تقدم بعض الكلام عليهما بما حاصله أن من العلماء من قال:

الروح والريحان: الراحة واستراحة أي: أن المؤمن يكون فيما هو مقبلٌ عليه في راحة وكذا فقد استراح من تعب الدنيا ونَصَبها.

وقيل أيضًا: فروح وريحان أي: أن المؤمن يكون في (روح) أي: في مغفرةٍ ورحمة (وريحان) أي رزق واسع.

وقيل أيضًا : إنه يكون في (روح) أي فرح وسعادة (وريحان) أي رزق واسع .

وقيل كذلك: إن المؤمن يكون عند موته في فرح ومغفرة ورحمة تخرج روحه في ريحانةٍ أي: في رائحة طيبة كرائحة الريحان (مع الفارق بين ريحان الدنيا وريحان الآخرة).

ويشهد لهذا المعنى ما ورد في حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ أن

رسول الله ﷺ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة مِن فِيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عَيْنٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرّون ـ يعني بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب».

وصحَّ عن الحسن عن الطبري أنه قال : تخرج روحه في ريحانة.

وقال الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال قول من قال: عُني بالروح...

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ:

وكل هذه الأقوال صحيحة ، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور، والرزق الحسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ . وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه.

❀❀❀

س : لماذا قيل عن الجنة إنها جنة نعيم ، مع العلم بأن الجنة يتنعم بها ؟

ج : قال بعض أهل العلم ، لما كانت الجنة في الدنيا قد يتنعم بها ، وقد يؤخذ ثمرها للاتجار به ، وذلك بخلاف الجنة في الآخرة فإنها للنعيم دون غيره فمن ثم وصفت جنة الآخرة بأنها جنة نعيم.

❀❀❀

س : وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ !

ج : ذلك ـ والله أعلم ـ يحتمل أمورًا :

أحدها : فسلام لك يا من جُعلت من أصحاب اليمين . أمانٌ لك ، ودعائي لك.

الثاني : فسلامٌ واصل إليك أيضًا من أصحاب اليمين الذين هم معك في الجنة ، وهم أيضًا الملائكة الذين أخذوك بيمينك لسوقك إلى الجنة.

قال القرطبي رحمه الله :

﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: لست ترى منهم إلا ما تحبّ من السلامة فلا تهتم لهم ، فإنهم يسلمون من عذاب الله . وقيل : المعنى سلام لك منهم ، أي أنت سالم من الاغتمام لهم . والمعنى واحد . وقيل : أي: إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلّي الله عليك ويسلم . وقيل : المعنى إنهم يسلمون عليك يا محمد . وقيل : معناه سلمت أيها العبد مما تكره فإنك من أصحاب اليمين ، فحذف إنك . وقيل : إنه يحيا بالسلام إكرامًا ، فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل : أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلّم عليه مَلَك الموت ، قاله الضحاك. وقال ابن مسعود : إذا جاء مَلَك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام . وقد مضى هذا في سورة « النحل» عند قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٢] . الثاني: عند مساءلته في القبر يسلّم عليه منكر ونكير . الثالث: عند بعثه في القيامة تسلّم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

قلت : وقد يحتمل أن تسلّم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام . والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله :

﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك . أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين.

الثالث : فمسلمٌ لك أنك من أصحاب اليمين.

الرابع: فسلام لك إنك من أصحاب اليمين أي: فَسَلِمْتَ من عذاب الله وسلمت مما تكره فإنك من أصحاب اليمين.

❁❁❁

س : وضّح المراد بقوله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هذا الذي أخبرتكم به وعموم ما ذُكر في هذه

السورة الكريمة ومن الإخبار عن مصير المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين الضآلين ، هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ولا اختلاف فيه ولا شك ولا ارتياب.

قال الطبري رحمه الله :

يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقربين وأصحاب اليمين ، وعن المكذبين الضآلين ، وما إليه صائرة أمورهم﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ يقول لهو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: إن الله تعالى ليس تاركًا أحدًا من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن ، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه.

❀❀❀

س : الحق هو اليقين ، فكيف قيل إن هذا لهو حق اليقين ؟

ج : قال بعض العلماء ذلك لمزيد من التأكيد.

وقال غيرهم : اليقين وصف للحق كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف:١٠٩]، كقوله: ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الأعراف:١٦٩].

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

واختلف أهل العربية في وجه إضافة الحق إلى اليقين ، فقال بعض نحويِّي البصرة: قال: حق اليقين فأضاف الحق إلى اليقين كما قال: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة:٥] أي ذلك دين الملّة القيمة وذلك حق الأمر اليقين.

ثم قال: وقال بعض أهل الكوفة: اليقين نعتٌ للحق ، كأنه قال الحق اليقين والدين القيم ، فقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾والدار الآخرة ، قال فإذا أضيف توهم به غير الأول.

قال القرطبي رحمه الله :

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه . وجاز إضافة الحقّ إلى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما . قال المبرِّد : هو كقولك: عين اليقين ومحض اليقين ، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين . وعند

البصريين حقّ الأمر اليقين أو الخبر اليقين . وقيل: هو توكيد . وقيل : أصل اليقين أن يكون نعتًا للحقّ فأضيف المنعوت إلى النعت على الاتساع والمجاز ، كقوله : ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف : ١٠٩] وقال قتادة في هذه الآية : إن الله ليس بتاركٍ أحدًا من الناس حتى يقِفه على اليقين من هذا القرآن ، فَأَمَّا المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ !

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ: نَزِّه الله عزَّ وجلَّ عمّا وصفه به الواصفون المشركون ، وتنزيهه يكون بأن تسميه بأسمائه الحسنى التي وصف بها نفسه والتي فيها اسم الله العظيم ، والله أعلم.

قال الشنقيطي رحمه الله : وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ التسبيح : أصله الإبعاد عن السوء ، وتسبيح الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ، وذلك التنزيه واجب له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والظاهر أن الباء في قوله﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ داخلة على المفعول ، وقد قدمنا في سورة (مريم) في الكلام على قوله تعالى : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥] أدلة كثيرة من القرآن وغيره على دخول الباء على المفعول الذي يتعدى إليه الفعل بنفسه ، كقوله : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ والمعنى : وهزي جذع النخلة . وقوله : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج:٢٥] أي: إلحادًا إلى آخر ما قدمنا من الأدلة الكثيرة ، وعليه ، فالمعنى : سبح اسم ربك العظيم كما يوضحه قوله في (الأعلى): ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

وقال القرطبي: الاسم هنا بمعنى المسمى ، أي سبح ربك ، وإطلاق الاسم بمعنى المسمى معروف في كلام العرب ، ومنه قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

ولا يلزم في نظري أن الاسم بمعنى المسمى هنا لإمكان كون المراد نفس الاسم ، لأن أسماء الله ألحد فيها قوم ونزَّهها آخرون عن كل ما لا يليق ، ووصفها الله بأنها بالغة غاية الحسن ، وفي ذلك أكمل تنزيه لها لأنها مشتملة على صفاته الكريمة ، وذلك في

قوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقوله تعالى : ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

❀❀❀

س : هل صح أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم»؟

ج : نعم ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه أبو داود [1] وغيره من حديث عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ.

❀❀❀

(١) أبو داود (١ / ٥٤٢)، وأحمد (٤ / ١٥٥)، وابن ماجه (١ / ٢٢٥) وغيرهم.

سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
(٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي
الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ
أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
(١٠) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ
مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن
قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ
وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١-١٥].

س: اذكر معنى ما يلي:

(سَبَّحَ لِلَّهِ - وَٱلظَّٰهِرُ - وَٱلْبَاطِنُ - عَلِيمٌ - ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ - يَلِجُ - يَعْرُجُ - يُولِجُ - بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ - مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ - أَجْرٌ كَبِيرٌ - لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ - ءَايَٰتٍ - بَيِّنَٰتٍ - ٱلظُّلُمَٰتِ - ٱلنُّورِ - لَرَءُوفٌ - رَّحِيمٌ - ٱلْحُسْنَىٰ - يُقْرِضُ ٱللَّهَ - قَرْضًا حَسَنًا - يَسْعَىٰ نُورُهُم - بَيْنَ أَيْدِيهِمْ - وَبِأَيْمَٰنِهِم - بُشْرَىٰكُمُ - خَٰلِدِينَ فِيهَا - ٱنظُرُونَا - نَقْتَبِسْ - بِسُورٍ - بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ - وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ - فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ - وَتَرَبَّصْتُمْ - وَٱرْتَبْتُمْ - وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ - أَمْرُ ٱللَّهِ - وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ - فِدْيَةٌ - مَأْوَىٰكُمُ - هِىَ مَوْلَىٰكُمْ - وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾	نزّه الله عن السوء - شهد لله بالوحدانية - مجّد لله - صلّى لله.
﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾	المطلع على كل شيء - ليس فوقه شيء.
﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾	الذي لايخفى عليه شيء - الذي ليس دونه شيء.
﴿عَلِيمٌ﴾	ذو علم.
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	ثم استوى على عرشه فارتفع عليه وعلا.
﴿يَلِجُ﴾	يدخل.
﴿يَعْرُجُ﴾	يصعد.
﴿يُولِجُ﴾	يُدخل - يأخذ من طول هذا فيدخله في هذا - يأخذ ساعات من الليل فيدخلها في ساعات النهار، ويأخذ ساعات من النهار فيدخلها في ساعات الليل.
﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	الأمور المخفيةُ في الصدور.
﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	خلفاء فيه من بعد غيركم.
﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	ثواب عظيم.
﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	لا تقرون بوحدانية الله.
﴿ءَايَٰتٍ﴾	حُجج.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾	مفصّلات ـ واضحات.
﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾	ظلمات الكفر والضلال.
﴿ٱلنُّورِ﴾	نور الهدى والإيمان.
﴿لَرَءُوفٌ﴾	ذو رأفة.
﴿رَّحِيمٌ﴾	ذو رحمة.
﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الجنة.
﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾	يتصدق ، وينفق في سبيل الله.
﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾	نفقةً حلالًا طيبةً يبتغي بها وجه الله.
﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾	يضيء نورهم ـ يمضي نورهم ـ يتقدمهم.
﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾	أمامهم.
﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾	وبأيمانهم كتبهم ، وقد تناولوا كتبهم بأيديهم اليمنى.
﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾	بشارتكم التي تبشرون بها اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها.
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾	ماكثين فيها ، أي: في الجنات لا يتحولون عنها ولا يرغبون في التحول عنها.
﴿ٱنظُرُونَا﴾	انتظرونا وقيل أمهلونا.
﴿نَقْتَبِسْ﴾	نستضيء بنوركم ، والقبس الشعلة.
﴿بِسُورٍ﴾	حاجز بين أهل الجنة وأهل النار (كما في الآية الكريمة وبينهما حجاب).
﴿ٱلرَّحْمَةُ﴾	الجنة وما فيها.
﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾	ظاهره من ناحية النار.
﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾	صرفتموها عن الحق إلى الباطل. وعن الإيمان إلى الكفر ـ فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي فصرفتموها بذلك عن طاعة الله.
﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾	تلبثتم بالإيمان ـ انتظرتم حلول المصائب بأهل الإيمان ـ أخرتم التوبة من وقت إلى وقتٍ.

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾	شككتم في توحيد الله عزَّ وجلَّ وفي نبوة رسول الله ﷺ وشككتم في البعث بعد الموت.
﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾	خدعتكم أماني نفوسكم فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم ـ قلتم سيغفر لنا ـ غرتكم الدنيا.
﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾	قضاء الله (بموتكم) ـ الموت.
﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾	خدعكم بالله الشيطان.
﴿فِدْيَةٌ﴾	عوضٌ وبدلٌ .
﴿مَأْوَىٰكُمُ﴾	مثواكم ومسكنكم الذي تسكنون فيه.
﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾	هي أولى بكم.
﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	بئس المكان الذي تصيرون إليه وهي النار.

❀❀❀

س : اذكر باختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة .

ج : افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بالإخبار عن تسبيح كل ما في السموات والأرض لله عزَّ وجلَّ ثم ببيان ملك الله عزَّ وجلَّ للسموات والأرض وما بينهما وعلمه بما يجري فيهما وتدبيره للأمر فيهما وبينهما ، ثم حثٌّ لأهل الإيمان وحضٌّ لهم على مزيدٍ من الإيمان بالله والإنفاق في سبيله ، وإقامة الدلائل على لزوم ذلك وبيان فضيلة السابق إلى ذلك وما أُعد له من عظيم الأجر وجميل الثواب، ثم بيانٌ لبعض مشاهد القيامة ، عُقِّب بتذكير لأهل الإيمان كي يبادروا بالرجوع إلى ربهم وكي يصلحوا من شأن أنفسهم وقلوبهم ، وتنفيرٌ لهم عن سلوك مسالك أهل الكتاب قُساة القلوب واتباع طرائقهم.

ولفتةٌ إلى كتاب الله وما فيه من خير ، وأن الوحي يحيي الله به القلوب كما يحيي الأرض الهامدة بالماء ومزيدٌ من التذكير ثانيةً بالإنفاق وفضله والإيمان وفضله ، ثم بيان حال الحياة الدنيا وأنها زائلة وأن العاقبة للتقوى ، وبيانٌ لجزاء المحسنين وعقوبة المعاندين.

ثم تذكيرٌ بسابق علم الله عزَّ وجلَّ ، وأن الأمور مقدرة ومكتوبة . كل ذلك لحمل المرء على الإنفاق فإنفاقه لن يتسبب له في فقرٍ فالأمور قد قدرها الله عزَّ وجلَّ .

ثم تذكير بالأنبياء والكتب التي أنزلها الله عليهم والحق الذي جاءوا به، والعدل، وفضيلة من ناصرهم وآزرهم ، فكما أن من أممهم من ناصرهم وعاونهم فكونوا أنتم يا أصحاب محمد ممن ناصر نبيه وعاونه ورفع راية لا إله إلا الله، وتذكير بعيسى عليه السلام ومن أرسل إليهم وكيف كانوا وما أحوالهم ، وحثٌّ وحضٌّ لأهل الكتاب على الإيمان بالنبي محمد ﷺ وبيان ما أُعد لهم من جميل الأجر إن هم اتبعوه وناصروه ووازروه .

ثم ختامٌ للسورة ببيانٍ كريم مفاده أن الله عزَّ وجلَّ بيده الفضل العظيم يتفضل به على من يشاء ، فمن ثَمَّ لا ينبغي لأهل الكتاب أن يحسدوا أهل الإسلام، ولا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فالذي يتفضل بالنبوة والهداية هو الله عزَّ وجلَّ وكذا الذي يتفضل بمزيد من الأجر والثواب على من يشاء هو الله عزَّ وجلَّ فالأمر أمره والملك ملكه.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله عزَّ وجلَّ يخبر بأن كل ما في السموات والأرض من خلق الله من إنس وجن وملائكة وجمادات وغير ذلك يسبح لله ، كما قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

وأما تسبيح أهل الإيمان: فتنزيه الله عزَّ وجلَّ من كل ما لا يليق به مما وصفه به الواصفون المشركون ، وكذا تسبيحهم تعظيمًا له وإقرارًا منهم له بالربوبية ، وإذعانًا منهم له بالطاعة.

أما أهل الكفر فأمر الله فيهم ماضٍ ، شاءوا ذلك أم رفضوه.

وكذا يمكن صياغة المعنى بأن يقال إن كلَّ ما في السموات والأرض أذعن لله بالطاعة ونفذ فيه أمر الله ، وأقرَّ لله بالربوبية والتعظيم.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى في «أضواء البيان»:

قد قدمنا مرارًا أن التسبيح هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وأصله في اللغة: الإبعاد عن السوء، من قولهم سبح. إذا صار بعيدًا، ومنه قيل للفرس: سابح، لأنه إذا جرى يبعد بسرعة، ومن ذلك قول عنترة في معلقته:

إِذْ لا أَزَالُ عَلَى رحالةِ سَابِحٍ ... نَهْدٍ تُعَاوِرُه الكماةُ مُكَلَّمِ

وقول عباس بن مرداس السلمي:

لَا يَغْرِسُون فسيل النَّخْلِ حولهمُ ... ولا تُخَاوِرُ في مشتاهمُ البقر

إلا سوابحُ كالعقبان مقرَبة ... في دارة حولها الأخطار والفكر

وهذا الفعل هو سبح قد يتعدى بنفسه بدون اللام كقوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦]، وقد يتعدى باللام كقوله هنا: سبح لله، وعلى هذا فسبحه وسبح له لغتان كنصحه ونصح له. وشكره وشكر له، وذكر بعضهم في الآية وجهًا آخر، وهو أن المعنى: سبح ما في السموات والأرض، أي: أحدث التسبيح لأجل الله أي ابتغاء وجهه تعالى. ذكره الزمخشري وأبو حيان، وقيل: سبح لله أي: صلّى له.

وقد قدمنا أن التسبيح يطلق على الصلاة، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن أهل السموات والأرض يسبحون لله، أي: ينزهونه عما لا يليق، بينه الله جلَّ وعلا في آيات أخر من كتابه كقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:١] وقوله في الصف: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الصف:١] أيضًا، وقوله في الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١]، وقوله في التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١].

وزاد في سورة بني إسرائيل أن السموات السبع والأرض يسبحن لله مع ما فيهما من الخلق، وأن تسبيح السموات ونحوها من الجمادات يعلمه الله ونحن لا نفقهه أي: لا نفهمه، وذلك في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤] وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن تسبيح الجمادات المذكور فيها وفي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء:٧٩] ونحو ذلك تسبيح حقيقي يعلمه الله ونحن لا نعلمه.

والآية الكريمة فيها الرد الصريح على من زعم من أهل العلم، أن تسبيح الجمادات هو دلالة إيجادها على قدرة خالقها، لأن دلالة الكائنات على عظمة خالقها يفهمها كل العقلاء، كما صرح الله تعالى بذلك في قوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ - إلى قوله - لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤] وأمثال ذلك من الآيات كثيرة في القرآن.

وقد قدمنا إيضاح هذا في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [الرعد:١٥]، وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ الآية [الكهف:٧٧]، وفي سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ وفي غير ذلك من المواضع.

وقد عبر تعالى هنا في أول الحديد بصيغة الماضي في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، وكذلك هو في الحشر، والصف، وعبر في الجمعة والتغابن، وغيرهما بقوله: يسبح، بصيغة المضارع.

قال بعض أهل العلم: إنما عَبَّر بالماضي تارة وبالمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله، هو شأن أهل السموات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل ذكر معناه الزمخشري وأبو حيان.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قد قدمنا معناه مرارًا وذكرنا أن العزيز، هو الغالب الذي لا يغلبه شيء، وأن العزة هي الغلبة، ومنه قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨] وقوله: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣] أي: غلبني في الخصام، ومن أمثال العرب عزَّ بزّ، يعنون من غلب استلب، ومنه قول الخنساء:

كأنْ لم يَكونُوا حمى يُخْتَشَى	إذ النَّاسُ إذْ ذاكَ مَن عَزَّ بزَّا

والحكيم، هو من يضع الأمور في مواضعها، ويوقعها في مواقعها.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

يخبر ـ تعالى ـ عن عظمته وجلاله ، وسعة سلطانه ، أن جميع ما في السموات والأرض ، من الحيوانات الناطقة وغيرها ، والجوامد ، تسبح بحمد ربها ، وتنزهه عما لا يليق بجلاله.

وأنها قانتة لربها ، منقادة لعزته ، قد ظهرت فيها آثار حكمته ، ولهذا قال : ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فهذا بيان عموم افتقار المخلوقات ـ العلوية والسفلية ـ لربها ، في جميع أحوالها ، وعموم عزته وقهره للأشياء كلها ، وعموم حكمته في خلقه وأمره.

ثم أخبر عن عموم ملكه فقال : ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ . أي : هو الخالق للمخلوقات ، الرازق المدبر لها ، بقدرته : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

❀❀❀

س : ما وجه ختام الآية بقوله : ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؟

ج : وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن يقال إنه جلّ جلاله العزيز في انتقامه ممن عصاه فلا يُغلب على شيءٍ أراده بل أمره نافذ في خلقه ، ومع أنه عزيز فهو أيضًا حكيم في تدبيره أمور الخلائق ، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحب.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أن السموات والأرض ملك لله يتصرف فيها كيف يشاء ويفعل فيها ما يريد، فأمره نافذٌ فيهما، وفيمن فيهن وبينهن.

وكذا له خزائن السموات والأرض ، من مطر ونبات وسائر الأرزاق.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يحيي من يشاء ممن أراد أن يخلقهم ، وذلك بنفخ الروح فيهم وهم في بطون الأمهات.

ويميت من يشاء أن يميته من خلقه بعد بلوغهم الأجل الذي قدّره الله لهم، وقيل: يميت الأحياء في الدنيا ويحيي الأموات للبعث.

وهناك معنى آخر أيضًا:

يحيي بالإيمان من أراد له الهداية ويميت بالإضلال من شاء له الغواية.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؟

ج: يوضحه قول النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(١).

قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بغير حدّ ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وقوله: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

❀❀❀

س: هل ورد أن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ذِكرٌ يذكر في بعض المواطن؟

ج: ما وقفت في ذلك على شيء إلا أثر على ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد سأله أبو زميل قال:(٢)

ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. قال: فقال

---

(١) مسلم (حديث ٢٧١٣).

(٢) أبو داود (٥١١٠) وسنده حسن.

لي: أشيء من شك ؟ قال : وضحك ، قال : ما نجا من ذلك أحد ، قال : حتى أنزل الله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ...﴾ الآية [يونس:٩٤]. قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

❀❀❀

س : ما الذي يلج في الأرض؟ وما الذي يخرج منها ؟

ج : يلج في الأرض: المطر النازل من السماء ، والحب الذي يُبذر في الأرض وما يدفن في الأرض من حيوان وإنسان وغير ذلك، ومما يخرج منها النبات ، والمعادن والشجر ، وحيوانات كذلك كعقارب وديدان ونحو ذلك ، وكذلك البشر الذين يخرجون من الأجداث يوم القيامة.

❀❀❀

س: ما الذي ينزل من السماء؟ وما الذي يعرج فيها ؟

ج : من النازل من السماء الملائكة والأقدار والأرزاق من مطرٍ ونحوه، وكذلك ما يرسله الله من الصواعق وأنواع العذاب وصور الرحمة وغير ذلك.

والذي يعرج فيها ، منه الملائكة ، فقد قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

وكذلك الأرواح ، فقد وردت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ.

أخرج الإمام أحمد [1] بسند صحيح عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنّ على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من

(١) أحمد (٤/ ٢٨٧).

السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيُشَيِّعُهُ من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله - عزَّ وجلَّ - اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

وكذلك تعرج (تصعد) الأدعية، وكذلك الكلم الطيب والعمل الصالح المُتَقَبَّل وغير ذلك.

كما في الحديث: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل»(١).

❀❀❀

س : وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؟

ج : المعنى ، أنه معنا يسمعنا ويرانا كما قال تعالى : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] وكذا يدبر أمورنا ويعلم متقلبنا ومثوانا.

قال الطبري - رحمه الله -:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ، ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ﴾ [الحُجُرات:١٨] يقول : والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ ، وطاعة

---

(١) مسلم (١٧٩).

ومعصية، ذو بصر ، وهو لها محصٍ، ليجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته يوْمَ تُجْزى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية : ٢٢].

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. أي : رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم.

كما قال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود:٥]. وقال: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد:١٠] فلا إله غيره ولا رب سواه.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ـ لما سأله عن الإحسان ـ: «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [(١)].

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ:

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فــلا تقُــلْ: خَلَوتُ، ولكن قُــل: عَلَــيَّ رقيــبُ
ولاَ تَحْسَــبَنَّ الله يغفُــلُ سَــاعَةً ولا أن مــا يخْفــى عليــه يغيــبُ

❁❁❁

س: المعيةُ معيتان ، وضحهما ؟

ج : نعم المعية معيتان: معية علم واطلاع، ومنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وكما قال تعالى : ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧].

ومعية نصر وتأييد وحفظ ونحو ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ

---

(١) مسلم (حديث ٨).

ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ وقوله ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهما في الغار : « لا تحزن إن الله معنا ».

وكذا قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

❁❁❁

س : وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم ، أنه يبصر أعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيءٌ منها.

❁❁❁

س : لماذا كُرِّر قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؟

ج : قال بعض أهل العلم . كُرِّر ذلك للتأكيد.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ له سلطان السموات والأرض ، وأمره نافذٌ فيهن ، وفيما بينهن من خلقه.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ . أي : هو المالك للدنيا والآخرة. كما قال : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ [الليل:١٣] وهو المحمود على ذلك كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [القصص:٧٠] وقال : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [سبأ:١] فجميع ما في السماوات والأرض ملك له ، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه . كما قال : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [مريم:٩٥].

❁❁❁

س: وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم أن أمور الخلائق وما فعلوه تُرجع إلى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ويحتمل أن يكون المعنى أيضًا ، وإلى الله يرجع تدبير الأمور .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

ولهذا قال : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ . أي : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم في خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

❀❀❀

س : وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ ؟

ج : المعنى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل أي يطوِّل الليل أحيانًا فيأخذ من النهار أوقاتًا ويطوِّل النهار أحيانًا فيأخذ من الليل أوقاتًا ، هو القادر على ذلك وحده لا يقدر على ذلك أحدٌ سواه.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ ، أي : هو المتصرف في الخلق ، يُقَلِّب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه.

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يعني بقوله﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يُدخِل ما نقص من ساعات الليل في النهار ، فيجعله زيادة في ساعاته﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يقول : ويدخل ما نقص من ساعات النهار في الليل ، فيجعله زيادة في ساعات الليل.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ وهو ـ عزَّ وجلَّ ـ ذو علم بما هو مستكن ومُستقرٌ في صدور العباد ، أبدوه وأعلنوه ! أم أخفوه وأضمروه ، كما قال : ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء:١١٠].

❀❀❀

س: كيف وُجِّه إليهم الأمر بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وهم مؤمنون ؟

ج : قد يقال إن هذا الأمر مُوجهٌ لمن لم يؤمن وعليه فلا إشكال وأما في حالة توجيهه إلى أهل الإيمان فيحتمل ذلك أمورًا:

أحدها : اثبتوا على إيمانكم بالله ورسوله.

الثاني : صدِّقوا بالله وبرسوله وبما أخبركم به.

الثالث : ازدادوا إيمانًا بالله ورسوله.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ أنفقوا مما جعلكم الله خلفاء لمن كان قبلكم على هذا المال ، فهذا المال كان بأيدي غيركم ثم ماتوا وتركوه لكم ، فجعلكم الله خلفاء فيه من بعدهم فأنفقوا منه في طاعة ربكم.

وفيه إشارة إلى أنكم كما استخلفتم فيه سيستخلف فيه غيركم ، أي إنكم ستموتون وتتركونه لغيركم .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

أمر الله تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحثَّ على الإنفاق ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي : مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى

استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وقوله : ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ : إشارة إلى أنه سيكون مخلفًا عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يُعصى الله به فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يقول ـ جلّ ثناؤه ـ وأنفقوا مما خوَّلكم الله من المال الذي أورثكم عمن كان قبلكم فجعلكم خلفاءهم فيه في سبيل الله.

❀❀❀

س: ما المراد بالاستفهام في قوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ؟

ج : المراد بهذا الاستفهام التوبيخ ، فالمعنى ، ومالكم لا تصدقون بوحدانية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وقد جاءتكم الرسل يدعونكم للإيمان به ، وأُخذ عليكم الميثاق وأنتم في بطون الأمهات ، وأخذ عليكم الميثاق على ألسنة الأنبياء أن تؤمنوا به ، فأي عذر يمنعكم إذن من الإيمان وقد أزيحت عنكم العلل ، وجاءتكم الرسل.

❀❀❀

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾؟

ج : قال الطبري رحمه الله تعالى ـ في تفسيرها ـ:

يقول ـ تعالى ذكره ـ: وما لكم لا تؤمنون بالله ، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله ، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ، ما قطع عذركم ، وأزال الشكّ من قلوبكم ،﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ قيل : عني بذلك : وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صُلب آدم ، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه.

❀❀❀

س : ما المراد بالميثاق ، ومن الذي أخذه ؟

ج: الميثاق هو المأخوذ على بني آدم وهم في صلب أبيهم آدم والذي أخذه هو الله عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

وقال بعض العلماء : ويعني بذلك بيعة رسول الله ﷺ التي بايع عليها أصحابه سواء يوم العقبة أو عموم البيعات.

❀❀❀

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ؟

ج : قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول : إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يومًا من الأيام ، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالإعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم.

وقال القرطبي رحمه الله: وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم تقرون بشرائط الإيمان.

❀❀❀

س : ما المراد بالآيات البينات ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ المعجزات التي أيد الله بها نبيه ﷺ وأعظمها القرآن ، ثم سائر المعجزات كانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وحنين الجذع ، وتسليم الحجر، ونحو ذلك.

والآيات البينات معناها الحجج الواضحات الجليات.

❀❀❀

س : يفترض أن الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ يُذكِّرون الناس دومًا بالآيات فتلك أعظم سبل الهداية دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، وقوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦] ، وقوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، وقوله تعالى : ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]. فالتذكير بالقرآن أولى بلا شك من أي تذكير ، وكذلك فالتذكير بسنة رسول الله ﷺ أولى من أي تذكير غير الكتاب والسنة.

ولقد قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: في تفسير قوله تعالى : ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ قال : بالقرآن ، وقيل بالرسول وقيل: بالدعوة.

❀❀❀

س: اذكر بعض ما يدل على أن هذا القرآن نور؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، وقوله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ [الشورى:٥٢].

❀❀❀

س : ما وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟

ج : وجه ذلك أن من رأفة الله ورحمته قد أنزل على عبده الذي هو رسول الله محمد ﷺ آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ج : هذا ـ والله أعلم ـ حثٌّ على الانفاق في سبيل الله وتحريضٌ عليه.

والمعنى ، وما لكم أيها الناس ، وما لكم يا أهل الإيمان تبخلون بالمال ولا تنفقون

في سبيل الله وأنتم توقنون أنكم ستموتون، وغيركم سيموت ، وسيرث الله الأرض ومن عليها. فأنفقوا حتى يُدَّخر لكم ذلك عند ربكم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

ولما أمرهم أولًا بالإيمان والإنفاق ، ثم حثَّهم على الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه ، حثَّهم أيضًا على الإنفاق فقال : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، أي : أنفقوا ولا تخشوا فقرًا وإقلالًا ، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما ، وعنده خزائنهما ، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩] وقال: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦] فمن توكل على الله أنفق ، ولم يخش من ذي العرش إقلالًا، وعلم أن الله سَيُخْلُفُه عليه.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله ، وفيما يقرِّبكم من ربكم وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى : فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الإنفاق لله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إنهما راجعتان إليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له.

❀❀❀

س: ما المراد بالفتح المذكور في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ..﴾ ؟

ج : قال أكثر [١] أهل العلم: المراد به: فتح مكة وقال آخرون المراد به صلح الحديبية.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن أبي سعيد الخدري:

قال : قال لنا رسول الله ﷺ عام الحديبية : « يوشك أنْ يأتي قوْمٌ تحقِّرون أعمالكمْ

(١) قال القرطبي رحمه الله: أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة.

مع أعمالهمْ ، قلنا : من هم يارسول الله ، أقريش هم ؟ قال : لا ، ولكنْ أهْلُ اليمنِ أرقُّ أفئدةً وألين قلوبًا ، فقُلنا : هم خيرٌ منّا يا رسول الله ؟ فقال : لوْ كان لأحدهمْ جبلٌ منْ ذهب فأنْفقه ما أدْركَ مدّ أحدكمْ ولا نَصِيفَهُ ، ألا إنّ هذا فصل ما بيننا وبين النَّاسِ ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ ... الآية ، إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

❀❀❀

س: عقب قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ مقدر محذوف مفهوم من السياق وضحه ؟

ج : إيضاحه: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل.

❀❀❀

س: النفقة في أوقات الشدة ، وعلى من هم أشد احتياجًا أجرها أعظم دلِّل على ذلك .!

ج : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام وفعلُ ذلك كان على المنفقين حينئذٍ أشق والأجر على قدر النصب . والله أعلم.

قلت (مصطفى) ومن الأدلة أيضًا على ما ذُكر ، قوله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٦] فالمعنى: أن من الأسباب التي تسبب اقتحام العقبة المساهمة في عتق الرقاب أو الإطعام في يوم ذي مجاعة شديدة ، وذلك الإطعام يطعمه يتيمٌ قريب، أو مسكين شديد المسكنة قد أسكنه الفقر، وأسكنته الحاجة والعوز كأنّ يده لاصقة بالتراب من شدة الفقر.

قال السعدي ـ رحمه الله ـ:

ثم ذكر تعالى ، تفاضل الأعمال ، بحسب الأحوال والحكمة الإلهية فقال : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ المراد بالفتح هنا هو: فتح الحديبية حين جرى من الصلح بين الرسول، وبين قريش، مما هو أعظم الفتوحات، التي حصل فيها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض. فدخل الناس من ذلك الوقت، في دين الله أفواجًا، واعتز الإسلام عزًا عظيمًا. وكان المسلمون قبل هذا الفتح، لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها ، كالمدينة وتوابعها. وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها ، من ديار المشركين، يُؤذى ويخاف. فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وقاتل ، أعظم درجة وأجرًا وثوابًا ، ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك ، كما هو مقتضى الحكمة . ولهذا كان السابقون ، وفضلاء الصحابة ، غالبهم أسلم قبل الفتح.

❀❀❀

س: اذكر بعض هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا.!

ج: من هؤلاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وعمر، وعثمان، وعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

ومن هؤلاء البدريين عمومًا أي: من شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ ، وكذا من شهد أحدًا والأحزاب وغير هؤلاء ممن أسلموا قبل الفتح وأنفقوا وقاتلوا.

❀❀❀

س: السابقون بالإيمان والخيرات لهم قدرٌ وينبغي أن يعرف لهم قدرهم وأن ينزلوا منازلهم ، دلِّل على ذلك ؟)

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾. وقول النبي ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب**

الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ جبرٌ للخاطر، وضّحه؟

ج: إيضاحه: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما ذكر عظيم الأجر الذي أعده للسابقين الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا عقَّب ذلك بذكر الأجر الذي أعده لغيرهم من المؤمنين المنفقين المقاتلين أيضًا، فقال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ونحو هذا في المعنى قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء:٧٨، ٧٩] ثم قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٧٩] فأوضح الله أيضًا فضل نبيه داود ـ عليه السلام ـ فإن كان الله عزَّ وجلَّ أفهم سليمان مسألةً، فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ بعض فضله على نبيه داود ـ عليه السلام ـ كذلك!

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؟

ج: المعنى، أن المنفقين من قبل الفتح والمقاتلين من قبل الفتح، وكذا المنفقين من قبل الفتح والمقاتلين كل هؤلاء وعدهم الله الجنة على تفاوتٍ في الدرجات فيها.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعًا الجنة مع تفاوت الدرجات.



(١) مسلم (حديث ٦٧٣).

س : قَدْرُ كم هذا التضعيف ؟

ج : التضعيف لا يعلم قدره إلا الله فهنالك ما يدل على أن التضعيف إلى عشرة أضعاف قال تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، وهنالك ما يدل على أن التضعيف إلى سبعمائة ضعف قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]. وهنالك ما يدل على أن التضعيف أكثر من ذلك كما في الحديث: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه فيربيها كما يربي أحدُكم فلوه حتى تكون مثل الجبل**»[١] ، ولقد قال تعالى أيضًا : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

وأَوْردَ هنا ما أخرجه عبد بن حميد في المنتخب[٢] بسندٍ صحيح

أنس أن رجلًا قال : يا رسول الله إن لفلان نخلة وإنما أُقيم حائطي بها ، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها . فقال له النبي ﷺ : « **أعطِهَا إياهُ بنَخلَةٍ في الجنَّة**» فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال : بعني نخلتك بحائطي قال : ففعل قال : فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي ، فاجعلها له وقد أعطيتكها فقال رسول الله ﷺ: «**كَم مِن عِذقٍ رَوَّاحٍ لأَبي الدَّحْدَاحِ في الجنَّة**» قالها مرارًا. قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح أخرجي من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها.

وقد ورد نحو هذا الحديث[٣] عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بسندٍ ضعيف ، وفيه لما نزلت هذه الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ..﴾ [البقرة:٢٤٥] قال أبو الدحداح يا رسول الله وإنَّ الله ليريد منا القرض ؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يارسول الله قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي وله حائط[٤] فيه ستمائة نخلة.

❀❀❀

---

(١) البخاري بنحوه (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

(٢) عبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٣٢).

(٣) انظر البزار (٥/ ٤٠٢) وسنده ضعيف كما أشرنا.

(٤) المراد بالحائط الحائط البستان.

س: وضّح بعض ما يمتاز به القرض الحسن ؟

ج: يمتاز القرض الحسن بالآتي ذِكره :

أولًا: أن يكون من مالٍ حلال ورزق حلال.

ثانيًا: أن يبتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ دون الرياء والسمعة.

ثالثًا: أن يستر فيه على الفقير ولا يفضح.

رابعًا: أن يكون من الجيد ولا يكون من الخبيث.

خامسًا : أن تكون النفس طيبة عند إخراجه.

سادسًا : ألا يتبع بالمن والأذى.

سابعًا : أن يسأل فاعله ربه القبول.

❀❀❀

س : ما المراد بالأجر الكريم ؟

ج : المراد به ، والله أعلم ، الجنة.

❀❀❀

س : ما العامل في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ؟

ج : العامل هو قوله تعالى : ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فالمعنى: وله أجرٌ كريم في يومٍ ترى المؤمنين والمؤمنات.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ ؟

ج: قال بعض العلماء : ، المعنى يضيء لهم نورهم ، ويتقدمهم بحسب درجات إيمانهم ، ويكون عن يمينهم أيضًا، وبأيمانهم كذلك هذا النور فمنهم من يضيء نوره من المدينة إلى عدن ، ومنهم أكثر من ذلك ومنهم أقل من ذلك.

وقال آخرون : يسعى نورهم ، أي: يسعى إيمانهم وهداهم وبأيمانهم كتبهم أي: وكتبهم قد تلقونها بأيمانهم واختاره الطبري.

وأخرج ابن أبي حاتم [١] بسندٍ عن سليم بن عامرٍ قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أُمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أُمامة: أيها الناس؛ إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمرٌ من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورًا، ويُترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور:٤٠] إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾. وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]. فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئًا، فينصرفون إليهم وقد ضُرب بينهم بسور له باب، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ...﴾ الآيات. يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترًّا حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق.

❀❀❀

س: في قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ مقدرٌ محذوف وضّحه.؟

ج: المقدر - والله أعلم - هو: يقال لهم، أي: يقال لهم بشراكم اليوم.

❀❀❀

س: قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أنهار ماذا؟

ج: أنهارٌ من مآء غير آسنٍ، وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين وأنهارٌ من عسل مصفى. وكذلك هنالك سيحان وجيحان والنيل والفرات وكذلك فهنالك الحوض والكوثر وكذلك فهنالك نهر الحياة.

(١) نقلًا عن تفسير ابن كثير.

س : قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ عائدٌ على ماذا ؟

ج : عائدٌ على الجنات والخلود فيها.

❀❀❀

س : ما العامل في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ ؟

ج : العامل هو قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فالمعنى ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون.

❀❀❀

س : هل في قوله تعالى : ﴿ٱنظُرُونَا﴾ قراءات أُخر ؟ وما المعنى ؟

ج : أما قولهم (انظرونا) أي انتظرونا وهنا قراءة أخرى أَنظِرونا بمعنى أخرونا ومنه : ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ٱنظُرُونَا﴾ فقرأت ذلك عامةُ قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ موصوله بمعنى : انتظرونا ، وقرأته عامة قراء الكوفة: «أَنْظِرُونا» مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى: أخرونا، وذكر الفرّاء أن العرب تقول: أنظرني وهم يريدون : انتظرني قليلًا، وأنشد في ذلك بيت عمرو بن كلثوم :

أبـــا هِنْـــدٍ فَـــلا تَعْجَـــلْ عَلينَـــا وأنْظِرْنَـــا نُخَبِّـــرْكَ اليقِينَـــا

قال: فمعنى هذا: انتظرنا قليلًا نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع كقولك للرجل : اسمع مني حتى أخبرك.

والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا ، وليس للتأخير في هذا الموضع معنى ، فيقال : أنظرونا ، بفتح الألف وهمزها.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أنه قد قيل لهؤلاء المنافقين الذين طلبوا من أهل الإيمان أن ينتظروهم ـ ارجعوا وراءكم حيث كان يقسم النور فالتمسوا نورًا.

وأورد الطبري: بإسنادٍ ضعيف عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورًا؛ فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذٍ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإنا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور.

❀❀❀

س: من القائل: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾؟

ج: قال بعض العلماء: إن القائلين هم الملائكة، وقيل: إن القائلين هم المؤمنون.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن أهل النفاق ينادون أهل الإيمان ألم نكن مسلمين في الدنيا معكم كما كنتم مسلمين، نشهد معكم الجماعات ونتزوج منكم ونجالسكم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾. قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللّذات والمعاصي والشهوات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾، أي: بالبعث بعد الموت، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾، أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت، ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾، أي: الشيطان.

قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار. ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: أنكم كنتم معنا بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك، فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلًا.

قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحوهم ويعينونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتًا ، ويعطون النور جميعًا يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويُماز بينهم حينئذٍ.

❀❀❀

س : وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ ؟

ج : المعنى ، والله أعلم ، وجعل بين أهل الإسلام والإيمان وأهل الكفر والنفاق حائط له جانبان جانب من جوانبه عنده أهل الإيمان، والآخر عنده أهل الكفر والنفاق كما قال تعالى : ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف:٤٦].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من إسرائيلياته وتُرَّهاته . وإنما المراد بذلك سُورٌ يضرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب ، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

قال الرازي في تفسيره: الباء في قوله ﴿بِسُورٍ﴾ صلة وهو للتأكيد ، والتقدير : ضرب بينهم سور كذا، قاله الأخفش، ثم قال ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ أي لذلك السور باب ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي: في باطن ذلك السور الرحمة ، والمراد من الرحمة: الجنة التي فيها المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ يعني وخارج السور﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي من قبله يأتيهم العذاب، والمعنى: أن ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة ، وما يلي الكافرين يأتيهم من قبله العذاب ، والحاصل أن بين الجنة والنار حائط وهو السور ، ولذلك السور باب ، فالمؤمنون يدخلون الجنة من باب ذلك السور ، والكافرون يبقون في العذاب والنار.

❀❀❀

س : ما المراد بفتنتهم لأنفسهم ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ صرفهم لها عن الحق.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ينادي المنافقون المؤمنين حين حجز بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة: ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم ، ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: بلى، يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فتنتم أنفسكم ، فنافقتم. وفِتْنَتهم أنفسَهم في هذا الموضع كانت النفاق.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ فيوم القيامة لا تقبل منكم يا أهل الكفر أية فديةٍ إن افتديتم بها ، فمهما بذلتم من مال ـ ولن يوجد ـ فلن يقبل منكم هذا المال.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام:٧٠].

وقوله تعالى : ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ...﴾ [المعارج:١١].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٣٦].

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨].

وفي الحديث: «أن الله عزَّ وجلَّ يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها ؟ فيقول: نعم ، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم أن لاتشرك ، ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك»[(١)].

وفي رواية يقال للكافر يوم القيامة: «أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به ؟ فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك»[(٢)].

❀❀❀

(١) مسلم (٢٨٠٥)، والبخاري (٣٣٣٤).

(٢) مسلم طرف حديث (٢٨٠٥)، والبخاري (٢٨٠٥).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ
وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٦-١٩].

س: اذكر معنى ما يلي :

﴿أَلَمْ يَأْنِ - ءَامَنُوٓا۟ - تَخْشَعَ - وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ - كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ - فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ - فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ - فَٰسِقُونَ - ٱلْمُصَّدِّقِينَ - قَرْضًا حَسَنًا - أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

ج :

الكلمة	معناها
﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾	ألم يحِنْ - ألم يأت الوقت
﴿ءَامَنُوٓا۟﴾	صدقوا الله ورسله.
﴿تَخْشَعَ﴾	تلين - تخضع وتطيع.
﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾	الذي نزل من الحق (وهو القرآن)
﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾	اليهود والنصارى، والكتاب (التوراة والإنجيل) اليهود أوتوا التوراة ، والنصارى أوتوا الإنجيل.
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾	الأمد هو الدهر، والزمن، وطال عليهم الأمد أي: ابتعدوا كثيرًا عن التذكير والوعظ ، أي: ابتعدوا عن الزمن الذي كان فيه تذكيرٌ ووعظ ونبوات ، وقيل: طال عليهم الأمد في

	النعيم ، أي: نُعِّموا زمنًا طويلًا.
﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	فسدت قلوبهم - ثبتت على المعاصي - امتنعت عن قبول الخير ، وتأبَّت على ذلك [١].
﴿فَٰسِقُونَ﴾	خارجون عن الطاعة.
﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾	المنفقين من أموالهم (صدقة الفرض وصدقة النفل).
﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾	صدقة من الحلال الطيب يبتغى بها وجه الله.
﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾	ثواب من الله عظيم.

❁❁❁

س: من الذين عناهم الله بقوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ ؟

ج : هم الذين آمنوا من أمة محمد ﷺ ، أي: آمنوا برسول الله ﷺ وبالذي أُنزل عليه.

❁❁❁

س: متى نزلت هذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلا أربع سنين [٢].

قلت : وإسلام ابن مسعود - رضي الله عنه - كان متقدمًا فعلى هذه فالآية مكية ، والله أعلم.

❁❁❁

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذي حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد.

(٢) مسلم (حديث ٣٠٢٧).

س : ذكر بعض العلماء أن هذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ..﴾ كانت سببًا لزهد ابن المبارك وتوبة الفضيل بن عياض رحمهما الله ، فهل لذلك من أصل ؟

ج : أورد القرطبي في تفسيره شيئًا من هذا فقال :

وهذه الآية : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما ـ الله تعالى ـ ذكر أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القَلاَنسيُّ قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق ، قال حدّثنا علي بن يعقوب الزيات ، قال حدثنا إبراهيم بن هشام ، قال حدثنا زكريا بن أبي أبان ، قال حدثنا الليث بن الحرث قال حدّثنا الحسن بن داهر ، قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال : كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا ، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه ، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا ، وكنت مولعًا بضرب العودِ والطُّنبور ، فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السَّحَر ، وأراد سنان يغنّي ، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة ، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد ، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان ـ يعني العود الذي بيده ـ ويقول : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قلت : بلى والله! وكسرت العود ، وصرفت من كان عندي ، فكان هذا أوّل زهدي وتشميري . وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك أن يضرب به العود :

أَلَمْ يأنِ منك أن تَرْحَمَا ... وتَعْصِ العَوَاذِلَ واللُّوَّما
وتَرْثي لصَبٍّ بكم مُغْرَمٍ ... أقام على هجرِكم مَأْتَمَا
يبيتُ إذا جَنَّهُ لَيلُهُ ... يراعي الكَواكِبَ والأَنْجُمَا
وماذا على الظَّبي لَوْ أنّهُ ... أحَلَّ من الوَصْلِ ما حَرَّمَا

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلًا ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئًا يقرأ : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فرجع القهقري وهو يقول: بلى والله قد آن! فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة ، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلًا يقطع الطريق . فقال الفضيل: أوّاه! أراني

بالليل أسعى في معاصي الله ، قوم من المسلمين يخافونني اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.

❁❁❁

س : وضّح معنى قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ ؟

ج : أمّا الأمد فهو الدهر والزمن.

والآية في معناها وجوه :

أحدها : طال عليهم الزمن في البعد عن الرسالات والمواعظ ، فلما ابتعدت اليهود عن نبيهم موسى عليه السلام وابتعدت النصارى عن عيسى ـ عليه السلام ـ وترك هؤلاء وأولئك استماع العلم والمواعظ تسربت القسوة إلى قلوبهم ، فالبعد عن العلم والوعظ يقسي القلوب ، ولذا اسْتُحِب للشخص أن يتعاهد نفسه باستماع المواعظ ، ومن ثَمَّ فقد كان النبي ﷺ يعظ أصحابه ويتخولهم بالمواعظ

❁❁❁

س: من الذين عناهم الله بقوله : ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ وما الكتاب الذي أوتوه ؟

ج : أما الذين أوتوا الكتاب فهم اليهود والنصارى أما الكتاب الذي أوتوه ، فقد أوتي اليهود التوراة وأوتي النصارى الإنجيل، والله أعلم.

❁❁❁

س: اذكر ما يدل على كثرة الفاسقين من أهل الكتاب ؟

ج : من الدليل على ذلك ما يلي: قوله تعالى : ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣].

❁❁❁

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾؟

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجلَّ يحيي الأرض بالماء الذي ينزله عليها فتنبت النبات وتُخرج ثمرتها بعد أن كانت ميتة. وكذلك القلوب الميتة التي ليس فيها إيمان يحييها الله بالإيمان وبالقرآن، فتهتدي بعد الضلالة، وتُبصر بعد العمى.

قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول تعالى ذكره: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الميتة التي لاتنبت شيئًا ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحيي هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضَّالَّ عن الحقّ إلى الحق، فنوفِّقه ونسدِّده للإيمان حتى يصير مؤمنًا من بعد كفره، ومهتديًا من بعد ضلاله.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحَيارى بعد ضَلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتَّان، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحَكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال.

❀❀❀

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قراءتان وضِّحْهما؟

ج: القراءتان هما:

الأولى: المُصَّدِّقين والمُصَّدِّقات بتشديد الصاد والدال. وهي كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١] أي: ياأيها المزمل فالمعنى: إن المتصدقين والمتصدقات أي المتصدقين من أموالهم والمتصدقات من أموالهن صدقة الفرض أو صدقة النفل.

والقراءة الثانية: المُصَدِّقين والمُصَدِّقات بتخفيف الصاد وتشديد الدال.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، صحيح معنى كل واحدة منهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؟

ج : المعنى - والله أعلم - وأنفقوا في سبيل الله لنصرة دينه ، وفي وجوه الخير التي أمر بها ، نفقةً حلالًا طيبةً بها نفسه.

❀❀❀

س: اذكر بعض الوارد في فضل النفقة في سبيل الله ؟

ج : من ذلك ما يلي: قوله تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وقول النبي ﷺ: «مَنْ تَصدَّق بعَدْل تَمْرةٍ من كَسْبٍ طيبٍ - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فُلُوَّه ، حتى تكونَ مثلَ الجبلِ»(١) وقول النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرةٍ »(٢)، وقول النبي ﷺ: «سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجلٌ تصدَّقَ أَخْفَى حتى لا تعلم شِمالُهُ ما تنفق يمينه »(٣).

وقول النبي ﷺ : « ما نَقَصتْ صدقةٌ من مال »(٤). وقد سبقت في سور أُخر أدلة كثيرة في هذا الباب فليراجعها من شاء في مواطنها وبالله التوفيق.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾؟

ج : قال الطبري - رحمه الله -: والذين أقروا بوحدانية الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته وإرساله رسله فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءوهم به من عند ربهم أولئك هم الصديقون.

---

(١) البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).
(٢) البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).
(٤) مسلم (٢٥٨٨).

س: هل كل من آمن بالله ورسله يعد صديقًا ؟

ج : نعم يعدُّ صديقًا، ولكن ذلك على قدر إيمانه وتصديقه فإذا كان تصديقه تامًا وإيمانه كاملاً دخل في عداد الصديقين بحسب إيمانه وتصديقه وإذا كان دون ذلك فمنزلته من الصديقية دون ذلك.

❀❀❀

س: أيهما أعلى منزلةً الصديقون أم الشهداء ؟

ج : اعلم أولًا أن الشخص قد يجمع بين الدرجتين الصديقية والشهادة أما إذا لم يجمع بينهما ، وكان المراد بالشهداء القتلى في سبيل الله ، فالصديقون أعلى منهم رتبة يوم القيامة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] فقدَّم الصديقون على الشهداء في السياق.

قال القرطبي: فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين ، والصالحون يتلون الشهداء.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فقد يجمع الشخص بين ما ذُكر وقد يجمع بعض ما ذُكر. ولقد قال نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩] فيكون الصلاح هنا مرتبة عليا أيضًا.

هذا ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن أهل الجنة يتَراءَيونَ أَهلَ الغُرَفِ مِنْ فَوقِهِمْ كَمَا يتَرَاءَوْنَ الْكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ ما بَينَهُمْ. قَالُوا: يا رَسُولَ الله ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِياءِ لايَبْلُغُهَا غَيرَهُمُ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِى نَفْسِي بِيدِهِ، رِجالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْـمُرْسَلِين».[1]

❀❀❀

س : من المعنيون بالشهداء في هذه الآية الكريمة ؟

ج : قيل: إن المراد بالشهداء الرسل يشهدون على أممهم يوم القيامة ، وشاهد

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

هذا القول قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١]. وقيل: إنهم عموم من يشهد يوم القيامة، وهم أمة محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣]. وذكر بعض العلماء أن الشهداء هم القتلى في سبيل الله وهذا أقرب الأقوال ـ في نظري ـ إلى الصحة، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل الوقف في الآية الكريمة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ عند قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أم عند قوله: ﴿وَنُورُهُمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الوقف عند قوله الصديقون فيكون المعنى، والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون، ويكون المعنى قد انتهى ثم ابتُدأ معنى جديدًا ألا وهو بيان أجر الشهداء في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. وقد ورد هذا القول عن ابن عباس بسندٍ ضعيف [1] عند الطبري، فقال ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ قال هذه مفصولة﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾. ولكنه قد صح عن مسروق [2] نفس المعنى فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ قال: هي للشهداء خاصة.

الثاني: أن الوقف عند قوله ونورهم، فيكون المعنى أن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم أيضًا الشهداء على الخلق عند ربهم، ويكون أيضًا ادخر لهم أجرهم، ونورهم.

وأورد الطبري في ذلك حديثًا [3] من طريق البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مُؤْمِنُوا أُمَّتِي شُهَدَاءُ. قال: ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ».

(١) وذلك لأنه من سلسلة العوفيين عن ابن عباس، وهي سلسلة ضعيفة جدًا.
(٢) وذلك عند الطبري في تفسير الآية المذكورة.
(٣) الطبري (٣٣٦٥٣)، وفي سنده إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف.

قلت (مصطفى): وفي سنده ضعف.

وأثرًا آخر من طريق شعبة [١] قال :أخبرنا أبو قيس أنه سمع هذيلًا يحدّث: قال : ذكروا الشهداء ، فقال عبد الله : الرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل للدينا ، والرجل يقاتل للسمعة ، والرجل يقاتل للمغنم ؛ قال شعبة شيئًا هذه معناه : والرجل يقاتل يريد وجه الله ، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد ، وقرأ عبد الله هذه الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ .

هذا ، وقد قال الطبري في تفسيره : وقوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : والشهداء عند ربهم منفصل من الذي قبله ، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله ، متناه عند قوله ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ مرفرعون بقوله : هم ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقيل : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ، والشهداء في قولهم مرفوعون بقوله : ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

ثم قال أيضًا : وقال آخرون : بل قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ من صفة الذين آمنوا بالله ورسله ؛ قالوا : إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدئ الخبر عما لهم، فقيل : لهم أجرهم ونورهم.

ثم قال الطبري : والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال : الكلام والخبر عن الذين آمنوا ، متناه عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ وإن قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدأ عن الشهداء.

وإنما قلنا : إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر ، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره ، إلا أن يراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه ، فيكون ذلك وجهًا، وإن كان فيه بعض البعد ، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه ، إذا أطلق بغير وصل ، فتأويل قوله : ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ إذن والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله ، أو هلكوا في سبيله عند ربهم ، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم.

❀❀❀

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبري (٣٣٦٥١).

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ
وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ
ٱلْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ
أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ (٢١) مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ
أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ
بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٤) ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢٤].

س: اذكر معنى مايلي:
(﴿وَزِينَةٌ - وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ - وَتَكَاثُرٌ - غَيْثٍ - ٱلْكُفَّارَ - يَهِيجُ - مُصْفَرًّا - حُطَٰمًا - وَرِضْوَٰنٌ - مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ - نَّبْرَأَهَآ - تَأْسَوْا۟ - ءَاتَىٰكُمْ - مُخْتَالٍ - فَخُورٍ - يَبْخَلُونَ - يَتَوَلَّ - ٱلْحَمِيدُ﴾)

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَزِينَةٌ﴾	ما تتزينون به.
﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾	تفاخر بعضكم على بعض (تعالي بعضكم على بعض).
﴿وَتَكَاثُرٌ﴾	تباهي بالكثرة.

﴿غَيْثٍ﴾	مطر
﴿ٱلْكُفَّارَ﴾	الزراع (وهم هنا ـ والله أعلم ـ الذين يبذرون البذرة ويغطونها في الأرض).
﴿يَهِيجُ﴾	يجف بعد خضرته.
﴿مُصْفَرًّا﴾	متغيرًا إلى الصفرة بعد الاخضرار.
﴿حُطَٰمًا﴾	متهشمًا ـ محُطمًا مُكسرًا متفتتًا ـ
﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾	رضى من الله عزَّ وجلَّ.
﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	متاع يتمتع به، وينتفع به، ولا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة.
﴿نَّبْرَأَهَآ﴾	نخلقها (نخلق الأنفس)
﴿تَأْسَوْا۟﴾	تحزنوا ـ تندموا
﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾	أعطاكم ـ (جاءكم منها).
﴿مُخْتَالٍ﴾	متكبر أوتي من الدنيا.
﴿فَخُورٍ﴾	مفتخر على الناس بما أوتي.
﴿يَبْخَلُونَ﴾	يمنعون الواجب عليهم إخراجه.
﴿يَتَوَلَّ﴾	يعرض عن الموعظة.
﴿ٱلْحَمِيدُ﴾	الحميد إلى خلقه بما أنعم عليهم.

❀❀❀

س: ما وجه الاتصال بين قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ ...﴾ وبين الآية التي تتقدمها ؟

ج: قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفًا على نفسه من القتل، وخوفًا من لزوم الموت، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى.

❀❀❀

س: هل كل لهب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر حرام؟

ج: ليس كل اللعب حرام، بل من اللعب ما هو مباح وحلال كملاعبة الرجل أهله وفرسه واللهو المباح في الأفراح (ففي الحديث ماذا كان معكم من اللهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو)(١)

والزينة التي أباحها الله، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] وكذا التفاخر بالخير الموصل إلى مرضات الله كما كانت الأوس والخزرج يتفاخرون بمناقبهم في الخير، وكذا قد قال النبيﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»(٢).

❀❀❀

س: وضّح معنى الآية الكريمة: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ..﴾ ؟

ج: قال الطبري - رحمه الله -:

يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكّهون به، وزينة تتزينون بها، وتفاخر بينكم يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها ﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠] يقول تعالى ذكره: ويباهي بعضكم بعضًا بكثرة الأموال والأولاد ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يبس ذلك النبات ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزُّمَر:٢١] بعد أن كان أخضرَ نضرًا.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ يقول تعالى ذكره:ثم يكون ذلك النبات حطامًا، يعني به أنه يكون نبتًا يابسًا متهشمًا﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ لأهل الإيمان بالله ورسوله.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٥).

(٢) أبو داود (حديث ٢٠٥٠) بسند صحيح.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى مُوهِّنًا أمر الحياة الدنيا ، ومحقّرًا لها : ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ . أي : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران:١٤].

❀❀❀

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن التفاخر ؟

ج : أخرج مسلم في صحيحه: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحد ولا يفخر أحدٌ على أحد » [١].

ثم إن هذا التفاخر من أمر الجاهلية ، قال رسول الله ﷺ :« أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت...» [٢].

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ ؟

ج : قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة ؛ فقال : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ ، وهو : المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس ، كما قال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى:٢٨].

وقوله : ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ . أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فإنهم

(١) مسلم في طرف حديث (٢٨٦٥).

(٢) مسلم (٩٣٤).

أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ ، أي : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًّا بعدما كان خضرًا نَضرًا ، ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾ بعد ذلك كله إلى أن : يصير يبسًا متحطمًا ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزًا شوهاء ، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضًّا طريًّا لين الأعطاف ، بهي المنظر ، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويَنْفَدُ بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى قليل الحركة ، يعجزه الشيء اليسير ، كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤] . ولما كان هذا المثل دالًّا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حَذّر من أمرها ، ورغّب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ ، أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا ؛ إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ ، أي : هي متاع فإن غارّ لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها ، وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ، ولا معاد وراءها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

أما سائر أقوال العلماء فمنها:

قول القرطبي ـ رحمه الله ـ:

إذ قال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ أي مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ الكفّار هنا : الزرّاع لأنهم يغطّون البذر . والمعنى: أن الحياة كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصير هشِيمًا كأن لم يكن ، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن . وقد مضى معنى هذا المثل في « يونس» و « الكهف» . وقيل : الكفّار هنا الكافرون بالله عزَّ وجلَّ ، لأنهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا من المؤمنين . وهذا قول حسن ، فإن أصل الإعجاب لهم وفيهم ، ومنهم يظهر ذلك ، وهو التعظيم للدنيا وما فيها . وفي الموحدين من ذلك فروع تحدث من شهواتهم ، وتتقلل عندهم وتدق إذا ذكروا الآخرة . وموضع الكاف رفع على الصفة . ﴿ثُمَّ

﴿يَهِيجُ﴾ أي يجف بعد خضرته ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ أي متغيرًا عما كان عليه من النضرة .﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ أي فُتاتًا وتِبْنًا فيذهب بعد حسنه، كذلك دنيا الكافر . ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي للكافرين . والوقف عليه حسن ، ويبتدئ ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ أي للمؤمنين . وقال الفراء : ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ تقديره: إما عذاب شديد وإما مغفرة ، فلا يوقف على « شَدِيدٌ » . ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ هذا تأكيد ما سبق ، أي تغر الكفار ، فأما المؤمن فالدنيا له متاع بلاغ إلى الجنة . وقيل: العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدًا في العمل للدنيا ، وترغيبًا في العمل للآخرة.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ وفي الآخرة إما عذاب شديد لأهل الكفر وإما مغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ؟

ج : المعنى: سابقوا إلى عملٍ صالحٍ تُغفر به ذنوبكم قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن فسَّر قوله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ ...﴾ وأورد حديث رسول الله ﷺ: « لَلْجَنَّةُ أقربُ إلى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»[1] . قال ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات ، فقال تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والمراد جنس السماء والأرض ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

❀❀❀

(١) إسناده صحيح: وأخرجه أحمد (١/ ٤٤٢).

س: وردت جملة من الأدلة في الحث على المسارعة إلى الخيرات والتسابق إليها اذكر بعضها؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

❀❀❀

س: إذا كان عرض الجنة السموات والأرض فما طولها، وأين تكون حينئذٍ؟

ج: الطول ـ والله أعلم ـ لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وذِكْرُ عرضها فيه تنبيه وإشارة إلى عظيم طولها، فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، كما قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت بطائن الفُرُشِ (الحشو الداخلي) من إستبرق وهو الحرير، فكيف بالظواهر.

ونحوه من التنبيه بالأدنى على الأعلى قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٥] فإذا كان الذين يصلون بعض الصلوات ويتركون بعضًا توعدهم الله بالويل فكيف بالذين لا يصلون. أما أين تكون الجنة حينئذٍ، وطولها أطول من السموات والأرض؟ فالأرض هنالك غير الأرض، والسموات غير السموات قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ [إبراهيم:٤٨].

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾؟

ج: في ذلك قولان:

أحدهما: تلك الجنة التي عَرْضها السموات والأرض يتفضل الله بها على من يشاء من عباده المؤمنين به وبرسله.

الثاني: تلك المسابقة إلى الخيرات والمسابقة إلى ما تغفر به الذنوب فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ يتفضل الله به على من يشاء من عباده.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة:٤] يقول جلّ ثناؤه : هذه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض التي أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله ، فضل الله تفضل به على المؤمنين ، والله يؤتي فضله من يشاء من خلقه ، وهو ذو الفضل العظيم عليهم ، بما بسط لهم من الرزق في الدنيا ، ووهب لهم من النِّعم ، وعرَّفهم موضع الشكر ، ثم جزاهم في الآخرة على الطاعة ما وصف أنه أعدّه لهم.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة:٥٤] أي أن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله.

وأورد الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ:

حديث رسول الله ﷺ: «لَلْجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ والنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»(١) ثم قال: ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلهذا حثه الله على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات ، وترك المحرمات، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات، فقال تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: والمراد جنس السماء والأرض، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]. وقال هاهنا: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ، أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدمنا في «الصحيح»(٢) أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٢)، وانظر البخاري (٦٤٨٨).

(٢) انظر البخاري (٨٤٣)، ومسلم (١٤٢/ ٥٩٥).

العلا والنعيم المقيم . قال : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نُعتق . قال :«أَفَلا أُدُلُّكُم عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُم مَن بَعْدَكُم ، ولَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَل مِنْكُم إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُم : تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وتحمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلاثِينَ». قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فعَلنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله ، ﷺ : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

❀❀❀

س: ما المراد بالمصيبة في الأرض ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ فساد الأرض ، وجدبها وذهاب زرعها وقحطها وقلة نباتها وثمارها وقيل الجوائح التي تُصاب بها الزروع.

❀❀❀

س: ما المراد بالمصيبة في النفس ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ الأوجاع والأمراض والأسقام والحوادث التي تصاب بها الأنفس. وقيل: إقامة الحدود، وقيل ضيق المعاش.

❀❀❀

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ ؟

ج : المراد به: اللوح المحفوظ ، الذي هو أم الكتاب.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ أن المصائب التي تحل بالبلاد والعباد قدَّرها الله وكتبها في كتاب عنده (وهو اللوح المحفوظ) قبل أن يخلق الأنفس.

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم(١) في صحيحه أن النبي ﷺ قال : «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

---

(١) حديث (٢٦٥٣).

وقد أخرج الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله جلّ ثناؤه: ﴿فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ قال: من قبل أن نخلقها قال: المصائبُ والرزقُ والأشياءُ كلها مما تحبّ وتكره، فرغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها.

❀❀❀

س : في قوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ ردٌّ على القدرية ، وضّح هذا الرد بمزيدٍ من الاستدلالات ؟

ج : نعم في هذه الآية الكريمة ردٌّ على نفاة القدر ، فالآية الكريمة تفيد أن الأمور مقدّرة كما أفادتها غيرها من الآيات كقوله تعالى : ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٨] ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [الحشر:٣] ، وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]، وكقوله تعالى : ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤]، وكقوله تعالى : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١].

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيءٌ من المصائب إلا وهو مكتوب عند الله قبل ذلك ، أوضحه الله تعالى فى غير هذا الموضع ، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١] وقوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن:١١] وقوله تعالى : ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] ، لأن قوله : ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ﴾ [البقرة:١٥٥] قبل وقوع ذلك دليل على أن هذه المصائب معلومة له جلَّ وعلا قبل وقوعها ، ولذا أخبرهم تعالى بأنها ستقع ، ليكونوا مستعدين لها وقت نزولها بهم ، لأن ذلك يعينهم على الصبر عليها ، ونقص الأموال والثمرات مما أصاب من

مصيبة ، ونقص الأنفس في قوله : والأنفس ، مما أصاب من مصيبة في النفس ، وقوله في آية الحديد هذه : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي بينا لكم أن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود الخلق ، وأن ما كُتِبَ واقعٌ لا محالة لأجل ألا تحزنوا على شيء فاتكم ، لأن فواته لكم مقدر ، وما لا طمع فيه قل الأسى عليه ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق والخير لا بد أن يأتيكم قل فرحكم به.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ، أي : إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها ، سَهْلٌ على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأنه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

❀❀❀

س : ما فائدة الإخبار بقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾؟

ج : ذلك حتى تطمئن القلوب ، فلا تجزع لمصابٍ ألمَّ بها ولا تفرح ولا تبطر ولا تطغى لنعمةٍ حلَّت بها، فالغني إذا أدرك أن غناه مقدر له ما طغى وما بغى، والفقير إذا أدرك أن ما هو فيه مُقدر لم يحزن ولم يأسف.

والمبتلى في نفسه بحادث أو بمرض لو أدرك أن كل ذلك مقدرٌ عليه ما ندم. فقد يخرج الخارج من بيته فيصاب بحادث فيقول ـ إذا لم يكن مؤمنًا ـ (ليتني ما خرجت) ويندم أشد الندم على ما حدث له لكنه إذا كان مؤمنًا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وكما قال تعالى : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]. هذا ، وقد ورد عن ابن عباس [(١)] ـ رضي

(١) عند الطبري. وإن كان في سنده ضعف.

الله عنهما ـ أنه قال : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ قال: ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرًا ومن أصابه خير فجعله شكرًا.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ أي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق ، وذلك أنهم إذا علموا أن الرزق قد فرغ منه لم يأسوا على ما فاتهم منه .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾، أي : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ، أي : جاءكم ، ويقرأ ﴿آتَاكُمْ ﴾ ، أي أعطاكم . وكلاهما متلازم ، أي : لاتفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم ، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا ، تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ، أي : مختال في نفسه ، متكبر﴿فَخُورٍ ﴾ ، أي : على غيره.

❀❀❀

س : قوله تعالى: ﴿يَبْخَلُونَ ﴾ يبخلون بماذا ؟

ج : يبخلون بإخراج ما أوجبه الله عليهم من الزكوات المفروضات وغيرها.

هذا ، ومن العلماء من حمل البخل هنا على ما هو أعم من الزكوات والصدقات ، فحمله على البخل بالطاعات عمومًا ، وإلى هذا أشار الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه.

وقيل المراد بالبخل ، البخل بتعليم الناس وإخبارهم بما ينفعهم ويقربهم من ربهم ، ومن ذلك بخل اليهود بإخبار الناس بصفة النبي محمد ﷺ.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ ؟

ج : إيضاحه فيما ذكره الطبري إذ قال :

وقوله : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره : ومن يدْبرْ مُعْرِضًا عن عظة الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره : ومن يدبر معرضًا عن عظة الله ، تاركًا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله ، فرِحًا بما أوتي من الدنيا مختالًا به فخورًا بخيلًا ، فإن الله هو الغني عن ماله ونفقته ، وعن غيره من سائر خلقه ، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نِعمه.

❁❁❁

س: قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ أين جوابه؟

ج : من العلماء من قال جوابه محذوف لكنه محذوف من السياق ، واستفيد المعنى من آيات أخر وحذف الجواب كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾ [الرعد:٣١] أي لكان هذا القرآن.

وكذلك المعنى ، ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ جوابه، أولئك الأئمة الظلمة المعذبون يوم القيامة.

هذا ، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ لا يحتاج إلى جواب لأنه وصف لقوم تقدم ذكرهم فيكون المعنى ، والله لا يحب كل مختال فخور وهذا المختال الفخور هو هو الذي يبخل ويأمر الناس بالبخل ، والله لا يحبه ، والله أعلم.

❁❁❁

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن
يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي
ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ
قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ
أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٥-٢٩].

س: اذكر معنى ما يلي:

(بِالْبَيِّنَاتِ - الْكِتَابَ - وَالْمِيزَانَ - لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ - بَأْسٌ شَدِيدٌ - وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ - بِالْغَيْبِ - عَزِيزٌ - وَالْكِتَابَ - مُّهْتَدٍ - فَاسِقُونَ - قَفَّيْنَا - عَلَىٰ آثَارِهِم - رَأْفَةً - وَرَهْبَانِيَّةً - ابْتَدَعُوهَا - مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ - ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ - فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا - كِفْلَيْنِ - وَيَغْفِرْ لَكُمْ - غَفُورٌ - رَّحِيمٌ).

ج:

الكلمة	معناها
﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾	المُعجزات - الحجج الباهرات - الدلالات الواضحات.
﴿الْكِتَابَ﴾	الكتب المنزلة من عند الله.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾	العدل ـ الحق الذي تشهد العقول السليمة بصحته ، وقيل الميزان المعروف الذي يزن به الناس.
﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾	ليحكم الناس بالعدل.
﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾	قوةٌ شديدةٌ ـ السيوف والأسلحة التي يقاتل بها الناس والدروع التي يتقون بها السهام [1].
﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	ينتفعون بذلك في معايشهم كالفأس والقدّوم والمنشار والأزميل.
﴿بِٱلْغَيْبِ﴾	أي وهم لايرون ربهم عزَّ وجلَّ.
﴿عَزِيزٌ﴾	غالب ـ منيع السلطان عظيمُ الجناب.
﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾	المراد الكتب المنزَّلة من عند الله عمومًا ، ومنها (صحف إبراهيم وصحف موسى والتوراة والزبور والإنجيل).
﴿مُّهْتَدٍ﴾	مستبصر مؤمن.
﴿فَٰسِقُونَ﴾	ضلال خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.
﴿قَفَّيْنَا﴾	اتبعنا.
﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾	من بعدهم ـ على نهجهم.
﴿رَأْفَةً﴾	مودةً ـ خشيةً ، وقيل الرأفةُ أشد الرحمة.
﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾	انقطاع للعبادة وترك العمل وترك الملذات.
﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾	أحدثوها ـ اختلقوها.
﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾	ما افترضناها عليهم ـ ما شرعناها لهم.
﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾	طلب مرضاةِ الله.
﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾	فما قاموا بها حق القيام ، فما التزموا ما ألزموا أنفسهم به.
﴿كِفْلَيْنِ﴾	ضِعْفَيْنِ من الأجر [2]ـ حظين.
﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾	يصفح عن ذنوبكم فيسترها عليكم.

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: البأس الشديد السيوف والسلاح الذي يُقاتل الناس به ﴿ومنافع للناس﴾ بعد يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك.

(٢) قال الطبري رحمه الله: وأصل الكفل الحظ، وأصله ما يكتفل به الراكب فيحبسه ويحفظه عن السقوط، ويقول يحصنكم هذا الكفل من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من السقوط.

﴿غَفُورٌ﴾	ذو مغفرةٍ.
﴿رَّحِيمٌ﴾	ذو رحمةٍ.

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله عزَّ وجلَّ أرسل الرسل وأنزل إليهم الكتب لهداية الناس وللحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ولتقربهم إلى ربهم وتبين لهم ما يرضيه عنهم وما يسخطه عليهم ، وأنزل كذلك الميزان ليعدل الناس فيما بينهم ويعطي لكل ذي حق حقه ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ ولا يظلمُ أحدٌ أحدًا.

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيدٍ قال: في قوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾؛ قال: الميزان: ما يعمل الناس، ويتعاطون عليه في الدنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان، ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي. قال: والكتاب فيه دين الناس الذي يعملون ويتركون ، فالكتاب للآخرة ، والميزان للدنيا.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة. وقيل: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بذلك دعت الرسل: نوح فمن دونه إلى محمد ﷺ . ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ قال ابن زيد : هو ما يوزن به ويتعامل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله : ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ يدل على أنه أراد الميزان المعروف وقال قوم : أراد به العدل.

قال القشيري : وإذا حملناه على الميزان ، فالمعنى أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من باب: عَلَفْتُهَا تِبْنًا ومَاءً بارِدًا، ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن :٧] ثم قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن : ٩].

❀❀❀

س : وضّح لماذا أُنزل الحديد ؟ وكيف أنزل ؟

ج : أما كيف أُنزل ـ فالله أعلم ـ بكيفية إنزاله ، وقد ذكر بعض العلماء: أنه نزل مع آدم ـ عليه السلام ـ وقيل أنزلنا بمعنى أنشأنا وخلقنا كقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزُمَر:٦].

أما لماذا أنزل ؟ فذلك ، والله أعلم ـ لأمور ثلاثة:

أحدها: فيه بأس شديد تصنع به السيوف وأدوات القتال ، وبه يرتدع من يخالف ويعتدي.

الثاني: فيه أيضًا منافع للناس تصنع منه آلات ينتفع بها فمنه مصانع ومنه ماكينات ، ومنه آلات الحفر وتقطيع الصخور ، وغير ذلك.

الثالث: يعلم أيضًا من يستخدم الحديد في طاعة الله وقتال الأعداء ونصرة دين الله وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله.

❁❁❁

س: من العلماء من يربط بين قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وضح وجه هذا الربط ؟

ج : إيضاحه أن الله سبحانه وتعالى أرسل المرسلين ، وأنزل معهم كتبًا فيها شرائع وأحكام ، وتذكيرٌ ووعظ فمن لم يَقْبل على الشرائع والأحكام ، ومن لم ينتفع بالتذكير والوعظ، واستمر على حربه وعناده ، وفسقه وضلاله وعدوانه فهذا يردعه الحديد ، فهو له مناسب ، وهو به جديرٌ، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ، أي : وجعلنا الحديد رَادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحجة على من خالف منهم ، شرَّع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

بين الله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة والتي قبلها ، أن إقامة دين الإسلام تنبني على أمرين : أحدهما هو ما ذكر بقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ لأن في ذلك إقامة البراهين على الحق، وبين الحجة وإيضاح الأمر والنهي والثواب والعقاب ، فإذا أصر الكفار على الكفر وتكذيب الرسل مع ذلك البيان والإيضاح ، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد أي خلقه لبني آدم ليردع به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام ، وعلى هذا فقوله هنا : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ توضحه آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٤]، وقوله تعالى : ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢]، والآيات في مثل ذلك كثيرة معلومة، وقوله : ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، لا يخفى ما في الحديد من المنافع للناس ، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ [الرعد:١٧] لأن مما يوقد عليه في النار ابتغاء المتاع الحديد.

❀❀❀

س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ من نيته من حمل السلاح نصرة الله ورسله وهم لايرون ربهم عزَّ وجلَّ.

❀❀❀

س: وضّح المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ إن الله قوي لا يغلب ولا يمنعه مما أراد مانع ، بل أمره نافذ في خلقه ولا يحتاج إلى أحدٍ ينصره ، بل هو الناصر ، فقوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ لايفيد أن الله في حاجة إلى نصرة أحد له ، بل الله قوي عزيز وإنما شرّع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره : «إن الله قوي على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة ، وخالف أمره ونهيه ، عزيز في انتقامه منهم ، لا يقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة».

❀❀❀

س: لماذا خُصَّ نوحٌ وإبراهيمُ ـ عليهما السلام ـ بالذكر بعد أن ذُكر الرسل عمومًا؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لفضلهما ، ولتقدمهما في الزمن، وأيضًا فهما من أولي العزم من الرسل ، ونوح أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وإبراهيم هو خليل الله عزَّ وجلَّ.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ؟

ج : قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

(جعلنا بعض ذريتهما الأنبياء ، وبعضهم أممًا يتلون الكتب المنزلة من السماء ، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان).

❀❀❀

س : في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ دليل أن البشر لا يملكون لأحدٍ الهداية مهما بلغت مراتبهم وضِّح ذلك ؟

ج : إيضاحه أن نوحًا عليه السلام ـ وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ـ وكذا خليل الرحمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ من ذريتهما المهتدي ، وكثيرٌ منهم فاسقون فلم يملك نوحٌ عليه السلام ولم يملك إبراهيم عليه السلام لعموم ذريتهما الهداية.

❀❀❀

س : وضِّح معنى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ ؟

ج : المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا عيسى ـ عليه السلام

ـ وصاروا على نهجه وشريعته ودينه رأفة (وهي أشد الرحمة)، وقيل: مودة ورحمة وفي قلوب بعضهم رحمة ، ولكنهم ـ أي الذين اتبعوه ـ أحدثوا رهبانيةً وألزموا أنفسهم بها ، ألزموا أنفسهم أن يترهبوا ويتفرغوا لعبادة الرب على طريقة معينة وأخذوا ذلك على أنفسهم قربة إلى الله وطلبًا لمرضاته؛ ولكنهم لم يفوا بها أخذوه على أنفسهم وبها قطعوه عليها بل فرطوا في ذلك تفريطًا وأخل بعضهم بذلك إخلالاً. فقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فهاتان من الله قذف الله في قلوبهم الرأفة والرحمة.

أما الترهب ، فلم يكلفهم الله به ولم يأمرهم الله به، بل هم الذين افترضوا ذلك على أنفسهم ، كالذي يأخذ على نفسه عهدًا ، أو ينذر نذرًا ولا يفي به.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال:

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تُكتب عليهم ، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها ، ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ قال :فلم ؟ قال: ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوعًا، فما رعوها حق رعايتها.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وقوله : ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ، أي : فما قاموا بما التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ؛ أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها ، قاله ابن زيد . قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أمرناهم إلا بما يرضي الله ، قاله ابن مسلم، وقال الزجاج : ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ معناه لم نكتب عليهم شيئًا البتّة . ويكون : ﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ بدلاً من الهاء والألف في﴿كَتَبْنَـٰهَا﴾ والمعنى : ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله . وقيل : ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ الاستثناء منقطع ، والتقدير

ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: فما قاموا بها حق القيام . وهذا خصوص ، لأن الذين لم يرعوها بعض القوم، وإنما تسببوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل أموالهم ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٤] وهذا في قوم أدّاهم الترهب إلى طلب الرياسة في آخر الأمر.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: عقب إيراد هذا الأثر المطول عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذا السياق فيه غرابة.

❀❀❀

س : الرحمة الموجودة في القلوب هي من الله، دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، وقوله تعالى في شأن يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٣].

ولقد قال النبي ﷺ للأقرع بن حابس: «وما أملك لك إن كان الله نزع الرحمة من قلبك».

❀❀❀

س : ما حكم النذر؟ وما معناه؟

ج : أما عن معنى النذر ، فقد قيل في معناه: إنه النحب (كالمذكور في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب:٢٣] أما النحب فقيل هو العهد ، أما تعريفه الشرعي فهو إلزام الشخص نفسه بفعل شيءٍ إما معلقًا على حدوث شيءٍ أو منجزًا كأن يقول: لله علي إن نجح ولدي أن أفعل كذا ، أو أن يقول: لله عزمتُ أن أفعل كذا (دون تعليق على نجاح الولد).

أما عن حكمه فهو في الجملة مكروه لقول النبي ﷺ : «لا تنذروا فإن النذر لا يُغني من القدر شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل» [1].

---

(١) مسلم (١٦٤٠).

وهذا النذر يبدو أنه نذر المجازاة أو ما يسميه البعض بالعِوض أو المقابلة ، أما نذر الابتداء وهو قول القائل: لله علي أن أفعل كذا ، دون التعليق على حدوث شيء، فهذا أخف في الكراهة والله أعلم. لكن من نذر لزمه الوفاء ما دام النذر ليس في معصية، وذلك لقوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧].

❀❀❀

س: اذكر بعض صور تلك الرهبانية ؟ ومن الذين ابتدعوها؟

ج : أما الذين ابتدعوها فهم النصارى، أما هذه الرهبانية فمن صورها أنهم حرّموا على أنفسهم بعض المطاعم والمشارب والمناكح. ومنها أنهم اعتزلوا الناس وعاشوا في الصوامع والفيافي والقفار.

وذهب بعضهم إلى الاختصاء فاختصى حتى لا يغشى النساء.

❀❀❀

س : هل الرهبانية جائزة في شريعتنا ؟

ج : لم يشرع في ديننا هذا الترهب، ولا تلك الرهبانية وقد ردَّ النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل (أي: لما أراد الاختصاء والانقطاع للعبادة ردَّ النبي ذلك عليه ومنعه منه).

وهؤلاء النفر الثلاثة الذين أتوا بيوت النبي ﷺ وسألوه عن عبادته ، وكأنهم تقالوها (رأوها قليلة) فقال أحدهم: أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج، وقال الرابع: أما أنا فأقوم ولا أنام، فردَّ النبي ﷺ كلَّ ذلك عليهم والحديث بذلك في الصحيحين من حديث أنس ابن مالك [1] ـ رضي الله عنه ـ قال : « جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها ، فقالوا : وأينَ نحنُ منَ النبي ﷺ ؟ قد غفرَ الله لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلِّي الليلَ أبدًا . وقال آخر : أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر . وقال آخر : أنا أعتزلُ النساء

---

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (حديث ١٤٠١).

فلا أتزوَّجُ أبدًا . فجاء رسولُ الله ﷺ فقال : أنتمُ الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلِّي وأرقدُ ، وأتزوجُ النساء ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ منِّي».

❁❁❁

س : أيها أفضل ، الاختلاط بالناس أم اعتزالهم ؟

ج : في الجملة فالاختلاط بالناس في الخير ومشاركتهم فيه أفضل من الانفراد والعزلة فشهود الجنائز وإرشاد الضال وشهود الجماعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وعيادة المريض وغير ذلك من أعمال البر ، كلها فيها خير.

أما إذا لم يستطع الشخص فعل معروف أو إرشاد ضال أو النهي عن المنكر، بل كان هو نفسه سيقع في منكراتٍ، فالأولى له حينئذ الاعتزال.

أما الأدلة على ما ذكر فمنها قول رسول الله ﷺ: « المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1].

وأيضًا فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقال الحافظ ابن حجر « فتح الباري» (١٣ / ٤٢) :

(وقد اختلف السلف في أصل العزلة ، فقال الجمهور : الاختلاط أولى ؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك . وقال قوم : العزلة أولى لتحقق السلامة ، بشرط : معرفة ما يتعين).

وقال النووي: (المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى . وقال غيره : يختلف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر،

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٥٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٦٥) وغيرهما.

فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة ، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحظور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعُمّ من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥]

قلت : وقد ورد في الباب حديث : « **المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[1] .

هذا وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في « مجموع الفتاوى» (١٠ / ٤٢٥) :

هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة ؟

فأجاب : هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًّا ، وإما حاليًّا ، فحقيقة الأمر: « الخلطة» تارة تكون واجبة ، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة ، وجماع ذلك : أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء ، ونحو ذلك ، هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين ، وإن كان أئمة ذلك فجّارًا وإن كان في تلك الجماعات فجّار ، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إما لانتفاعه به ، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بُد للعبدِ من أوقاتٍ ينفر بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره ، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه ، إما في بيته كما قال طاووس : (نعم صومعةَ الرجل بيته ؛ يكف

---

(١) سبق تخريجه.

بها بصره ولسانه) وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مُطلقًا خطأ ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسانٍ من هذا وهذا ، وما هو الإصلاح له في كل حال ، فهذا يحتاج إلى نظرٍ خاصٍّ كما تقدَّم.

❀❀❀

س : هل الذين ابتدعوا الرهبانية هم الذين لم يرعوها حق رعايتها أو أن غيرهم ممن أراد السير على طريقهم هم الذين ما رعوها حق رعايتها ؟

ج : الظاهر، ـ والله أعلم ـ أن الذين ابتدعوها هم الذين لم يرعوها حق رعايتها، وذلك لقوله تعالى ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ثم قوله : ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ولا يمنع أن يكون هناك قوم من الذين جاءوا من بعدهم وأرادوا الاقتداء بهم لم يرعوها حق رعايتها ومع ذلك فلأهل العلم قولان، واللغة قد تقويهما:

أحدهما: أن الذين ابتدعوها هم الذين لم يرعوها حق رعايتها كما قدمنا.

والثاني: أن الذين لم يرعوها حق رعايتها هم قومٌ جاءوا من بعد الذين ابتدعوها، وأرادوا السير على نهج الذين ابتدعوا تلك الرهبانية، ولكنهم فشلوا في ذلك، وما استطاعوا القيام به، ولا السير على ما ألزموا أنفسهم به ، بل كان أكثرهم فسقة يظهر للناس أنه راهب ومترهب ثم هو يخون تلك الرهبانية التي فرضها على نفسه.

فهذان الوجهان المذكوران في تفسير الآية الكريمة .

قال الطبري رحمه الله تعالى :

واختلف أهل التأويل في الذين لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها ، فقال بعضهم: هم الذين ابتدعوها ، لم يقوموا بها ، ولكنهم بدّلوا وخالفوا دين الله الذي بعث به عيسى : فتنصروا وتهوّدوا.

وقال آخرون : بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها فلم يرعوها حقّ رعايتها؛ لأنهم كانوا كفارًا، ولكنهم قالوا : نفعل كالذي كانوا يفعلون من ذلك أوّليًا،

فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها.

وأخرج الطبري بسندٍ حسن عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

كانت ملوكٌ بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل، فقيل لملكهم: ما نجد شيئًا أشدّ علينا من شتم يشتُمناه هؤلاء أنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] هؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا به . قال : فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل ، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدّلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك فدعونا ؛ قال : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا ، فلا نردّ عليكم، وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح في الأرض ، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دورًا في الفيافي، ونحتفر الآبار ، ونحترث البقول ، فلا نردّ عليكم ، ولا نمرّ بكم ، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم ؛ قال : ففعلوا ذلك ، فأنزل الله جلّ ثناؤه : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ الآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دورًا كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ؛ قال : فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل ، انحطّ رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وجاء صاحب الدار من داره ، وآمنوا به وصدّقوه ، فقال الله جلّ ثناؤه : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال : أجرين لإيمانهم بعيسى ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم به . قال : ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ القرآن ، واتباعهم النبي ﷺ ؛ قال : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ . واختار الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ أن من الذين لم يرعوها حق رعايتها طائفة من الذين ابتدعوها ، ولا يمنع أن يكون غيرهم

أيضًا ممن أراد الاقتداء بهم لم يرعها حق رعايتها.

قال الطبري رحمه الله :

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها ، بعض الطوائف التي ابتدعتها ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم ؛ قال : فدلّ بذلك على أن منهم من قد رعاها حقّ رعايتها، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحقّ الأجر الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡ﴾ إلا أن الذين لم يرعوها حقّ رعايتها ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها ، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم ، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعوها ، فجائز في كلام العرب أن يقال : لم يرعها القوم على العموم . والمراد منهم البعض الحاضر ، وقد مضى نظير ذلك في مواضع كثيرة من هذا الكتاب.

وقال الرازي رحمه الله :

أما قوله تعالى : ﴿فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ ففيه أقوال: (أحدها): أن هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الرهبانية ما رعوها حق رعايتها ، بل ضموا إليها التثليث والاتحاد ، وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدًا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فهو قوله : ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

(وثانيها): أنا ما كتبنا عليهم تلك الرهبانية إلا ليتوسلوا بها إلى مرضاة الله تعالى، ثم إنهم أتوا بتلك الأفعال ، لكن لا لهذا الوجه . بل لوجه آخر ، وهو طلب الدنيا والرياء والسمعة .

(وثالثها): أنا لما كتبناها عليهم تركوها ، فيكون ذلك ذمًّا لهم من حيث إنهم تركوا الواجب .

(ورابعها): أن الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين أدركوا محمدًا عليه الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا به.



س : وضّح معنى قوله تعالى : ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ ؟

ج : قال الطبري رحمه الله في تفسيره:

وقوله : ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره : فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله ، وإيمانهم به وبرسوله في الآخرة ، وكثير منهم أهل معاصٍ، وخروج عن طاعته والإيمان به.

❀❀❀

س: مَن الذين عناهم الله بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ...﴾؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ أهل الكتاب الذين آمنوا بأنبيائهم، فقيل لهؤلاء: اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ. ومما يدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وبضميمه قوله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ... » الحديث [١]

وأخرج الطبري بإسنادٍ حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما:

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال : أجرين : إيمانهم بمحمد ﷺ ، وإيمانهم بعيسى ﷺ ، والتوراة والإنجيل.

أما الشنقيطي ـ رحمه الله ـ فقد قال :

(قد قدمنا أن التحقيق أن هذه الآية الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من هذه الأمة ، وأن سياقها واضح في ذلك ، وأن من زعم من أهل العلم أنها في أهل الكتاب فقد غلط ، وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين كما قال تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ الآية [القصص:٥٢-٥٤].

(١) مسلم (حديث ١٥٤).

وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم أن إيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقوله : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ، وزادهم بقوله : ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾).

هذا ، وقد أخرج الطبري بسندٍ فيه ضعفٌ لإرساله من طريق سعيد بن جبير قال: (بعث النبي ﷺ جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به ؛ فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلًا : ائذن لنا ، فنأتي هذا النبي ، فنسلم به ، ونساعد هؤلاء في البحر ، فإنا أعلم بالبحر منهم ، فقدموا مع جعفر على النبي ﷺ ، وقد تهيأ النبي ﷺ لوقعة أُحُد؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدّة الحال، استأذنوا النبي ﷺ، قالوا : يا نبي الله إن لنا أموالًا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة ، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجئنا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ... [القصص:٥٢] إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص:٥٤] فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين ؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص:٥٤] فخروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا ، فله أجره مرتين ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فما فضلكم علينا ، فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فجعل لهم أجرهم ، وزادهم النور والمغفرة ، ثم قال: «لكيلا يعلم أهل الكتاب» وهكذا قرأها سعيد بن جبير«لكيلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء»).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ:

في معنى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي آمنوا بموسى وعيسى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ بمحمدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي مثلين من الأجر على إيمانكم بعيسى ومحمد ﷺ ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم

مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص:٥٤].

❀❀❀

س: ما هذا النور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن النور الكتاب والسُّنة.

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن ابن عباس قال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ قال: الفرقان واتباعهم النبي ﷺ.

قال آخرون: هو الهدى.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورًا يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله ﷺ نور لمن آمن بهما وصدّقهما وهدى، لأن من آمن بذلك، فقد اهتدى.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾ أي: بيانًا وهدًى، عن مجاهد. وقال ابن عباس: هو القرآن. وقيل: ضياء ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ في الآخرة على الصراط، وفي القيامة إلى الجنة. وقيل تمشون به في الناس تدعونهم إلى الإسلام فتكونون رؤساء في دين الإسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها. وذلك أنهم خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام. وإنما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله، لا الرياسة الحقيقية.

❀❀❀

س: وضِّح معنى قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: **قال الطبري ـ رحمه الله ـ في معناها**: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد

ﷺ من أهل الكتاب: يفعل بكم ربكم هذا لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي أتاكم وخصكم به ، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضَّلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد ﷺ من الفضل والكرامة ، ما لم يؤتهم ، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقال الله عزَّ وجلَّ : فعلت ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وذهب بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة مذهبًا آخر، حاصله (ليعلم اليهود) أن النبوة والهداية ليست بأيديهم إنما هي فضل الله يؤتيه من يشاء.

وذلك أن اليهود كانوا يستفتحون على الذين كفروا ، يهود المدينة كانوا يقولون للكفار من الأوس والخزرج قبل مبعث النبي ﷺ: سيخرج نبي نتبعه نقاتلكم نحن وهو قتل عادٍ وثمود ، وكانوا يتعالون على الأوس والخزرج بهذا ويتعاظمون، فلما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ كفر اليهود إلا القليل، وآمنت الأوس والخزرج.

❀❀❀

س: وضّح معنى قوله تعالى : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾!

ح: معناها ليعلم .

قال الطبري رحمه الله: وقيل﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ إنما هو ليعلم: وذُكر أن ذلك في قراءة عبدالله: (لَكِيْ يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون) لأن العرب تجعل «لا» صلة في كلّ كلام دخل في أوّله أو آخره جحد غير مصرّح ، كقوله في الجحد السابق، الذي لم يصرّح به﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] ، قوله : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩] ، وقوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾ ... الآية [الأنبياء:٩٥]، معنى ذلك : أهلكناها أنهم يرجعون.

قال السعدي رحمه الله :

وقوله : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي : بينا لكم فضلنا وإحساننا لمن آمن إيمانًا عامًّا ، واتقى الله ، وآمن برسوله، لأجل أن يكون عند أهل

الكتاب علم، بأنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، أي: لا يحجرون على الله، بحسب أهوائهم وعقولهم الفاسدة، فيقولون: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، ويتمنون على الله الأماني الفاسدة. فأخبر الله تعالى المؤمنين برسوله، محمد ﷺ، المتقين لله أن لهم كفلين من رحمته، ونورًا، ومغفرة، رغمًا على أنوف أهل الكتاب.

وليعلموا: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٧٣] ممن اقتضت حكمته تعالى أن يؤتيه من فضله ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي لا يقادر قدره.

❀❀❀

س: وضّح قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ أن الإكرام والجزاء الحسن يتفضل الله به على من يشاء من خلقه، وهو الذي قد تفضل على هذه الأمة ـ أمة محمد ﷺ ـ بأن جعلها خير أمةٍ أُخرجت للناس.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده وأنه يؤتيه من يشاء جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]. وقد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

❀❀❀

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تفسير سورة الذاريات	٧
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾	
إلى قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾	٧
تفسير الآيات من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	
إلى قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾	١٨
تفسير الآيات من قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾	
إلى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾	٣٤
طائفة من الفوائد والحكم والأحكام في قصة إبراهيم عليه السلام	٤٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾	
إلى قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾	٦٠
تفسير سورة الطور	٨٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَالطُّورِ﴾	
إلى قوله: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٨٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾	
إلى قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾	٩٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾	
إلى قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾	١١١

تفسير سورة النجم	١٣٥
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾	
إلى قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	١٣٥
سدرة المنتهى	١٥٧
قصة الغرانيق	١٦٥
تفسير الآيات من قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾	
إلى قوله: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾	١٩٢
تفسير سورة القمر	٢٢١
تفسير الآيات من قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾	
إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	٢٢١
تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾	
إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	٢٤٥
تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾	
إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	٢٥٠
تفسير الآيات من قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾	
إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	٢٦٠
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾	
إلى قوله: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾	٢٦٧
تفسير سورة الرحمن	٢٨٠
تفسير الآيات من قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾	
إلى قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	٢٨٠
تفسير الآيات من قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	
إلى قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾	٣٠٣
بحث موسع عن النار وأهلها الأشرار	٣٢١

أمور في الدنيا تذكر بنار الآخرة	٣٢٨
الحشر إلى النار وبعض مشاهده	٣٣٧
ومن صور العذاب	٣٤٨
خلود أهل النار وبقاؤهم فيها	٣٥٨
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾	
إلى قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	٣٦٩
بحث موسع حول الجنة ـ جعلنا الله من أهلها ـ	٣٧٥
وصف الجنة	٣٧٩
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أول من تفتح له الجنة	٣٨٧
فاكهة الجنة وثمرها	٤٠١
سرر الجنة وفرشها ووسائدها	٤٠٤
نساء أهل الجنة	٤١٢
تكليم الله لأهل الجنة	٤٢٧
أشعار منتقاة في وصف جنات النعيم	٤٤٠
تفسير سورة الواقعة	٤٥٣
تفسير الآيات من قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾	
إلى قوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾	٤٥٣
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾	
إلى قوله: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾	٤٧٢
تفسير الآيات من قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾	
إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾	٤٧٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	
إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾	٤٩٧

تفسير سورة الحديد

تفسير الآيات من قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٥١٧
تفسير الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾
إلى قوله: ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٥٤٦
تفسير الآيات من قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾
إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ٥٥٥
تفسير الآيات من قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾
إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٥٦٨


دار الصحيفة
٢٩٩٩٥٣٧